

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما منح من الهدى ، وجعل السنة المطهرة قدوة لمن يتقدي ؛
الهدى خلق فأحيا ، وحكم على خلقه بالموت والبقا ، والبعث إلى دار الجزاء والفصل
والنضا ، لتجزى كل نفس بما آتت كما قال في كتابه جل وعلا^(١) (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ
رَبَّهُ بِحَسَنَةٍ نَّجَّيْنَاهُ مِنْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ وَمَنْ يُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ
فَأُولَٰئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْآسَافَاتُ الْعُلَىٰ ، جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ) ، والصلاة والسلام على خير من أفيضت عليه بحار المكرم
والهدى ، ولاحت عليه لوائح للصدق والصفاء ، واعتدى بما أنزل عليه من ربه
وإليه أمته هدى ، وأنقذها من شرك الردى ، ولم يتركها سدى ، فن أطاعه
ووالاه فقد رشد ونجا ، ومن عصا وناوأه فقد ضل وغوى ، وعلى آله وضعها
وحزبه صلاة وسلاما دائمين على طول المدى .

وبعد : فهذا كتاب في أحوال النار وأصحابها ، وأحوال الجحيم وأربابها
نسجته على منوال كتابي في أحوال الجنة وأهاليها وحقائق نعمها ومواليها ،
والباعث على جمعه أن الحافظ الإمام ناصر السنة والإسلام محمد بن أبي بكر بن
القيم بواه الله في دار السلام ، ألف كتابا جامعاً لم يسبق إليه في ما جاء في نعيم
الجنة ومدارج الرضوان والفقرا ، وهو باب من أبواب الترغيب ، وقد سبقت
رحمة الله سبحانه وتعالى على غضبه كما ورد ذلك في صحاح الأحاديث ، ولم

أقف له ولا لغيره على كتاب مستقل في ذكر النار ، وأهوال الجحيم وما يقابل
الراحة والمعيش الآخرة في دار النعيم . وهذا باب من أبواب التهيب ، وحاجة
المسلم إليه أشد من الحاجة إلى الأول ، لأن الإيمان بين الخوف والرجا ، والره
بين الشدة والرخا ، والخوف يفعل في الخبائف مالا يفعل الرجاء في الراحة ،
والخشية تميز تمييزاً كافياً وافياً بين الهالك والناحي ، وأن دين الاسلام ورد
بالمهلكات كما جاء بالمنجيات ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم رغب وتحذر وبشر
وأنذر ، فهو المخبر الصادق بكل الامرين إخباراً لا يخفى على ذي عينين ،
ولكن الشيطان الرجيم غرهم بالغفران والاحسان ، وكادتهم النفس الأمارة
بالسوء ووعدهم بالرضوان والجنان ، ودخل عليهم إبليس من باب الرجاء حتى
أضلهم عن طريق الهدى ، فقالوا سيففر لنا كما قال من قبلهم من الأمم ، ولم
يعلموا أن بطش ربهم لشديد الألم ، وأن النار الآخرة منقسمة إلى قسمين :
رياض الجنة وحفر للنار ، والعمد بين مخافتين إما أن يصير إلى النعيم بفعله مسجاة ،
وإما أن يصار به عدلا منه إلى دار البوار ، وكل من قنع بالرجاء ولم يلم بالخوف ،
لم يعلم بمعاقبة أمره ، ولم يعرف نفعه من ضره ، وإنا المؤمن الناحي من آمن بالله
ورسوله واليوم الآخر وعمل صالحاً ، وأقلع نفسه في هذه الدار عما يوبقه وبه يهلكه
عذبا كان أو مالحا .

وفي حديث شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السكيسُ
مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَحَمَلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ »

(١) خرجه الترمذي (٦٣٨/٤) ، وقال : هذا حديث حسن ونسبه
السيوطي في كتابه « الدرر المنتشرة في الاحاديث المشتهرة » الى الحاكم في
مستدرکه عن شداد بن أوس وصححه .

قال في مجالس الأبرار : هذا الحديث من حسان المصاييح انتهى : وما أحسن ما قال بعض العارفين .

عجبت من شيخى ومن زهده وذكره النار وأهوالها

يكره أن يشرب في فضة ويسرق الفضة إن نالها

ووجدُ المغفرة في كتاب الله منوط بالإيمان والعمل الصالح جسيما ، فن أقر بلسانه أن الآخرة خير وأبقى ، ثم ترك للعمل واشتغل بالعامى فهو من المفرورين بالدنيا والمسرودين بها والمحبين لها ، والكارهين للموت خيفة فوات لذاتها لا خيفة فوات لذات الآخرة : وهول عقابها ، فهؤلاء هم الذين غرهم الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون .

وأما الذين غرهم بالله القُرور فهم الذين يعملون الأعمال ويشغلون بالمنكرات ويقولون إن الله رحيم ، نرجوا رحمته ، وكريم اتقى مغفرته ، وهذا التمنى هو القُرور الذى غيّر الشيطان اسمه وسماه رجاء حتى خدع به كثيرا من الناس ، وقد شرح الله الرجاء بقوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ ^(١)) وقيل للحسن قوم يقولون نرجوا الله ويضيعون العمل فقال هيهات . هيهات ، هلكت أمانهم يتردون فيها : من رجاشيتا طلبه ، ومن خاف شيئا هرب منه ، وكما لا ينبت في الدنيا زرع إلا بالحرث كذلك لا يحصل في الآخرة أجر وثواب إلا بالإيمان الخالص والعمل الصالح والنية الصادقة ، وأن الله تعالى كما كان غافر الذنوب وقابل التوبة فهو شديد العقاب أيضا . وأنه مع

أكونه كريماً رحيماً خلد الكفار في النار أبداً الآباد ، مع أن كفرهم لا يضره
بل سلاط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على عباده في الدنيا
مع كونه كريماً قادراً على إزالتها .

فمن كانت سنته في عباده كذلك كيف يفتربه العبد ولا يخافه ، وقد خوف
عباده .

ورجاء أكثر الخلق في هذا الزمان هو سبب فتورهم عن العمل وإقبالهم
على الدنيا وإعراضهم عن طاعة الله تعالى وإهمالهم للآخرة ، وهم لا يعلمون
أنه غرور وليس برجاء ، وقد غلب الغرور على آخر هذه الأمة كما غلبت الطاعة
على أولها .

قال الغزالي : قد كان الناس في الزمان الأول يواظبون على الطاعات
والعبادات ، ويبالغون في الاحتراز عن الشبهات والشهوات ، ومع ذلك كانوا
يخافون على أنفسهم ويكونون في الخلو ، وأما الآن فترى الخلق آمنين فرحين
غير خائفين مع إصرارهم على المعاصي وإهمالهم في الدنيا وإعراضهم عن
طاعة الله ، ويؤمنون أنهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله ، وراجون لعفوه
ومغفرته ، ويقولون نعمته واسعة ورحمته شاملة . وأي شيء من معاصي العباد
في بحار مغفرته ؟ ويسمون تمنيهم واغترارهم رجاء ويقولون أن الرجاء محمود
في الدين ؛ فكأنهم يزعمون أنهم عرفوا من كرم الله وفضله ما لم يعرفه الأنبياء
والسلف الصالح . انتهى .

هذا وكان يخاطر في خلد في قديماً منذ ألفت كتاب (مثير ساكن العوام
إلى روضات دار السلام) أن أؤلف كتاباً في أهوال النار وأهلها وصفة الجحيم

حزنها وسهالها ، مقتصر في ذلك على ما ورد في آيات الكتاب العزيز وأدلة
السنة المطهرة البيضاء . فلم يتفق لي هذا المراد لموافق عاقتي وضاعت بها على
الغبراء ؛ إلى أن حصل الآن فرصة نذرة فانتدبت لتحرير هذا المرام ظناً من أنه
لم يسبق إلى مثل هذا التأليف قبلي أحد من الأعلام ، ولو كنت وقفت على مثل
هذا الجمع لأحد منهم لم أكلف نفسي لجمع هذا الكتاب الموعود ، ولم أدخلها
في هذه العقبة الكئود ، ولكن الله يوفق بما يشاء من عباده ؛ وله في أيام
دهرهم نفعات ألاف تعرضوا لها في بلاده . وسميت هذا (ينيظة أولى الاعتبار
بما ورد في ذكر النار وأصحاب النار) . ورتبته على مقدمة وأبواب وخاتمة .
أجارنا الله تعالى من النار الخاطئة .

مقدمة

(في بيان أن للشرائع متفقة على إثبات
الدار الآخرة التي فيها الجنة والنار)

أعلم أن الله سبحانه صرح باسم الجنة في أول التوراة عند الكلام على
ابتداء خلق العالم . ولفظها : « وغرس الإله جنة في عدن شرقاً . ووضع هناك
آدم الذي خلقه » ا . ه .

ثم ذكر أن منها خرج نهر . وتفرع عنه : فيشون وحداقل وجيحون
والفرات .

فهذه هي الجنة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم . وصح عن النبي
ﷺ أن هذه الأربعة الأنهار خارجة منها ، كما في دواوين الإسلام^(١)
وقبرها . واعترف بها رأس زنادقة اليهود : موسى بن ميمون القرطبي
الأندلسي في تأليفه ، المسمى « المشنا » في لافقه . وفي كتاب اللغات
في حرف العين قال : ومعنى اسم عدن : التلذذ والنعيم . ثم قال : إن
تلك هي جنات النعيم ، وفردوس السعادة ، والمصالحون باقون فيها ليستلذوا
من نور الله . قال النبي أشمياء في حقيقة ذلك التلذذ « هو مالا عين تقدر
أن تراه » ا . ه .

(١) في صحيح مسلم (٢١٨٣) عن أبي هريرة مرفوعاً . سبحانه وجيحان
والفرات والنيل ، كل من أنهار الجنة وخرجه الإمام أحمد (٥١١٦)

والتوراة أيضاً صرحت باسم النار ، ولنظها « سول واش » قال علماء اليهود ، ومعنى اللفظين جهنم . وفيها غير ذلك من الآيات كثير ، كما في الإصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين (الأخبار) ولنظها : « أحكامي تعلمون ، وفرائضي تحفظون ، لتسلكوا فيها ، أنا الرب إلهكم ، فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها . أنا الرب » ا . ا . هـ . ولا حياة دائمة في الدنيا بل في الآخرة ، وفي الإصحاح (الفصل) الخامس من سفر الأمثال سليمان عليه السلام « ويجعلهم بمد للوت إلى الجحيم » ا . ا . هـ . وفي الإصحاح السادس والعشرين من نبوة أشعيا ما لنظها : « تحيا أمواتك . تقوم الجثث » ا . هـ . وفي سفر دانيال ما لنظها : « وكثيرون من الرافدين في تراب الأرض يستيقظون . هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى النار ، والازدراء الأبدى » ا . هـ .

وأما الزبور ففيه نصوص كثيرة ، في التصريح بذكر النار ، جاء في المزمور التاسع والأربعين ما لنظها : « مثل للغم الهاوية يساقون . اللوت يرعاهم . ويسودم المستقيمون غداة ، وصورتهم تلبى . الهاوية مسكن لهم : إنما الله يفتدي نفسي ، من يد الهاوية : لأنه يأخذني » ا . ا . هـ . وفي المزمور الخامس والخمسين . « ليهبهم الموت ، لينحدروا إلى الهاوية أحياء . لأزفي مساكنهم ، في وسطهم شروراً » ا . ا . هـ .

وفي المزمور السادس ما لنظها : « وأنت يا رب اغني متى ، عد يا رب : نج نفسي خلصني من أجل رحمتك : لأنه ليس في الموت ذكرك ، في الهاوية من يمدك ؟ » ا . هـ . وفي المزمور التاسع : « الشرير يعاق بعمل يديه . الأشرار يرجعون إلى الهاوية » ا . هـ . وفي المزمور السادس عشر :

« جسدى أيضاً يسكن مطمئناً . لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية . لن تدع تفيك يرى فساداً » ا . هـ .



وفى الإنجيل ذكر الجنة والنار فى مواضع كثيرة فى الإصحاح الخامس من الإنجيل الأول إنجيل متى « ومن قال يا احمق يكون مستوجب نار جهنم — إلى قوله — ولا يلقى جسداً كله فى جهنم » وفى الإصحاح العاشر من متى : « بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم » ا . هـ .

وفى ذلك تصريح بمحشر الأجساد . وفى الإصحاح الثالث عشر من متى : « يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعثر وفاعلى الإنم ويطرحونهم فى أتون النار ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » . وفى الإصحاح التاسع من إنجيل مرقس ما لفظه : « وتضى إلى جهنم إلى النار التى لا تطفأ . حيث دورم لا يموت والنار لا تطفأ » . وفى الإصحاح السادس عشر من إنجيل لوقا ما لفظه : « ومات الفنى ودفن فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب » ا . هـ .

وفى الإصحاح الثامن عشر من متى : صرح بذكر دخول النار المؤبدة . وبذكر دخول جهنم . وفى الإصحاح الثانى والعشرين من متى ما لفظه : « فى ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون . الذين يقولون ليس قيامة » ا . هـ . فلنظر إلى هذا النص الصريح بالقيامة . وإلى التصريح بأن الذين يقولون : لا قيامة هم للصدوقيون . وكفى بهذا دافعاً فى وجه من زعم أن إثبات ذلك زيادة فى الشريعة السابقة كما ذكره زنادقة فى هذه الشريعة الحمديدية .

وفي الإصحاح الخامس والعشرين من متى : مآلفظه : « ثم يقول أيضاً الذين
 عن اليسار : اذهبوا عنى بأملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته » .
 وفي هذا التصريح بما لا يحتاج إلى زيادة . وهذه القول من الإنجيل الذي
 جمعه متى ونحوه أيضاً في الأناجيل الأخرى التي جمعها يوحنا ومرقس وغيرهما .
 وفي إنجيل لوقا في الإصحاح العشرين منه . « وأما أن الموتى يقومون : فقد دل
 عليه موسى » وفي الإصحاح الثالث والعشرين أن المسيح قال المصلوب مآلفظه :
 « قال له يسوع : الحق أقول لك : إنك اليوم تكون معي في الفردوس » انتهى
 وفي الإنجيل الذي جمعه يوحنا في الإصحاح الخامس . مآلفظه : فإن تأتي ساعة
 فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة
 الحياة . والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » وفي الإصحاح السادس من
 يوحنا « أن كل من يرى الابن ويؤمن به . تكون له حياة أبدية . وأنا
 أقيم في اليوم الأخير » .

وفي الإصحاح الثامن من يوحنا مآلفظه : « الحق ، الحق . أقول لكم :
 إن كان أحد يحفظ كلامي . فلن يرى الموت إلى الأبد » انتهى .

وإذا عرفت هذا المصريح به الإنجيل . فكذا صرح الحواريون من أصحاب
 المسيح عليه السلام في رسائلهم المعروفة ، وهذه النصوص ترد على ابن أبي الحديد
 المعتزلي شارح شهبج البلاغة قوله وهو : أن كل ما في التوراة من الوعد والوعيد
 فهو منافع الدنيا وعقابها ، ولم يأت فيها ما يتماق بما بعد الموت ، وأما المسيح
 فإنه صرح بالقيامة وبعث الأبدان ولكن جعل العقاب روحانياً وكذلك
 الثواب . انتهى ، وكذلك ترد على رئيس الملاحدة ابن سينا حيث قال :
 « إن النصارى أتتوا بعث الأبدان وخلوها من الطعم والملبس والشرب
 والمنكح » انتهى .

قال شيخنا العلامة المجهّد المطلق محمد بن علي الشوكاني في المقالة الفاخرة
في اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة : إن أصل هذه المقالة للمؤنة
والرواية عن التوراة والانجيل المكذوبة ، مقالات قالها جماعة من معزذقة
اليهود والنصارى كابن ميمون وأضرابه .

وأهم أي اليهود كفروه ولعنوه بسبب هذه المقالة ، وقد وقع من هذا
المؤمن التعريف لما في التوراة وتلقى ذلك عنهم زنادقة الملة الإسلامية استرواحاً
عنهم لما يتضمن من القدح في شرائع الله سبحانه . انتهى .

ثم نقل ما في التوراة والزيور والانجيل نحو ما ذكرنا وزاد في النقل في
رسالته التي سماها (إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والاماد
والقيوات) وهذه الكتب الثلاثة الإلهية موجودة عندنا باللسان العربي فاستفاد
من ذلك أن الأبر خلاف ما قاله زنادقة الملة اليهودية والملة النصرانية ثم تعقب
الشوكاني رحمه الله ابن ميمون وابن أبي الحديد وأوضح فسادهم ثم قال (١) :

وأما نصوص القرآن فهو من فاتحته إلى خاتمته مصرحة بالجنة والنار وبمته
الأجسام وتنعمها أو تعذيبها بما اشتمل عليه القرآن من أنواع ذلك ، ومن تعقب
ما في كتاب الله سبحانه من حكاية نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار عن المال
السائلة وعن كتب الله المنزلة عليها وجده كثيراً جداً لا يتسع المقام لسطه ،
وقد بعث النبي (ﷺ) وأهل لمة اليهودية والملة النصرانية في أكثر بقاع
الأرض ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك أو قال هو خلاف ما في التوراة
والانجيل ، وقد سكن النبي (ﷺ) في المدينة الشريفة ونزل عليه أكثر القرآن
بها ، وكان اليهود متوافرين فيها وفيما حولها من القرى المتصلة بها ، وكانوا

(١) إرشاد الثقات بنحوه (٣٩-٤٣) وباختصار .

يسمعون ما ينزل الله على رسوله (ﷺ) من القرآن ويفكرون ما ورد مخالفاً لما في التوراة ويجادلون أبلغ مجادلة ، كما حكى ذلك القرآن الكريم وتضمنته كتب السير والتاريخ ، ولم يُسمع أن قاتلاً قال إنك تحكي عن التوراة ما لم يكن فيها من البهث ونعيم الجنة وعذاب النار ، وقد كانوا يتهاكرون على ذلك وبالغون في تتبعه بل كانوا في بعض الحالات يفكرون وجود ما هو موجود في التوراة كالرجم .

فكيف يسكتون عن هذا الأمر العظيم مع سماعهم لحكاية القرآن له عنهم وعن التوراة ، وهل كانوا يمجزون عند أن يسموا ما حكاه الله عنهم من قولهم (وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً^(١)) أن يقولوا ما قلنا هذا ولا نمتقده ولا جاءت به شريعة موسى ، وهكذا عند سماعهم قوله تعالى (إِنَّ هَذَا نَبِيُّ الصُّحُفِ الْأُولَى كُتِبَ لِإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى^(٢)) .

وبهذا تبين أن هذه المقالة لم يسمع بها اليهود ولا النصارى إلا في عصر رأس الزنادقة ابن ميمون عليه لعائن الله تعالى . انتهى كلامه .

وكلام ابن ميمون هذا كما هو مخالف للغة اليهودية ولما جاءت به التوراة ولما قاله علماء اليهود هو أيضاً مخالف للغة النصرانية ولما جاء به الإنجيل وقاله علماء النصارى ، ومخالف أيضاً لما جاءت به الشريعة الواوذية وما صرح به الزبور ومخالف أيضاً لما جاءت به اللغة الإسلامية وما صرح به القرآن الكريم وأجمع عليه علماء الإسلام بل مخالف لشرائع الأنبياء جميعاً كما حكى ذلك عنهم القرآن فتعنى وإن لم تنف على غير التوراة والزبور والإنجيل من شرائع الأنبياء

السابقة فقد حكاها لنا القرآن في غير موضع كقوله تعالى (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ
 الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ^(١)) وقوله (يَا أَيُّهَا إِسْرَائِيلُ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
 وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ^(٢)) وقوله حاكياً
 من مؤمن آل فرعون (يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ - إِلَى قَوْلِهِ -
 وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ - إِلَى قَوْلِهِ - فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ
 فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ^(٣)) وقوله (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَى ^(٤))
 إِلَى قَوْلِهِ (وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) إِلَى
 آخِرِ الْآيَاتِ بطولها .

والحاصل أن هذا أمر انفتت عليه للشرائع ونطقت به كتب الله عز وجل
 سابقها ولاحتما وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم ، ولم يخالف فيه أحد ،
 وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل والنحل ولم يسمع عن
 أحد منهم أنه أنكر ذلك إلا ما تقدم من ابن ميمون الملمون وأفراخه فإنه وقع
 منه كلام في إنكار المعاد ، ثم اختلف كلامه في ذلك فتارة يثبته وتارة ينفيه
 وإنما أنكر أن يكون فيه لذات حسية جسمانية بل لذات عقلية روحانية ، ثم
 تلقى ذلك عنه من هو شبيه به من أهل الإسلام كابن سينا قلده ونقل عنه
 ما يفيد أنه لم يأت في الشرائع السابقة على الشريعة الحمديّة إثبات المعاد تقليداً
 لذلك اليهودي الملمون الزنديق مع أن اليهود قد أنكروا عليه هذه المقالة وسموه
 كافراً وتبع ابن سينا ابن أبي الحديد شارح تهج البلاغة وهم جراً .

(٢) المائدة (٧٢)
 (٤) آل عمران (٥٥)

(١) البقرة (١١٠)
 (٣) غافر (٣٢ - ٤٠)

(باب)

* (في بيان وجود النار الآن) *

اعلم أنه لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإيمانه، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، كما تقدم في المقدمة، فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من أهل البدع والأهواء فأنكرت أن تكون الآن مخلوقة موجودة، وقالت: بئس الله ينشئها يوم المعاد. وأن خلق النار قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مدداً مطاولة ليس فيها سكانها؛ فردوا من النصوص الأصول والفروع، وخذلوا كل من خالف بدعتهم هذه بما لا يسن ولا يفى من جوع. ولهذا صار السلف الصالح ومن نما نحوم يذكر في عقائدنا أن الجنة والنار مخلوقتان الآن موجودتان في الحال، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث كافة لا يختلفون فيها، منهم أبو الحسن الأشعري إمام الأشاعرة في كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين).

وقد ذكر الله تعالى النار في كتابه في مواضع كثيرة بقرآن حدها ويفوت حدها ووصفها. وأخبر بها على لسان نبيه ﷺ ونعتها فقال عز من قال (فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ^(١)) وقال (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ^(٢)) وقال (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا^(٣))

(٢) آل عمران (١٣١)

(١) البقرة (٢٤)

(٣) الكهف (٢٩)

وقال (إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا^(١)) وقال (وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا^(٢)) وقال تعالى (أَغْرَقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا^(٣)) وقال (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا^(٤)) وقال (فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا^(٥)) وقال (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ^(٦)) وقال (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا^(٧)) إلى غير ذلك من الأدلة القطعية التي كلها صيغ موضوعة للمضي حقيقة فلا وجه للمدول عنها إلى المجازات إلا بصريح آية أو صحيح دلالة وأنى لهم ذلك ؟ .

وفي الصحيحين^(٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْعَدَاةِ وَالْمَشِيئَةِ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وفيهما أيضا أن النبي ﷺ : «رَأَى فِي صَلَاةِ الْكُوفِ النَّارَ فَلَمْ يَرَمْ نَظْرًا أَفْطَمَ مِنْ ذَلِكَ^(٩)» وفي البخاري^(١٠) عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : «اطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» وفيه دلالة على وجودها حال اطلاعها ، ورواه الترمذي^(١١) والنسائي أيضا .

وفي الصحيح^(١٢) (باب صفة النار وأنها مخلوقة الآن) وعن أبي ذر عن النبي ﷺ : «أَبْرَدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ» وعن أبي هريرة رضي الله

- | | |
|----------------------|---------------------------------------|
| (١) الكهف (١٠٢) | (٢) الفرقان (١١) |
| (٣) نوح (٢٥) | (٤) النجم (٦) |
| (٥) النجم (١٣) | (٦) الملك (٥) |
| (٧) غافر (٤٦) | (٨) مسلم (٢١٩٩/٤) |
| (٩) مسلم (٦٢٦/٢) | (١٠) فتح الباري (٥٧/١٤) |
| (١١) الترمذي (١٧٥/٤) | (١٢) فتح الباري (١٣٩/٧) وليس فيه الآن |

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما يجدون من الحر وأشد ما يجدون من الزمهرير» رواه البخاري (١) أي من ذلك النفس.

وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة من فيع جهنم فأبردوها بالماء» رواه البخاري (٢) وفي رواية «من فور جهنم» رواه عن رافع بن خديج (٣).

وكل ذلك يفيد وجود النار الآن، وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والنسائي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «ولقد أُنبتت النار مني حتى لقد جئاتُ أتيتها خشية أن تغشاكم» (٤) الحديث وفي صحيح مسلم (٥) من حديث أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً قالوا: وما رأيتم برسول الله؟ قال «رأيت الجنة والنار».

وفي مسند أحمد ومسلم والسنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال: فرجع إليه وقال فوهزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فأمر بها فحقت

(١) فتح الباري ١٤٢/٧ كلا الحديثين (٣٥٢) الفتح ١٤٣/٧

(٤) المسند (١٩٨/٩) وقال الشيخ شاكر: إسناده حسن ثم يكون صحيحاً

لغيره أبو داود (٢٧٣/١) مختصراً - السنن (١١٢/٣ - ١١٣) واللفظ له

(٥) صحيح مسلم (٣٢٠/١)

بِالْمَكَارِهِ قَالِ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانظُرْ إِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا . قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ
 تَحْدُحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ ، قَالَ
 أَذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِذَا هِيَ بِرُكْبٍ بَعْضُهَا
 بَعْضًا ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَأَمْرٌ بِهَا فَحَفَّتْ
 بِالشَّهَوَاتِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَنْجُو
 مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ، قَالَ الترمذى هذا حديث حسن صحيح ^(١) .

وفي الصحيحين من حديثه أيضاً برقمه : وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُجِبَتِ
 النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ^(٢) ، وفي الباب أحاديث كثيرة ، وقال الشيخ أحمدولى الله الحديث
 الدهلوى فى عقائده : الجنة والنار حق وهما مخلوقتان اليوم باقيتان الى يوم
 القيامة انتهى ، ونحوه ومثله فى الكتب الأخرى المؤلفة فى أصول الدين .

(١) لم نجده فى مسلم ، واثبتنا نص رواية الترمذى (٦٩٣/٤ - ٦٩٤) .

(٢) فتح البارى (١٠٣/١٤) ومسلم (١٣٧٤/٤) .

(باب)

• (في أن النار لا تنفى ولا ينفى ما فيها) •

قال تعالى « أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (النساء ٧٥٧) وهذه الآية في مواضع من القرآن الكريم وقال تعالى « يُدْخِلُهَا نَارًا خَالِدًا فِيهَا » (النساء ١٤) وقال تعالى « لَجْزَاؤُهُمْ فِيهَا خَالِدًا فِيهَا » (النساء ٩٣) وقال تعالى « أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (التوبة ١٧) وقال تعالى : « فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا » (التوبة ٦٣) وقال « فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا » (النحل ٢٩) وهذه في غير موضع من القرآن ، وقال « لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهُمْ وَلَا يَخَافُهُمْ خَالِدُونَ » (الانبياء ٩٩) وقال « فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ » (المؤمنون ١٠٤) وقال « إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي حَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ » (الزخرف ٧٤) وقال : « فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنْتَهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا » (الحشر ١٧) وقال « فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا » (البقرة ٦) وقال « وَمَا هُمْ بِمُخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ » (البقرة ١٦٧) .

ومن ابن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال (يَدْخُلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَوْمُ مَوْذَنٍ يُنْفِخُ فِيهِمْ فَيَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ كُلُّ خَالِدٍ فِيهَا هُوَ فِيهِ) أخرجه الشيخان ^(١) وفي رواية عنه عند هملان في زاد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، وبزاد أهل النار حزناً إلى حزنهم .

ومن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « يُجَاءُ

(١) مسلم (٤/٢٩٨٩) -

بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبِشٍ أَمْلَحَ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ
 فَيَطَّلِمُونَ مُشْفِقِينَ ، وَيُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَطَّلِمُونَ فَرِحِينَ ، فَيُقَالُ هَلْ تَعْرِفُونَ
 هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، فَيَذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ
 خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ فِيهَا ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ فِيهَا ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١)

ومسلم .

وفي هذا عدة أحاديث من أبي هريرة (٢) عند الترمذي وصححه والحاكم
 وابن ماجه ، وعن أنس عند أبي يعلى والبخاري والطبراني وفيه (٣) : « فَيَذْبَحُ كَمَا
 تَذْبَحُ الشَّاةُ قِيَامًا مِنْ هَوْلٍ وَبِنَفْطِخٍ رَجَاءً هَوْلًا » ، ثبت بما ذكر من الآيات
 للصریحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً كل بما هو فيه
 من نعيم وعذاب أليم .

وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة فأجمعوا على أن مذاب الكفار لا ينقطع
 كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع ، ودليل ذلك الكتاب والسنة وزعمت الجهمية
 أن الجنة والنار تفنيان ، قال هذا جهنم بن صفوان إمام المعتزلة وليس له في ذلك
 سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الدين ولا قال به
 أحد من أهل السنة . نعم حكى بعض العلماء في أبدية النار قولين وحاصل
 ذلك كله سبعة أقوال :

(أحدها) قول الخوارج والمعتزلة أن من دخل النار لا يخرج منها أبداً
 بل كل من دخلها يخلد فيها أبداً الآباد .

(الثاني) قول من يقول أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى

(١) البخاري (١١٧/٦ - ٢١٨)

(٢) مخرج ص (١٨٧)

(٣) مخرج ص (١٨٨) .

طبائعهم نارية يتلذذون بالنار ليوافقها لطبائعهم وهذا قول يحيى الدين بن عربي الطائفي في كتابه (فصوص الحكم) وغيره من كتبه .

(الثالث) قول من يقول إن أهل النار يمدبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويختلفهم فيها قوم آخرون وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فكذبهم فيه وقد كذبهم الله تعالى أيضاً في قوله: **وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (البقرة ٨٠ - ٨١) فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين على فساده .

(الرابع) قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً بها ليس فيها أحد يمدب، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن بعض أهل الفرق قال: **والقرآن والسنة يردان هذا القول .**

(الخامس) قول من يقول تنفى النار بنفسها لأنها حادثة كانت بعد أن لم تكن ، وما ثبت حدوثه استحال بقاءه وأبديته ، وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده بين الجنة والنار .

(السادس) قول من يقول تنفى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يمشون بألم . وهذا قول أبي الهذيل العلاف أحد أئمة المعتزلة طراداً لا متناع حوادث لانهاية لها ، والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم .

(السابع) قول من يقول إن الله تعالى يفتنهم لأنه ربها وخالقها ، لأنه

تمالم على زعم أرباب هذا القول جعل لها أمداً تقضى إليه ثم تقضى
ويزول مذاها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية . وقد نقل هذا عن طائفة من الصعابة والتابعين ،
ولشيخ الإسلام وتلميذه الإمام الحق الحافظ ابن القيم رحمهما الله تعالى ركون
إلى هذا القول ، وذكر ابن القيم على تأييده بضعا وعشرين وجهاً ثم قال :
وما ذكرناه في هذه المسألة من صواب فن الله وهو المنان به ، وما كان من
خطأ ففي ومن الشيطان والله ورسوله بريهان منه . والله عند لسان كل قائل
وقصده والله أعلم : انتهى .

وقد ألف العلامة الشيخ مرمى الكرمي الحنبلي رسالة سماها (توفيق
للتفريقين على خلود أهل الدارين) وفي الباب رسالة للسيد الإمام محمد بن اسماعيل
الأمير ، ورسالة للقاضي العلامة المجهد محمد بن علي للشوكاني حاصلها بقاء
الجنة والنار وخلود أهلها فيها ، وهو الحق الذي دلت عليه أدلة الكتاب
والسنة وإجماع الأئمة والأمة والله أعلم .

قال القرطبي : أجمع علماء أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها
غير خارجين منها كإبليس وفرعون وهامان وقارون وكل من كفر وتكبر
وطغى ونجبر فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، وقد وعدم الله عذاباً
أبداً قتل عز وجل : (كَلَّمَ نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَامٍ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَفُوتُوا
الْقَذَابَ) وأجمع أهل السنة أيضاً على أنه لا ينهى فيها مؤمن ولا يخلد فيها
إلا كافر جاحد . فاعلمه .

وقد زل هنا بعض من ينتمى إلى العلم والعلماء : فقال إنه يخرج من النار

كل كافر ومبطل وشيطان وجاحد ويدخل الجنة وإنه جائز في العقل أن تنقطع صفة الغضب ، فيعكس عليه فيقال وكذلك جائز في العقل : أن تنقطع صفة الرحمة فيلزم عليه أن تدخل الأنبياء والأولياء النار بمذبون فيها ، وهذا فاسد مردود بوعده الحق وقوله الصدق قال تعالى في حق أهل الجنان « عَطَاءٌ فَيْرٌ مَجْدُوزٍ » (هود ١٠٨) أى غير متطوع وقال « وَمَا مِمَّنْ مِنْهَا يُمَخَّرَجِينَ » (الحجر ٤٨) وقال : « لَمْ أَجْرُ فَيْرٌ مَمْنُونٍ » (الانشقاق ٢٥) وقال : « لَمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » (التوبة ٢١-٢٢) وقال في حق الكافرين « لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَلْدُ فِي سَمِّ الْخِلْيَاطِ » (الأعراف ٤٠) وقال « فَأَلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ » (الجناتية ٣٥) وهذا واضح .

وبالجملة فلا مدخل للمقول فيمن اقتطع أصله بالإجماع والنقول . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، انتهى .

لعل القرطبي أراد بقوله « زل هنا بعض » الشيخ محيي الدين بن عربي صاحب الفتوحات فإنه ذهب إلى ذلك وتبعه من تبعه من علماء الشريعة ، وبناء هذا القول على أنه ترجح في أنظارهم سبق رحمة الله على غضبه كما ورد بذلك الحديث الصحيح في البخاري وغيره وعلى أن الخلاف في الوعد جائز وفي الوعد لا يجوز ، ولكل وجهة هو موليها ، ولكن لا ريب في أن ظاهر النظم القرآني وواضح النص السني : خلود كل من أهل النار والجنة في كل من الجنة والنار . وهو الحق المطابق بالأدلة الشرعية المجمع عليها المصار إليها . والله أعلم وعلمه أتم وأحكم .

• (مسئلة) • سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله عن حديث روى عن أنس بن مالك من النبي ﷺ أنه قال « صبة لا تموت ولا تنفى

ولا تذوق الفناء . النار وسكانها ، والجنة وسكانها والروح والنم والكرمي
والعرش ، فهل هذا الحديث صحيح أم لا :

فأجاب رحمه الله : هذا الحديث بهذا اللفظ ليس من كلام النبي ﷺ
وإنما هو من كلام بعض العلماء ، وقد اختلف سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل
السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفي بالكلية كالجنة
والنار والعرش وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل
الكلام البعثة كالجهنم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم وهذا قول
باطل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها ، وقد دلت
الأدلة على بقاء الجنة والنار وأهلها وبقاء غير ذلك ، وقد استدل طوائف
من أهل الكلام والمفلسفة على امتناع فناء جميع المخلوقات بأدلة عقلية . انتهى
ولا ينسج للقام قد كرها منا .

(باب)

(في ذكر مكان النار ، وأين هي ؟ على منتهى الآثار : وكفا مكان الجنة)

فاعلم أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن كما قال تعالى في حكم القرآن « وَلَقَدْ رَأَوْا نَزْلَةَ أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ » النجم (١٣-١٥) وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة : وقال تعالى : « وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ » (القدريات ٢٢) قال مجاهد هو الجنة ، ونقله الناس عنه رواه ابن أبي نجیح ، وفي رواية عنه : هو الجنة والنار . حكاه ابن المنذر في تفسيره (١) .

ومن عبد الله بن سلام قال : « إن أكرم خليفة الله أبو القاسم عليه السلام وإن الجنة في السماء » أخرجه أبو نعيم (٢) ، وعنده أيضاً عن ابن عباس « أن الجنة في السماء السابعة » ويجعلها الله تعالى حيث شاء يوم القيامة ، وجهنم في الأرض السابعة » وعن ابن مسعود رضي الله عنه « الجنة في السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء والنار في الأرض السابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء » أخرجه ابن منده (٣) .

وقال مجاهد قلت لابن عباس « أين الجنة ؟ قال فوق سبع سموات ، قلت فأين النار ؟ قال تحت سبعة أبحر مطبقة » (٤) رواه ابن منده ، قال الشوكاني في

(١) ذكره ابن القيم بإسناده عنه (٤٣) حادي الأرواح - ولوامع

الأنوار (٢٣٧) .

(٢) و(٣) ذكره ابن القيم بإسناده عنه (٤٤) ولوامع الأنوار للبيهقي (٢٣٧) .

(٤) ذكره ابن القيم بإسناده (٤٤) ولوامع الأنوار (٢٣٧) .

فتح القدير: والأولى الحل على ما هو الأعم من هذه الأقوال فإن جزاء الأعمال مكتوب في السماء والقدر والقضاء ينزل منها والجنة والنار فيها. انتهى (١)

ومن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن جهنم محيطة بالديار. وإن الجنة من وراءها فلذلك كان الصراط على جهنم طريقاً إلى الجنة» أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢)

ومن معاذ بن جبل رضي الله عنه سئل رسول الله ﷺ من أين يجاء بهم يوم القيامة؟ قال: «يجاء بها من الأرض السابعة لها سبعون ألف زمام يتعلق بكل زمام سبعون ألف ملك تصيح إلى أهلها فإذا كانت من العباد على مسيرة مائة سنة زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه يقول رب نفسي نفسي» وأخرجه جوير في تفسيره (٣)

ومن يعلى بن أمية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «البحر هو وجههم» أخرجه أحمد والبيهقي بسند رجاله ثقات (٤) وعن سعيد بن أبي الحسين قال: «البحر طبق جهنم» أخرجه أحمد في الزهد، وعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: «ما رأيت يهودياً أصدق من فلان زعم أن نار الله الكبرى هي البحر فإذا كان يوم القيامة جمع الله فيه الشمس والقمر والنجوم ثم بعث عليه الدبور فدمرته». أخرجه أبو الشيخ في العظمة والبيهقي من طريق سعيد بن

(١) فتح القدير (٨٥/٥) بنحوه ، والسياق في توضيح معنى « ما توعدون » من قوله تعالى : « وفي السماء رزقكم وما توعدون » .
 (٢) ذكر أخبار أصبهان (٩٣/٢) ، وقال ابن رجب (٤٧) : غريب منكر
 (٣) قال محققو لوامع الأنوار : بل فيهم من لم يوثق توثيقاً معتمداً (٢٢٨)
 (٤) كذا قال الهيثمي (٢٨٦/١٠) (٥) لوامع الأنوار (٢٣٨)

وعن كعب في قوله تعالى: «وَالْبَحْرِ الْمَجْجُورِ» (الطور ٦) قال البحر يسجر فيصير جهنم . أخرجه أبو الشيخ وعن وهب بن منبه أنه قال : إذا قامت القيامة أمر بالفاق فيكشف عن سقر وهو غطاؤها فتخرج منه نار فإذا وصلت إلى البحر المطبق على شفير جهنم وهو بحر البهور نشفته أسرع من طرف العين وهو حاجز بين جهنم والأرضين السبع ، فإذا نشفت اشتعلت في الأرضين السبع فتدعها جرة واحدة . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان .

وقيل إن النار في السماء كالجنة لما روى أحمد من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أتيت بالبراق فلم تزايل ظهره أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت لنا أبواب السماء وأتيت الجنة والنار » وأخرج أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي السَّمَاءِ » وقرأ هذه الآية « وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ » (الذاريات ٢٢) فكانني لم أقرأها .

قال السفاريني : « وليس في هذا ونحوه حجة على أن النار في السماء لجواز أن يراها في الأرض وهو في السماء ، وهذا الميت يرى وهو في قبره الجنة والنار وليست الجنة في الأرض ، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم رآها في صلاة الكسوف وهو في الأرض .

قال الحافظ ابن رجب وحديث حذيفة إن ثبت [وفيه أنه رأى الجنة والنار في السماء] فالسماء ظرف للرؤية لا للرئي . وفي حديث ضعيف جداً أنه (ﷺ)

(١) قال المناوي : باسناد حسن (١٦/١) الجامع الأزهر .
 (٢) نقله ابن رجب من رواية المروزي عنه ، وذكر قوله : وهو تصديق لما قاله حذيفة وعزاه للخلال في كتاب السنة ، ثم قال ابن رجب : وهذا اللفظ الذي احتج به الإمام أحمد لم تقف عليه بعد في حديثه ، وإنما ورد عنه ما تقدم (٤٧-٤٨) .

رأى الجنة والنار فوق السموات فلو صح حمل على ما ذكرنا .

والحاصل أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش ، وأن النار في الأرض السابعة على الصحيح المعتمد وبالله التوفيق « انتهى ^(١) .

أقول : قال السيوطي في إتمام الدراية شرح النقاية : وتمدّد أن الجنة في السماء وقيل في الأرض وقيل بالموقف حيث لا يعلمه إلا الله ، والذي اخترته هو المفهوم من سياق القرآن والحديث كقوله تعالى في قصة آدم (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا) وفي الصحيح ^(٢) : « سَلُوا اللَّهَ الْفَرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَنْجِرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » وفي صحيح مسلم ^(٣) : « أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خَضِرٍ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ » ونقف عن النار أي نقول فيها بالموقف أي محلها حيث لا يعلمه إلا الله ، فلم يثبت عندي حديث أعتمده في ذلك وقيل تحت الأرض لما روى ابن عبد البر وضمّفه من حديث ابن عمر مرفوعاً لا يركب البحر إلا غاز أو حاج أو معتمر فإن تحت البحر ناراً . وروى عنه أيضاً موقوفاً لا يقوضاً بماء البحر لأنه طبق جهنم . وضمّفه ، وقيل هي على وجه الأرض لما روى وحب أيضاً قال : قال : أشرف ذو القرنين على جبل قاف فرأى تحته جبالاً صفراءً — إلى أن قال — يا قاف أخبرني عن عظمة الله فقال إن شأن ربنا لعظيم . إن ورأى أرضاً مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال تلج بحطم بعضها بعضها ولولا هي لاحتزقت من جهنم .

(١) ص (٢٣٩) لوامع الأنوار البهية.

(٢) لفظ مسلم : « أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ »

(٣) البخاري (١٩/٤ - ٢٠) وفيه : فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه

أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن .

وروى الحارث بن أسامة في مسنده عن عبد الله بن سلام قال : « الجنة في
 السماء والغار في الأرض » وقيل محلها في السماء . انتهى كلام السيوطي ومثله
 في التذكرة لقرطبي قال : فهذا يدل على أن جهنم على وجه الأرض والله أعلم
 بموضعها وأين هي من الأرض . انتهى .

وقال الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في عقيدته : ولم يصرح نص
 بتعيين مكانها بل حيث شاء الله تعالى إذ لا إحاطة لنا بخلق الله وعوالمه ، انتهى .

أقول وهذا القول أرجح الأقوال وأحوطها إن شاء الله تعالى .

(باب)

* (في آيات من الكتاب العزيز وردت في جهنم) *

قال القرطبي في التذكرة: « ذكر الله تعالى النار في كتابه ووصفها وأخبر بها على لسان نبيه ﷺ ونعتها وأوعدها بها الكافرين وخوف العتاة والمتمردين والمعصاة من الموحدين ليزجروا عما نهام ، والآي في هذا المعنى كثيرة » انتهى . وهذا الكثير أذكره في بابين فهذا الباب أوردت فيه ما ورد من ذكر النار في الكتاب ثم أتبعه بباب آخر أذكر فيه ما ورد في صفة النار وأهلها وإن كان في هذا الاختيار والترتيب بعض التكرير وبالله التوفيق .

قال تعالى: « قَاتِلُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » . (البقرة ٢٤) الوقود بالفتح الحطب وبالضم التوقد وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها . وفي هذا من التهويل ما لا يقادر قدره من كون هذه النار تنفذ بالناس والحجارة فاوقدت بنفس ما يراد إحراقه بها ، ومعنى (أُعِدَّتْ) جمعت عدة لعذابهم وهيئت كذلك قاله ابن عباس .

وعن أنس قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فقال: « أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يظنأ لها فيها » أخرجه ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وأخرج

ابن أبي شيبة والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً منه
وأخرج أحمد ومالك والبخاري ومسلم عنه بلفظ أن رسول الله ﷺ
قال (نَارُ بَيْ آدَمَ الَّتِي يُوقَدُونَ جُزءً مِنْ سَبْعِينَ جُزءً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ . فَقَالُوا
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ قَالِ فَإِنَّهَا قَدْ فَضَلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزءً
كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا ^(١) .

وعن أبي هريرة قال: « ترونها حراء مثل ناركم هذه التي توقدون ، إنها
لأشد سواداً من النار » قال الشوكاني في فتح القدير : والآية دلت على أنها
مخلوقة إذ الأخبار عن إمدادها بلفظ الماضي دليل على وجودها وإلا لزم الكذب
في خبر الله تعالى ، فازهمت المعتزلة من أنها مخلوقة يوم الجزاء مردوداً وتعلم بأنه
يعبر عن المستقبل بالماضي لتحقيق الوقوع ومثله كثير في القرآن مدفوع بأنه خلاف
الظاهر ولا يصار إليه إلا بقريظة والأحاديث الصحيحة المتقدمة تدفعه . انتهى .
وقال تعالى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ » . (البقرة ٣٩) أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها والخلد والخلود :
البقاء الدائم الذي لا ينقطع وقد يستعمل مجازاً فيما يطول : دام أو لم يدم ، والمراد
هنا الأول لما تشهد له الآيات والأحاديث .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لو قيل لأهل النار إنكم
ما كنتم في النار عدد كل حصة في الدنيا ففرحوا ولو قيل لأهل الجنة إنكم
ما كنتم عدد كل حصة لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد » . أخرجه الطبراني ^(٢)
وابن مردويه وأبو نعيم وقال ابن عباس يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقم
على أهلها أبداً لا ينقطع له .

(١) - مسلم (٢١٨٤ / ٤) - البخاري (١٤٧ / ٤)

للوطأ (٦١٤) واللفظ له ما عدا : « كلهن مثل حرها » البخاري ومسلم .

(٢) مجمع الزوائد (٣٩٦ / ١٠) قال الهيثمي : فيه الحكيم بن ظهير وهو مجمع على ضعفه .

وقال تعالى : « وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً » (البقرة ٨٠) أى قدرأ مقدراً يحصرها المدد ويلزمها في المادة القلة ثم يرفع عنا العذاب قاله اليهود، وفي سبب نزولها في الحديث قال رسول الله ﷺ : « كذبتهم بل أنتم خالدون مخلدون فيها »^(١) ، قاله عكرمة، وهذه الآية في مواضع من القرآن .

وقال تعالى : « وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ » (البقرة ١١٩) وهي النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق نار ، وقال أبو مالك : الجحيم ما عظم من النار ، وقال تعالى : « وَمَنْ كَفَرَ فَأُمِّقْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (البقرة ١٢٦) ما رزقه في الدنيا مدة حياته ثم أزره^(٢) المضطر إلى عذابها .

وقال تعالى : « وَمَا لَهُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ » (البقرة ١٦٧) فيه دليل على خلود الكفار في النار وظاهر هذا التركيب يفيد الاختصاص وجعله الزمخشري للتقوية لغرض له يرجع إلى المذهب والبحث في هذا بطول ، وعن ثابت بن معبد قال : « ما زال أهل النار يأملون الخروج منها حتى نزلت هذه الآية » .

وقال تعالى : « أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ » (البقرة ١٧٤) ذكر البطون دلالة وتأن كيداً على أن هذا الأكل حقيقة ، وقال تعالى : « قَدْ أَصْبَرْنَا عَلَى النَّارِ » (البقرة ١٧٥) معناه التمتع والمراد تعجب الخلق من حال هؤلاء الذين باثروا الأسباب الموجبة لعذاب النار فكأنهم بهذه المباشرة للأسباب صبروا على العقوبة في نار جهنم .

وقال تعالى : « وَقَيْنَا عَذَابَ النَّارِ » (آل عمران ١٦) وقال تعالى : « وَإِذَا

(١) أورده ابن جرير (٢٧٧/٢) عن عكرمة مرسلًا فلذلك قال الشيخ

شاكر : وهو حديث مرسل لا تقوم به حجة .

(٢) أَلْزَمَهُ : أَلْزَمَهُ أَيَّامَهُ ، وَاللَّزَزُ : الشَّدَّةُ ، وَكَزَّهُ يَلْزُهُ لَزًّا وَكَزَزًا أَيَّ شَدَّةً وَالصَّقَّةُ . قاله في اللسان .

قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمُهَادُ » (البقرة ٢٠٦) .
 أى كافية معاقبة وجزاء وسميت مهاداً لأنها مستقر الكفار ، وقيل أنها بدل
 لم من مهاد والمهاد الفراش ، قال مجاهد : بثما مهدوا لأخضهم ، وقال ابن عباس :
 بنس المنزل وهذا من باب التهمك والاستهزاء .

وقال تعالى : « أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ » (البقرة ٢٢١) أى إلى الأعمال
 الموجبة للنار فكان في مصاهرة المشركين ومعاشرتهم ومصاحبتهم من الخطر
 العظيم ما لا يجوز المؤمنين أن يتعرضوا له ويدخلوا فيه ، وقال تعالى :
 « وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ » (آل عمران ١٠) أى حطب جهنم الذى تسع به ،
 وقال تعالى : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمُهَادُ)
 (آل عمران ١٤) الجملة مسعاً نفة تهويلاً وتفظيماً أى بنس ما مهد لهم فيها ،
 وقال تعالى : « وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا » (آل عمران ١٠٣)
 وشفأ كل شيء حرفة أى كنتم على طرفها من مات منكم وقع في النار فهت الله
 محمداً ﷺ واستنقذكم به من تلك الحفرة .

وقال تعالى : « وَأَنْتُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرْتُمْ وَأَنْتُمْ فِي النَّارِ » (آل عمران ١٣١) .
 قال بضمهم إن هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعدها الله المؤمنين بالنار
 المدة للكافرين إن لم يتقوه ويحذروا محارمه ، وقال تعالى : « وَمَا أَوْاهُمُ النَّارُ
 وَبِئْسَ مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ » (آل عمران ١٥١) أى مسكنهم الذين يستقرون
 فيه وكلمة « بئس » تستعمل في جميع المذام ، وفي جملة ما أوام بعد جعلها
 « ما أوام » رمز إلى خلودهم فإن المثوى مكان الإقامة المنبثقة عن المكث ،
 والمأوى المكان الذى يأوى إليه الإنسان ، وقدم المأوى على المثوى
 لأنه على الترتيب الوجودى يأوى ثم يثوى .

وقال تعالى : « وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (آل عمران ١٦٣) أي المرجح
 يعني اللعاب والمختلف عن رسول الله ﷺ : وقال تعالى : « ذُوقُوا عَذَابَ
 الْحَرِيقِ » والحريق اسم للنار الملتببة وإطلاق الذوق على إحساس العذاب فيه
 مبانة بلوفة ، وقال تعالى : « فَمَنْ رُحِزَ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ »
 (آل عمران ١٨٥) الزحزحة التفتحة والإبعاد ، وقال تعالى : « سُبْحَانَكَ
 قِنْنَا عَذَابَ النَّارِ . رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
 أَنْصَارٍ » (آل عمران ١٩١ - ١٩٢) قال الفضل أخزيته أهلكته . وقيل
 فضحته وأبعدته ، قال سعيد بن المسيب : هذه الآية خاصة بمن لا يخرج منها .

وقال تعالى « إِمَّا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا » (النساء ١٠) المراد بأكلها
 ما يكون سبباً للنار ، تعبير بالسبب عن السبب ، قيل بطونهم أوعية النار وهذا
 على الحقيقة كما تقدم .

وقيل بالجواز والأول أولى ، وقال تعالى « وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا » (النساء ١٠)
 أي بأكلهم أموال اليتامى والصلحاء هو التسخن بقرب النار أو بمباشرتها ،
 والسمير الحجر المشتعل وقيل النار الموقدة ، وقال تعالى : « وَمَنْ يَتَمَنَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ
 وَيَعْمَدُ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِجًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ » (النساء ١٤) وله
 بعد إدخاله النار عذاب ذو إهانة لا يعرف كنهه . ولا دليل في الآية للمعتزلة
 على أن العصاة والفساق من أهل الإيمان يخلدون في النار ، قال تعالى :
 « فَذُوقْ نَصِيبَ نَارٍ » أي عظيمة يحترق فيها . وقال تعالى : « وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ
 سَعِيرًا » أي ناراً مسعرة لمن لا يؤمن . وقال تعالى « سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا مُلَاقًا
 نَصِيبَتْ جُلُودَهُمْ بِدَلَنَاهُمْ جُلُودًا فَهِيَ هَالِكَةٌ لِيُذُوقُوا الْعَذَابَ » (النساء ٥٦) أي آتيانهم
 مكان كل جلد محترق جلدًا آخر غير محترق فإن ذلك أبلغ في العذاب .

لاشخص لأن إحساسه لعمل النار في الجلد الذي لم يحترق أبغ من إحساسه لملامها في الجلد المحترق ، قال معاذ تبدل في ساعة مائة مرة .

وعن ابن مسعود أن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً وقال الحسن^(١) : تأكلهم النار في كل يوم سبعين ألف مرة ، وقال تعالى : « وَمَنْ يَقُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا لَنْجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا » (النساء ٩٣) وليس وراء هذا التشديد تشديد ، ولا مثل هذا الوعيد وعيد .

وقال تعالى : « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (النساء ١١٥) .

وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على حجية الإجماع ولا حجة في ذلك كما قرره الشوكاني في كتبه وقررت به أنا في فتح البيان ، وقال تعالى : « وَأُولَئِكَ مَاوَأُمَّ جَهَنَّمَ وَلَا يَحْدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا » (النساء ١٢١) أي معدلا وقيل ملجأ ومخاضاً ومعيداً ومهرباً ، والمحيص اسم مكان وقيل مصدر .

وقال تعالى : « أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَأُمَّ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (النساء ٩٧) أي مكانا بصيرون إليه ، والآية تدل على أن من لم يتمكن من إقامة دينه في بلد كما يجب بأي سبب كان وعلم أنه يتمكن من إقامة في غيره حقت عليه الهجرة ، وفي الباب أحاديث ذكرناها في خاتمة كتاب (الهجرة بما جاء في الفزوة والشهادة والهجرة) فراجع .

وقال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا » (النساء ١٤٠) أي كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستمراء ، وقال تعالى : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

(١) ذكره الألويسي (٥٩/٥) روح المعاني - نتخ البيان (٣٠٢/٢)

فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا» (النساء ١٤٥) أى فى الطباق الذى
فى قعر جهنم ، والدرك الطباق ، والنار دركات سبع بعضها فوق بعض ،
وسميت طبقاتها دركات لأنها متداركة متتابعة .

فالمنافق فى الدرك الأسفل منها وهى الهاوية لفاظ كفره وكثرة غوائله ،
وأعلى الدركات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وسيأتى
تفصيل لذلك ، وقد يسمى جحيمها باسم الطبقة العليا ، أما ذناب الله منها وقيل الدرك
بيت مقفل عليهم تنوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم .

ولما كان المنافق أشد عذاباً من الكافر لأنه آمن السيف فى الدنيا
فاستحق الدرك الأسفل فى الآخرة تعديلاً ، ولأنه مثله فى الكفر وضم
إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله ، قال ابن مسعود^(١) : الدرك الأسفل
تواييت من حديد مقفلة عليهم وفى لفظ مبهم عليهم أى مقفلة لا يهتدى
لمكان فتحها . وعن أبى هريرة نحوه^(٢) .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَفْتَرَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ
طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » (النساء ١٦٨ - ١٦٩) وللمنى
يدخلهم جهنم لكونهم اافترقوا ما يوجب لهم ذلك بسوء اختيارهم وفرط
شقائهم وجحدوا الواضح وعاندوا البين .

وقال تعالى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ »
(المائدة ٨٦) أى ملابسوها ، والجملة مستأنفة أى بها اسمية دالة على الثبوت

(٢٤١) ذكره بإسناده ابن كثير ٢/٣٩٣ - فتح البيان (٢/٣٩٥)

والاستقرار ، وهذه الآية نص قاطع في أن الخلود ليس إلا لكفار ، لأن
المصاحبة تقتضى الملازمة .

وقال تعالى: «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبْنِيَنَّ بَنِيَّ وَأِيْمَانِكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ،
وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ » (المائدة ٢٩) أى من الملازمين لها ، قال تعالى: «يُرِيدُونَ
أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُعِيمٌ » (المائدة ٣٧)
أى دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل أبداً .

وقد تواترت الأحاديث تواتراً لا يخفى على من له أدنى إلمام بعلم الرواية
بأن عصاة الموحدين يخرجون من النار ، فن أنكر هذا فليس بأهل المناظرة
لأنه أنكر ما هو من ضروريات الشريعة .

وقال تعالى: «إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ »
(المائدة ٧٤) أى مصيره إليها فى الآخرة .

وقال تعالى: «وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ » (الأعراف ٢٧) أى حبسوا عليها
وقيل أدخلوها وقيل بقربها معاينين لها ، والتقدير رأيت منظرًا هائلًا وحالًا
فظيعًا وأمرًا عجيبًا .

قال تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌ مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ » (الأنعام ٧٠) والحميم الماء الحار البالىغ نهاية الحرارة ،
ومثل قوله تعالى: «بُصْبُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ الْحَمِيمُ» (الحج ١٩) وهو هنا شراب
يشربونه فيقطع أمعاءهم .

وقال تعالى: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ» (الأعراف ١٨) وفى هذا من
التهديد ما لا يقادر قدره ، وقال تعالى: «لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِمَّا دُونِ نَارِهِمْ غَوَاشٍ»

(الأعراف ٤١) جمع غاشية أي نيران تحيط بهم من تحنهم وتفساهم من فوقهم كالأفطية، قال ابن عباس: الفواش المحف، وبه قال القرظي والضحاك والسدي^(١).
 وقال تعالى: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» (الأعراف ١٧٩) أي اجعلهم سبحانه للآثار بعدله وبعمل أهلها يعملون وقد علم ما هم عاملون قبل كونهم كائنت في الأحاديث الصحيحة.

ومن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن الله لما ذرأ جهنم من ذرأ كان وه الزنا من ذرأ جهنم» أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن النجار^(٢).

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ النَّارَ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ» أخرجه مسلم^(٣).

وقال تعالى: «وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ» (الأنفال ١٤) إشارة إلى العقاب الآجل الذي أعدّه الله لهم في الآخرة، وقال تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْمَرُونَ» (الأنفال ٣٦) أي يساقون إليها لا إلى غيرها والمراد المستمررون على الكفر.

وقال تعالى: «فَيَجْعَلُهُ» أي الفريق الخبيث «فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (الأنفال ٣٧) أي الكاملون في الخسران.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٧/٧) - فتح البیان (٣٣٢/٣)
 (٢) تفسير الطبري (١٣١/٨) والراوى عن ابن عمرو مجهول، فلا تقوم بهذا الخبر حجة.
 قال ابن الديبع في تمييز الطيب (١٨٣): ولد الزنا لا يدخل الجنة: بدور على الألسنة، ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونص الفيروزآبادى في سفر السعادة (١٤٥): على أن هذا الباب لم يثبت فيه شيء، وهو باطل.
 (٣) مسلم (٢٠٥٠/٤)

وقال تعالى: « وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » (الأنفال ٥٠) أى المحرق والدوق قد يكون محسوساً وقد يوضع موضع الابتلاء والاختبار .

وقال تعالى: « أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ » (التوبة ١٧) وفي هذه الجملة الإسمية مع تقديم الظرف المتعلق بالخبير تأكيدياً لضمونها . وقال تعالى: « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالنَّصَّاءَ وَلَا يَتَّبِعُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ، هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَكْنِزُونَ » التوبة (٣٥ - ٣٦) .

والإشارة بالعذاب من باب التهمك بهم وأن النار توقد على ما ذكر من الأعضاء وهي ذات حمى وحر شديد، وقال تعالى: « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَهِيَ ظِلَّةٌ بِالسَّكَّافِينَ » أى مشتقة عليهم من جميع الجوانب لا يجدون عنها مخلصاً ولا يتمكنون من الخروج منها بحال من الأحوال ، وهذا وعيد لم على ما فعلوا ، وقال تعالى: « أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ » (التوبة ٦٣) أى يخالفهما وأصل الحادة وقوع هذا في حد وذلك في حد ، وقال تعالى: « وَعَذَابُ اللَّهِ لِلْمُنَاقِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّعِيمٌ » (التوبة ٦٨) أى نوع آخر من العذاب غير النار دائم لا ينفك عنهم كالزمهرير وللمنى يصلونها مقيمين فيها مقدرين الخلود والنار كافيههم جزاء وعقاباً لا يحتاجون إلى زيادة على عذابها .

وقال تعالى: « قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ » (التوبة ٨١) أى حراً كثيراً في زمن كبير بل غير متناه أبد الأبدية ودمر الدهارين ، وقال تعالى: « وَمَا أَوْأَمُّ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (التوبة ٩٥) والمأوى كل مكان يأوى إليه ليلاً أو نهاراً .

وقال تعالى: « أَفَنَ أَسَسُ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنِ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنِ
 أَسَسُ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شِقَاجِرٍ فَهَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ » (التوبة ١٠٩) والشفا الشفير يقال
 أشفا على كذا إذا دنا منه وقرب أن يقع فيه والجرى ما ينجرف بالسيول
 وهي الجوانب التي تنحرف بالماء ، وقيل السكان الذي أكل الماء تحته فهو إلى
 السقوط قريب ، وقيل للهرم التي لم تطو ، وقيل هو الهوة ، والاجتراف اقتلاع
 الشيء من أصله والمهار الساقط .

قال ابن عباس أي صهرهم ففاقهم إلى النار وجاء بالانهيار الذي هو للجرى
 ترشيحاً للمجاز ، فسبحان الله ما أبلغ هذا الكلام وأقوى تراكيبه وأوقع معناه
 وأفصح مبناه، وقال تعالى: « مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أُصْحَابُ الْجَحِيمِ » (التوبة ١١٣)
 فيه انتهى عن الاستغفار للمشركين الذين هم أهل النار .

وقال تعالى: « لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ » (بونس ٤) وهو الماء الحار
 الذي قد انتهى حره وكل مسخن عند العرب فهو حميم ، وقال تعالى: « أُولَٰئِكَ
 الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »
 (هود ١٦) الآية خاصة بالكفار ، وقال تعالى: « وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ » أي بالنبي
 أو القرآن « مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ » (هود ١٧) أي من أهل النار لا محالة
 وفي جمل النار موعداً اشعار بأن فيها ما لا يحيط به الوصف من أفانين العذاب .
 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِي لَفَسُ
 مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ
 بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ » أخرجه البغوي بسنده^(١) . قال
 سعيد بن جبير^(٢) ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت

(١) عزاه في مشكاة المصابيح لصحيح مسلم (٦٧/٢) وهو في مسلم (١٣٤/١)

(٢) نقله ابن كثير (٢٤٦/٤) بنحوه . وهو في فتح البيان (٣٣٨/٤)

مصدقه في كتاب الله حتى بلغني هذا الحديث قلت أين هذا في كتاب الله؟ حتى
أثبت على هذه الآية .

وقال تعالى: « وَلَا تَزْكُورُوا إِلَى الْإِذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ » (هود ١١٣) وفيه أن
الظلمة أهل النار ومصاحبة النار ترجب لا محالة مسما ، وهذا فيمن ركن إلى من
ظلم فكيف بالظالم نفسه ؟ وقال تعالى: « وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ
الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمِينَ » (هود ١١٩) أي ممن يستحقها من الطائفين .

وقال تعالى: « وَأَوْلِيكَ الْأَخْلَالُ فِي أَصْقَابِهِمْ وَأَوْلِيكَ أَصْحَابُ النَّارِ مُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ » (الرمدة ٥) جمع غُل بالضم وهو طوق من حديد يجمل في العنق وتشد به
اليدين إلى العنق أي يغلقون بها يوم القيامة كما يقاد الأسير ذليلا بالنقل ، وقال تعالى:
« وَعُقِيَ الْكَافِرِينَ النَّارُ » (الرمدة ٣٥) أي ليس لهم عاقبة ولا منهي إلا ذلك .

قال تعالى: « مِنْ ذُرِّيَّتِهِ جَبَّ مُمْ » (إبراهيم ١٦) أي من بعده وقيل من أمامه
« وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ » (إبراهيم ١٦) أي ما يسيل من الجلود واللحم ، وهو
دم مختلط بقيح يسيل من جلد الكافر ولحمه . وقال مجاهد^(١) هو القيح والدم ،
وقال القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة يسفاه الكافر « يَجْعَرُهُ وَلَا يَكَادُ
يُسِيئُهُ » (إبراهيم ١٧) أي يبتلعه .

ومن أبي أمامة^(٢) عن النبي ﷺ قال: « يُقَرَّبُ إِلَى فِيهِ فَيَسْكُرُهُ فَإِذَا أُذِنَ
مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فَرْوَةٌ رَأْسِهِ فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ
يَقُولُ اللَّهُ « وَسُقُوا مَاءً حَيْثَا قَطَعَ أَمْعَاءُهُمْ » (محمد ١٥) ويقول: « وَإِنْ يَسْتَفْهِمُوا

(١) نقله عنه ابن كثير (٤/٤٠٤) . فتح البيان (١٣٠/٥ - ١٣١)

(٢) للترمذي (٤/٧٠٥) وابن كثير (٤/٤٠٤) من الإمام أحمد .
وخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٢٥١) وصححه على شرط مسلم وأقره
الذهبي .

يُفَانُوا بِمَاءِ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (الكهف ٢٩)
 أخرجه أحمد والترمذي واستقر به والنسائي وابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن
 مردويه والبيهقي وأبو نعيم في الحلية .

« وَبِأَنبِيهِ لِلْوَيْتِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ » (إبراهيم ١٧) أى من كل جهة من الجهات
 الست أو من كل موضع من مواضع بدنه ، والمراد بالموت البلاء الذى يصيب
 الكافر فى النار سماه موتاً لشدة (وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) حقيقة فيستريح وقيل تعلق
 نفسه فى حنجرتة فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فيحيا ،
 ومنه قوله : « ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا » (الأمل ١٣) وقيل ما هو بميت لتطاول
 شدائد الموت به وامتداد سكراته عليه « وَمِنْ وَرَائِهِ مَذَابٌ غَلِيظٌ » (إبراهيم ١٧)
 أى شديد يستقبل فى كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه ، قيل هو الخلود فى النار
 وقيل حبس الأنفاس .

وقال تعالى : « أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْلَهُمْ
 دَارَ الْبُورِ . جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارِ » (إبراهيم ٢٨) أى قرارهم فيها ، أو بئس
 المقر جهنم ، والبوار الملاك ؛ وقال تعالى : « لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ »
 (النمل ٦٢) أى مقدمون إلى النار ، وقيل متروكون منسيون فيها ، وقيل
 معجلون إليها ، وقيل مسرفون فى الذنوب ، وقرئ بكسر الراء أى مضميئون
 أمر الله .

وقال تعالى : « وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا » (الإسراء ٨) أى سجنًا
 ومحبسًا لا يخلصون عنها أبداً ، وقيل فراشاً ومهاداً ، وقال تعالى : « ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ
 جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا » (الإسراء ١٨) أى ملوماً من الخلق مطروداً
 من رحمة الله مبعداً عنها ، وقال تعالى : « وَلَا تَجْمَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَّا آخِرَ فَخْلَتِي فِي

جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا» (الإسراء ٣٩) ومعناه ما تقدم آتفاً، وقال تعالى: «فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا» (الإسراء ٦٣) أى وانفراً مكلاً ، وقيل بإضمار تجازون .

وقال تعالى: «وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا» (الكهف ١٠) أى أظهرناها حق شاهدها يوم جميعاً لهم ، وفى ذلك وعيد للكفار عظيم لما يحصل لهم عند مشاهدتها من الفزع والروعة ، وقال تعالى: «إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا» (الكهف ١٠٢) يتقدمون به عند ورودهم ، والنزل المأوى والنزل ، والمعنى أن جهنم معدة لهم كما يعد النزل للضيف .

وقال تعالى: «يُنْمِئُ لِنَعُصْرَتِهِمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا» (مريم ٦٨) أى جانين على ركبهم لما يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب ، وقيل جثيا أى جماعات ، وقال ابن عباس قموداً . وقال تعالى: «وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» (مريم ٧١) أى النار «كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا» أى أمراً محتوماً لازماً قد قضى سبحانه أنه لا بد من وقوعه لا محالة بمقتضى حكمته لا بإيجاب غيره عليه .

وقد وردت أحاديث تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار وهى معروفة ، وقال تعالى: «وَنَسُوقُ الْجَزِيمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا» (مريم ٨٦) أى مشاة عطاشاً ، قيل يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء ، وقال تعالى: «إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَبُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا» (طه ٧٤) وهذا تحقيق لكون مذابه أبى وقال تعالى: «وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» (الأنبياء ٢٩) أى الواضعين الإلهية والعبادة فى غير موضعها .

وقال تعالى: «لَا يَكْفُرُونَ مَنْ وُجِّهَ بِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنِ ظُهُورِهِمْ» (الأنبياء ٣٩)

أى لا يقدر على دفعها من جانب من جوانبهم ، وقال تعالى : « إِنَّكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ » (الأنبياء ٩٨) أى وقود النار وحطبها . وكل ما أوقدت به النار أو هيبتها فهو حصب قاله الجوهرى ، وقال أبو عبيدة . كل ما قذفته في النار فقد حصبها به ، وقال تعالى : « وَتَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ » (الحج ٩) أى عذاب النار المحرقة ، وقال تعالى « أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » أى النار الموقدة .

وقال تعالى : « أَفَأَنْتُمْ بِبَشِيرٍ مِنْ دَلِكُمْ ؟ النَّارُ وَمَعَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَيْتَ الْمَصِيرِ » (الحج ٧٢) أى الموضع الذى يصيرون إليه . وقال تعالى : « فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ » (المؤمنون ١٠٣ - ١٠٤) أى محرقها ، والسكالح الذى قد شممت شفتها وبدت أسنانه .

ومن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الآية قال : تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تباغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرتة ، أخرجه الترمذى ^(١) ، وقال حديث حسن صحيح غريب ، وقال تعالى : « وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ » (النور ٥٧) أى المرجع .

وقال تعالى : « وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالْآيَاتِ سَعِيرًا » الفرقان ١١ وهى النار المشتعلة ، والنار موجودة اليوم لهذه الآية ، وقال تعالى : « فَكُتِبَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ » (النمل ٩٠) أى طرحوا عليها ، وقال تعالى « أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ » (المدكيات ٦٨) أى مكان يستقرون فيه ، والاستفهام للتقرير ، وهذه فى مواضع من القرآن .

(١) الترمذى (٧٠٨/٤)

قال تعالى: «أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ» (لقمان ٢١)
 أى النار المستعرة وقال تعالى: «وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَأُوتُوا النَّارَ» (السجدة ٢٠)
 أى منزلهم الذى بصيرون إليه؛ وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ
 سَعِيرًا . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» (الأحزاب ٦٤ - ٦٥) أى بلا انقطاع . وهذا تأكيد
 لما استفيد من «خَالِدِينَ» .

وقال تعالى: «وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ» (سبا ١٧)
 قال أكثر المفسرين وذلك فى الآخرة . وقال تعالى: «وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا
 عَذَابِ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ» (سبا ٤٧) أى فى الدنيا وقال تعالى: «إِنَّمَا
 يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ» (فاطر ٣٦) أى من أهل النار ، وقال
 تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا بُقْعَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْيَفُ عَنْهُمْ
 مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ يُجْزَىٰ كُلُّ كَفُورٍ» فاطر ٣٦ . وقال تعالى: «هَذِهِ جَهَنَّمُ
 الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ» (يس ٦٣) أى بها فى الدنيا على السفة الرسل ، وقال تعالى:
 «فَادْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ» (الصافات ٢٣) أى عرفوا هؤلاء المحشورين طريق
 النار وسوفوم إليها ، وقال تعالى: «فَاطْلَعَ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ» (الصافات ٥٥)
 أى فى وسطها .

وقال تعالى: «نُحْمٌ إِنَّ مُرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ» (الصافات ٦٨) أى بعد شرب
 الحميم وأكل الزقوم . وقال تعالى: «قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ»^(١)
 (الصافات ٩٧) . أى النار شديدة الاتقاد ، وقال تعالى: «إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ
 الْجَحِيمِ» (الصافات ١٦٣) أى من أهل النار ، والمصلى الدخول ، وقال تعالى

(٥١) المراد به نار الدنيا ، وهو جزء من نار الآخرة . ١ . من لأصل .

« وَإِنَّ لِلطَّاغِيْنَ لَشَرَّ مَآبٍ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيُنْسِ الْمَهَادِرِ » (ص ٥٥ - ٥٦) أى
 الفراش ، وقال تعالى : « لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ » (ص ٨٥)
 أى من ذرية آدم ، وقال تعالى : « قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ »
 (الزمر ٨) أى مصيرك إليها عن قريب وإنك ملازمها وممدود من أهلها على
 الدوام ، وهو تمليل لفظة التمتع ، وفيه من التهديد أمر عظيم .

وقال تعالى : « أَفَأَنْتَ تُنْفِذُ مَنْ فِي النَّارِ » (الزمر ١٩) أى حقت عليه كلمة
 العذاب .

وقال تعالى : « أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ » (الزمر ٦٠) يعنى مقراً
 ومقاماً ، والكبر هو بطر الحق وغمط الناس كافي الحديث الصحيح .

وقال تعالى : « وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
 النَّارِ » (غافر ٦) أى لأجل أنهم مستحقون للنار ، وقال تعالى : « وَقَوْمٌ هَدَابِ
 الْجَحِيمِ » (غافر ٧) أى احفظهم منه واجمل بينهم وبينه الوقاية ، وقال تعالى :
 « وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ » (غافر ٤٣) أى المتكبرين من معاصي الله ،
 وقيل السفاكون للدماء بغير حقها ، وقيل الجبارون المتكبرون ، وقال تعالى
 « إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » (غافر ٦٠) أى
 ذليلين صاغرين ، وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله ، قال تعالى :
 « ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ » (غافر ٧٢) أى توقد بهم النار أو تملأ بهم .

وقال تعالى : « ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ » (غافر
 ٧٦) وتقدم نحو هذه الآية ، وقال تعالى « ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِيهَا دَارُ
 الْعَذَابِ » (فصلت ٢٨) أى دار الإقامة التي لا انقطاع لها ولا انتقال عنها ، وقال
 تعالى : « أَفَنُ يُلَاقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ بَأْتِيَ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (فصلت ٤٥)

الاستفهام لتقرير ، والفرض منه التنبية على أن الملعدين في الآيات يلقون في النار . وقال تعالى : « إِنَّ الْجَحِيمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ » (الزخرف ٧٤)
 أى أهل الإجمام الكفرية وقال تعالى : « أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (الفتح ٦)
 وقد تقدم نحو هذه الآية .

وقال تعالى : « إِنَّا أَنعَدْنَا لِّلْكَافِرِينَ سَعِيرًا » (الفتح ١٣) أى النار
 الشديدة الحر .

وقال تعالى : « يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً » (الطور ١٣) القع القع
 بمنف وجفوة ، قال مقاتل نزل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصبهم إلى
 أقدامهم ثم يدفنون إلى جهنم دفناً على وجوههم ، وقال تعالى : « مَا أَوْكَدَ النَّارُ
 هِيَ مَوْلَاكُمْ وَيَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (الحديد ١٥) أى أولى بكم وقيل هى ناصركم
 على طريقة قول الشاعر * تحية بينهم ضرب وجيع .

وقال تعالى : « حَسِبْتُمْ جَهَنَّمَ بَصُلُونَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (المجادلة ٨) تقدم نحو
 هذه الآية ، وقال تعالى « وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ » (الحشر ٣) أى وإن نجوا
 من عذاب الدنيا ، وقال تعالى « فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا »
 وقال تعالى : « وَأَعَدَّوْنَا لَهُم عَذَابَ السَّعِيرِ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ
 وَيَبِئْسَ الْمَصِيرُ » الملك ٦ .

وقال تعالى : « أَغْرَقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا » (نوح ٢٥) وهى نار الآخرة ، وهذا
 من التعمير عن المستقبل بالماضى لتحقيق وقوعه ، ومثله قوله : « النَّارُ بَعْضُ
 عَالِمَاتِهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا » (غافر ٤٦) وقال تعالى : « وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ
 حَطَبًا » (الجن ١٥) فيه دليل على أن الجنى للكافر يعذب فى النار .

وقال تعالى : « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا » .
 (الجن ٢٣) وقال تعالى : « إِنَّا أَعْتَدْنَا لِّلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا » (الإنسان ٤)

وقال تعالى: « وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ بَرَى » (النازعات ٣٦) أى أظهرت النار المحرقة إظهاراً بيناً مكشوفاً لا يخفى على أحد قال مقاتل: كشف عنها الغطاء لينظر إليها الخلق والظاهر أنها تبرز لكل راءٍ .

وقال تعالى: « وَإِذَا الْجُحِيمُ سُعِّرَتْ » (التكوير ١٧) أى أجمت وأوقدت لأعداء الله إيقاداً شديداً أو يزيد في إحاطتها .

وقال تعالى: « إِنَّ النَّجَّارَ لِنِي جَبِيمٍ » (الانفطار ١٤) أى نار « يَصْلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمِمَّا مَعَهَا بِمَثَابِينَ » (الانفطار ١٦) وقال تعالى: « إِنَّ كِتَابَ النَّجَّارِ لِنِي سِجِّينٍ وَمَا أَذْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ » (الطه ٧-١٠) وفي تفسير « سِجِّين » أقوال ذكرناها في تفسير فتح البيان^(١) وأولها ما فسره سبحانه في هذه الآية .

وقال تعالى: « وَبِتَجَنُّبِهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصَلَّى لِلنَّارِ الْكُبْرَى » (الأهل ١١-١٢) أى العظيمة الفظيمة لأنها أشد حراً من غيرها وهى نار جهنم والنار للصغرى نار الدنيا وقال الزجاج: هى السفلى من أطباق النار وقيل: أن فى الآخرة نيراناً ودرجات متفاضلة فكأن الكافر أشق العصاة فكذا يصلى أعظم النيران .

وقال تعالى: « وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى » (التجر ٢٣) قال الواحدي قال المفسرون جىء بها يوم القيامة مزهومة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا ركبته يقول يارب نفسى نفسى .

قلت وهذا الذى نته قد أتى مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما

تقدم فى الباب .

وقال تعالى: «عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ» (البقرة ٢٠) أى مطبقة مغلقة الأبواب .

وقال تعالى: «سَنَدَعُو الزَّبَانِيَةَ» (العلق ١٨) أى اللسانكة الغلاظ الشداد

ومخزنة جهنم قاله الزجاج: وقال قتادة: هم الشرط في كلام العرب ، وقال تعالى:

«نَارٌ حَامِيَةٌ» (القارعة ١١) أى قد انتهى حرها وبلغ في الشدة إلى الإفاية .

وقال تعالى: «أَتَرُونَ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَقَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ» (الأنكأ ٦ - ٧)

أى الرؤية التي هي نفس اليقين .

• • •

(باب)

* (في آيات كريمة وردت في صفة النار وأهلها) *

قال تعالى: «بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (البقرة ٨١) المراد بالسبيته هنا الجنس ولا بد أن يكون سببها محيطاً به من جميع جوانبه فلا تبقى له حسنة ، رسدت عليه مسالك النجاة ، والخلود في النار هو الكفار والمشركين فيتمتعين بتفسيد السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك ، وبهذا يبطل تشبث المعتزلة والخواارج ، لما ثبت في السنة تواتراً من خروج عصاة المرحدين من النار ، قال الحسن كل ما وعد الله عليه النار فهو الخطيئة .

وقال تعالى: «وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ» (البقرة ١١٩) أي عن حالهم التي تكون لهم في القيامة فإنها شفيعة ، ولا يمكنك في هذه الدار الاطلاع عليها . وهذا فيه تخويف لهم ونسأوة له صلى الله عليه وسلم ، وعن محمد بن كعب القرظي قال : قال رسول الله ﷺ لمت شعري ما فعل أبوأي ؟ فنزلت هذه الآية . أخرج عبد الرزق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، قال السيوطي هذا مرسل ضعيف الإسناد ثم رواه عن داود بن عاصم مرفوعاً وقال هو معضل الإسناد لا تقوم به الحجة ولا بالذي قبله^(١) .

قلت : وأخبار إسلام أبوي النبي ﷺ أضعف من ذلك .

وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ» (البقرة ١٦١-١٦٢) وإسناده على جواز لعن الكفار على العموم ، قال القرطبي ولا خلاف في

ذلك قال ابن العربي أن لعن الامامى للمعين لا يجوز بانفاق ، وقال تعالى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ قَطَّاعُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (البقرة ٢٥٧) .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُفَنِّي عَنْهُمْ أَسْوَأَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ » (آل عمران ١٠) . وقال تعالى : « فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ » (آل عمران ١٠٦) قيل هم أهل الكتاب وقيل للرتدون وقيل المبتدعون وقيل الكافرون فيلقون في النار وقيل هم المنافقون .

وقال تعالى : « وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » . (آل عمران ١٣١) فيه أنه يكفر من استحل الربا وهذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعده الله المؤمنين بالنار المدة للكافرين إن لم يتقوه ويحتملوا محارمه ، وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا » . (النساء ١٠) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يبعث الله عز وجل يوم القيامة قوماً من قبورهم تتأجج أفواههم نارا . فقيل يا رسول الله من هم ؟ قال ألم تر أن الله يقول الآية . أخرجه ابن أبي شيبه وأبو يعلى والطبرانى^(١) وابن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم .

وعن أبي سعيد الخدرى قال : حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به قال : نظرت فإذا يقوم لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخراً من نار فيقذف في أحدهم حتى

(١) مجمع الزوائد (٢/٧) ونال : وفيه زياد بن اللندر وهو كذاب .

يخرج من أسافلهم ولهم خوار وصراخ فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، الآية. أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال تعالى: « وَمَنْ يَمَسَّ اللَّهَ وِرْسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ » . (النساء ١٤) والآية في قصة اللوارث فإذا لم يرث فيها لقسة الله وتمدى حده كفر إذا لم يتب .

وقال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ » . (النساء ٥٦) أي كلما احترقت جلودهم أعطيتهم مكان كل جلد محترق جلوداً آخر غير محترق، فإن ذلك أبلغ في العذاب للشخص، وقيل المراد بالجلود السراويل، ولا موجب لترك المعنى الحقيقي هنا، قال ابن عمر: يبدلون جلوداً بيضاء أمثال القراطيس وتقدم ذكر هذه الآية في الباب السابق.

وقال تعالى: « وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذَّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَسْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ بَدَأْتُم مَّا كَانُوا يَمْحُفُونَ مِنْ قَبْلُ - إلى قوله - فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ » . (الأعراف ٢٧ - ٣٠) « قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَفْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ » .

وقال تعالى « كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتٌ آخْتَهَا حَتَّى إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جِهِيماً قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَتَيْنَهُمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِمَّنْ لَقِيَ النَّارَ » ، قال لكلمة ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ » . (الأعراف ٣٨) قال السدي يلعب المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين، والجوس الجوس، تلعب الآخرة الأولى ولكل طائفة منهم ضعف من العذاب. أما القادة

(١) ولا تقوم به حجة، لأن في أسناده أبا هارون العبدى، وهو ضعيف، وقيل: كذاب أفاده الشيخ شاکر (٢٧/٨) تفسير الطبري.

فكفرهم وتضليلهم ، وأما الأتباع فبكفرهم وتقليدكم ، قال الكرخي .

وقال تعالى « وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ بَصُودُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَمُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ » . (الأعراف ٤٤ - ٤٥) وهذه المناداة لم تكن لقصد الأخبار لهم بما نادوهم به بل لقصد تبيكيتهم وإيقاع الحسرة في قلوبهم ، عن ابن عمر أن النبي ﷺ لما وقف على قلب بدر تلا هذه الآية أخرجه ابن أبي شبة وأبو الشيخ وابن مردويه (١) .

وقال تعالى « وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ . الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ » . (الأعراف ٥٠ - ٥١) .

قال ابن عباس بنادى الرجل أخاه فيقول يا أخى أغشى فإنى قد احترقت فأفنى على من الماء فيقال أجبه فيقول « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ » . ومعنى نَسَاهُمْ تتركهم في النار ، قال مجاهد تؤخرهم جوعاً عطاشاً وكيل فعمل بهم فعل النامى بالنسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار تركاً كلياً . قال ابن عباس نسيهم من الخمر ولم ينسهم من الشر ، وسمى جزاء نسيانهم بالنسيان مجازاً لأن الله لا ينسى شيئاً .

وقال تعالى « وَلَوْ تَرَى إِذْ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا الْوَاللَّاسِئَةَ يَضْرِبُونَ

(١) أورده البيهقي بنحوه ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح (٩١/٦)

وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ « (الأنفال ٥٠) أى جهة
 الأمام وجهة الخلف بمعنى أستاههم ، كنى منها بالأذبار ، وقيل ظهورهم بمقامع
 من حديد وهذا نص فى أن ملائكة الموت عند قبضها روح الكافر تضربه
 بما ذكر وتقول له ما ذكر ، وإن كنا محجوبين عن رؤية ذلك وسماعه ،
 واختلفوا فى وقت هذا الضرب ، فقيل يكون عند الموت تضربهم بسياط من
 نار ، وقيل هو يوم القيامة حين يسرون بهم إلى النار .

وقال ابن جريج يريد ما أقبل من أجساد وأدبر .

وقال تعالى « يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
 وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ » (التوبة ٣٥)
 أى النار توقد عليها وهى ذات حى وحر شديد ، وخس الثلاثة لأن العالم
 بكبها أشد لما فى داخلها من الأعضاء الشريفة ، وقيل ليكون الكى فى الجهات
 الأربع ، من قدام وخلف وعن يمين ويسار ، وقيل لأن الجمال فى الوجه والقوة
 فى الظهر والجنبين ، والإنسان إنما يطلب المال للقوة والجمال ، وقيل غير ذلك
 مما لا يخلو عن تكلف وبعد .

وقال تعالى « وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ صَيِّئَةٍ يَمْشِيهَا وَرَثَتُهُمْ ذُلٌّ ،
 مَا لَمْ يَنْقُصِ مِنَ الْعَمَلِ مِنْ قَامٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ
 أَشْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (بونس ٢٧) المراد بالسيسة إما الشرك أو المعاصى
 والرهق الضمان . والقلة الخزى والموان ، وللقطع بفتح الطاء جمع قطعة أى
 طائفة من الليل ، فقيل ظلمة آخر الليل وقال الأخفش سواد الليل .

وإطلاق الخلود هنا مقيد بما تواتر فى السنة من خروج عصاة الموحدين .

وقال تعالى « يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ » أي فرعون « يَوْمَ الْقِيَامَةِ » أي بصير متقدماً سابقاً لهم إلى عذاب النار ، كما كان يتقدمهم في الدنيا « فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَبْسُ الْوَرْدُ الْمَوْرَدُ » (هود ٩٨) أي المدخول فيها وهو النار « وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ كَعَنَاءُ » ، أي : طراداً وإبعاداً من الأمم بدمهم « يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْسُ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ » (هود ٩٩) أي العمون المعان ، أو المعطاء المعطى .

وقال تعالى « فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ » (هود ١٠٦ - ١٠٧) قال الزجاج : الزفير من شدة الأنين وهو المرتفع جداً .

قال وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحيز ، والشهيق آخره ، وقيل الزفير للحمار والشهيق للبهل ، وقيل الزفير الصوت الشديد والشهيق للصوت الضعيف ، وقيل الزفير لإخراج النفس والشهيق ردها ، قيل الزفير من الصدر والشهيق من الحلق . وقيل الزفير ترديد النفس في الصدر من شدة الخوف حتى تنتفخ منه الأضلاع ، والشهيق النفس الطويل الممتد أو رد النفس إلى الصدر ، وللايراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه .

وقال الأبيث : الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد من النفس ويخرجه ، والشهيق أن يخرج ذلك النفس ، وهو قريب من قولهم تنفس الصعداء .

واختلف أهل العلم في معنى هذا التوقيف والاسكتفاء اختلافاً شديداً ، لأنه قد علم بالأدلة القطعية تأييد عذاب الكفار في النار وعدم انقطاعه عنهم ،

والكلام على ذلك يطول جداً ، فارجع إلى تفسيرنا فتح البيان (١) ففيه ما يشق
ويكفي لفهم هذا المقام .

وقال تعالى « وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سُرَّابِلُهُمْ مِنْ
قَطْرَانٍ وَتَنْفَسُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ » (إبراهيم ٤٩ - ٥٠) للراد بالمجرمين المشركون . ومعنى مقرنين
مشدودين يجعل بعضهم مقروناً مع بعض أى بحسب مشاركتهم في العقائد ،
أو قرنوا مع الشياطين أو جعلت أيديهم مقرونة إلى أرجلهم ، والمقرن من
جمع في القرن ، وهو الحبل الذي يربط ، والأصفاذ الأغلال والقيود ، قاله قتادة .

وقال ابن عباس الكبول ، وعنه يقول في وثاق . وقال سعيد بن جبير
للإسلاسل والسراويل القمص ، قاله السدي ، وعن ابن زيد مثله واحدها سراويل
والمعنى قصانهم من قطران تطلى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسراويل ،
وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه ولقده مع نتن رائحته ووحشة لونه .
وقال جماعة : هو النحاس المذاب ، وبه قال عمرو وابن عباس ، قال عكرمة :
هذا القطران يطلى به حتى يشتعل ناراً ، وقال سعيد بن جبير القطران : الصفر ،
والآن الحار ، وعكرمة نحوه .

والقطران فيه لغات ، وهو ما يستخرج من الشجر فيطبخ ، يطلى به الإبل
ليذهب جربها لحدته ، وقيل هو دهن ينساب من شجر الأبهل والعرعر والقموت
كالزفت تدهن به الإبل إذا جربت وهو الهنأ ، ولو أراد الله المبالغة في إحراقهم
بغير ذلك لقدر ، ولكنه حذرهم بما يعرفون .

(١) فتح البيان (٤/٤٠٢ - ٤٠٩)

••
وعن أبي مالك الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النَّائِمَةُ
إِذَا لَمْ تَتَّبِقْ قَوْلَ مَوْتِهَا تَقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا مِثْرَبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ
جَرَبٍ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ^(١) وَغَيْرُهُ .

ومعنى (تَفَثَى) نمل أى تضرب النار الوجوه وتخلها ، وقلوبهم أيضاً ،
وخص الوجوه لأنها أشرف ما فى البدن ، وفيها الحواس المدركة أعاذنا
الله منها .

وقال تعالى : « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ
مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ » (الحجر ٤٣ - ٤٤) أى موعد الثاوين فهم يدخلون
من أبوابها ، وإنما كانت سبعة لكثرة أهلها ولكل باب من الأنواع الفواة
نصيب وقدر معلوم متميز عن غيره ، والجزء بمعنى الشيء ، والمراد به هذا
الحزب والطائفة والفريق ، وقيل المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق .

قال ابن جريج : النار سبع دركات ، وهى جهنم ثم انضى ثم الحطمة ،
ثم السمير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ، فأعلنا للموحدين والثانية لليهود
والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للجوس والسادسة للمشركين
والسابعة للمنافقين ، لجهنم أعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتمها ثم كذلك .

والله أن الله تعالى يجزى أتباع إبليس سبعة أجزاء ، فيدخل كل جزء
وقسم دركة من النار ، والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصى مختلفة فلذلك
اختلفت مراتبهم فى النار ، قال الخطيب : تخصيص هذا العدد لأن أهلها سبع

فرق ، وقيل جمعت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان
والبطن والفرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات ، فكانت مواردها
الأبواب السبعة . ولما كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية والنية
من أعمال القلب زادت الأعضاء واحداً ، فجمعت أبواب الجنة ثمانية . ١ . هـ

أقول : الحكمة في تخصيص هذا العدد لا تنحصر فيما ذكره بل الأولى
تفويضها إلى جامعها سبعة وهو الله سبحانه ، إلا أن يرد به خبر صحيح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجب المصير إليه .

عن علي قال : «أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض : فيملاً الأول ثم
الثاني ثم الثالث حتى تملأ كلها» ، وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :
«يَلْجَمُ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ : بَابٍ مِنْهَا لِمَنْ سَلَّ السَّيْفَ عَلَى أُمَّتِي» أخرجه البخاري
في تاريخه والترمذي^(١) واستغفريه . وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ في
آية : جزء أشركوا بالله جزء شكوا في الله وجزء غفلوا عن الله ، أخرجه
ابن مردويه والخطيب في تاريخه^(٢) .

وقد وردت في صفة النار وأهوالها أحاديث وآثار كثيرة تأتي في محلهما .

وقال تعالى : «فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِيسٌ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ»
(النحل ٢٩) يقال لم ذلك عند الموت ، وقد تقدم ذكر الأبواب ، وأن جهنم دركات

(١) للترمذي (٢٩٧/٥) وقال : غريب لانمره إلا من حديث مالك بن
مغول قال القرطبي (٣٨٣) : مالك بن مغول أبو عبد الله البحرى الكوفي امام ثقة
خرج له البخاري ومسلم والأئمة .

(٢) عزاه القرطبي (٣٨٤) للحلي شاكاً في ميوته .
ولا تقوم به حجة ، وراجع الكلام عليه (١١٣) .

بعضها فوق بعض، أى ليدخل كل صنف فى الطبقة التى هو موود بها . وإنما قيل لهم ذلك لأنه أعظم من الخزى والنعم ، وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذاباً من بعض ، والمراد تكبيرهم من الإيمان والعبادة كافي قوله تعالى « إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ » (الصفات ٣٥) وقال تعالى « وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَحْمِيًّا وَبُكَامًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبِثَ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ، ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِإِثْمِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا » (الإسراء ٩٧ ، ٩٨) وهذا الحشر فيه الوجهان للمفسرين :

(الأول) لأنه عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم .

(الثانى) إنهم يستعجلون يوم القيامة على وجوههم حقيقة كما يفعل فى الدنيا بمن يُبالغ فى إهانة وتذبية . وهذا هو الصحيح لقوله سبحانه « يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ » (القمر ٤٨) .

ولما صح فى السنة عن أنس رضى الله عنه قال : قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ؟ قَالَ : الَّذِي أَمْسَاهُمْ عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمَشِّبَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ أَخْرَجَهُ الشَّعْرَى وَمَسْلَمٌ وَغَيْرُهُمَا .

ومن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ : صِنْفٍ مُمَسَّاةٍ وَصِنْفٍ رُكْبَانَا ، وَصِنْفٍ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ » قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُمَشُّونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ؟ قَالَ « إِنْ الَّذِي أَمْسَاهُمْ عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمَشِّبَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ؟ أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ

(١) الترمذى (٣٠٥/٥) وتصح البيان (٤٠٩/٥) والحدب : ما ارتفع من الأرض

يُوجِبُهُمْ كُلَّ حَذْبٍ وَشَوْكٍ « أخرج أبو داود والترمذي وحسنه البيهقي ،
والحدب : ما ارتفع الأرض .

وفي الباب أحاديث ، والأصم الذي لا يبصر ، والأبكم الذي لا ينطق ،
والأصم الذي لا يسمع ، أي هذه هيئة ييمنون عليها في أقبح صورة وأشنع
منظر ، قد جمع الله لهم بين عمى البصر وعدم النطق وعدم السمع ، مع كونهم
مستعوبين على وجوبهم . وقد أثبت الله تعالى لهم الرؤية والكلام والسمع
في قوله « وَرَأَى الْجَزْمُونَ النَّارَ » وقوله « دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا »
(الفرقان ١٣)

وقوله « سَمِعُوا لَهَا تَفِيظًا وَزَفِيرًا » (الفرقان ١٢) فاللهي هنا عيياً
لا يبصرون ما يسمعون ، كما لا ينطقون بحجة ، مما لا يسمعون ما يذم مسامعهم ،
وقيل هذا حين يقال لهم « اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » ، وقيل يحشرون على
ما وصفهم ثم يعاد إليهم هذه الأشياء بعد ذلك ، ثم من وراء ذلك المسكن الذين
يأودون إليه كلما سكن لهب النار بأن أكلت جلودهم ولحومهم زادهم الله تسعراً
وهو التلهب والتوقد أي فتعود منتهبة ومسعرة فإنهم لما كذبوا بالإعادة
بعد الإقناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الإعادة والإقناء .

وقد قيل في خبوء النار تخفيفاً لعذاب أهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله
« لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ » وأجيب بأن المراد بعدم التخفيف أنه لا يتخلل زمان
محسوس بين الخبوء والتسمر ، وقيل أنها تحبوا من غير تخفيف عنهم من عذابهم ،
وقيل ضعفت وهدأت من غير أن يوجد نقصان في إيلاهم لأن الله تعالى لا يفتقر
عنهم . وقيل معناه أرادت أن تحبوا ، وقيل نضجت جلودهم واحتترقت وأعيدوا

إلى ما كانوا عليه وزيد في سمير النار لتعرقهم أعادنا الله تعالى منها .

وقال تعالى : « إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يَمُوتُوا يَمُوتًا كَمَا هَلِ بِشَوَى الْوُجُوهِ ، يَتَسَّ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا » .
 (الكهف ٢٩) السرادق القى بمد فوق سحن النار وكل بيت من كرسف
 أى قطن فهو سرادق فارسي معرب ، يقال بيت مسردق ، وقال ابن الأعرابي
 سرادقها سورها . وقال الفقيهي : السرادق : الحجره التى تكون حول
 القساط .

والمعنى أنه أحاط بالكفار سرادق النار على تشبيه ما يجيئهم من النار
 بالسرادق المحيط بمن فيه ، قال ابن عباس حاط من نار ، وعن أبى سعيد
 الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لِسِرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةٌ
 جُدْرٌ كَثِيفٌ كُلُّ جِدَارٍ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً » أخرجه أحمد والترمذى^(١)
 والحاكم وصححه وغيرهم .

ومن يعلى ابن أمية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إِنَّ الْبَحْرَ
 هُوَ جَهَنَّمُ ثُمَّ تَلَا « نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا » (الكهف ٢٩) أخرجه
 أحمد مطولا ورجاله ثقات . قاله في مجمع الزوائد^(٢) ورواه البخارى والحاكم وصححه^(٣) .
 (*) واقره الذهبى (٥٩٦/٤) ، وقال الحاكم : ومعناه ان البحر صعب
 كأنه جهنم .

(١) الترمذى (٧٠٦/٤) وقاله : « لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد ،
 ورعدين قد تكلم فيه .

(٢) مجمع الزوائد (٣٨٦/١٠) وسياقه يدل على أن الضمير فى « تلا » يرجع
 إلى يعلى فتح البيان (٤٤٨/٥) . (٣) فى تاريخه . كما فى الدر المنثور (٢٢٠/٤) .

وإن يطلبوا الإنقاذ من شدة المعاش يُضربوا ويُعذبوا بالحديد للذباب وهو المهل ، قال الزجاج إنهم يعانقون بماء كالرصاص للذباب والصفير ، وقيل هو دردى الزيت أى ما بقى فى أسفل الإناء ووجه الشبه وجود النخن والردامة فى كل منهما ، وقال أبو عبيدة والأخفش : كل ما أذيب من جواهر الأرض من حديد ورصاص ونحاس ، وقيل هو ضرب من القطران .

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «كَمَكِرَ الزَّيْتُ فَإِذَا قُرِبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فَرْوَةٌ وَجِبْهَةٌ فِيهِ» أخرجه أحمد و الترمذى ^(١) وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقى فى البعث . وعن ابن عباس قال : ماء غليظ كدردى الزيت ، وعن ابن مسعود أنه سُئل عن المهل فدعا بذهب أو فضة فأذابه فلما ذاب قال هذا أشبه شيء بالمهل الذى هو شراب أهل النار ولونه لون السماء غير أن شرابهم أشد حراً من هذا ^(٢) .

وعن ابن عمر هل تدرون ما المهل ؟ هو مهل الزيت يعنى آخره وأنه إذا قدم إليهم صارت وجوههم مشوية لحرارته ، والشئ الإنضاج بالنار من غير إحراق ، وقوله (مُرْتَفَقًا) أى متكأ ، وقيل مجلساً ومنزلاً ، وقيل مجتمعاً وبه قال مجاهد .

وقال تعالى : « وَرَأَى الْجُرْمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا » (الكهف ٥٣) أى طافوها من مسيرة أربعين عاماً وأبقنوا أنهم داخلون وواقعون فيها والمواقعة المخالطة بالوقوع فيها . وقيل إن الكفار يرون النار من مكان بعيد فيظنون ذلك ظناً ولم يجدوا عنها معدلاً يعدلون إليه

(١) وخرجه الحاكم فى المستدرک (٦٠٤/٤) وصححه وقره الذهبى .

(٢) فتح البيان (٤٤٩/٥) .

أو انصرفا لأن النار قد أحاطت بهم من كل جانب ، وقيل ملجأ ياجنون إليه ، والمعنى متقارب (١) .

وقال تعالى « وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَعَلْنَاهُمْ جَحَمًا . وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا . الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْقِطُونَ سَمْعًا أَحْسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ؟ إِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا . قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا يَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا . ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا » (الكهف ٩٩ - ١٠٦) .

الصور القرن والذئخ فيه البعث وهي النفخة الثانية ويكون جمع الخلائق بعد ثلاثي أبدانهم ، ومصيرها تراباً ويكون جمعاً تاماً على كل صفة وأبداع هيئة وأعجب أسلوب في صعيد واحد (٢) وفي مرض جهنم لم وعيد عظيم لما يحصل معهم عند مشاهدتها من الفزع والروعة والفظاء والنشأ والستر وهو ما غطى الشيء وستره من جميع الجوانب ، والمراد بالذكر الآيات وكانوا لا يقدرون على الاستماع لما فيه الحق من كلام الله وكلام رسوله لغلبة الشقاوة عليهم ولشدة عداوتهم لها والحسبان الظن ، والنزل الذي يعد للضيف وفيه تهكم بهم كقوله « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » (٣) .

قال ابن الأعرابي : تقول للعرب ما لفلان عندنا وزن أي قدر لحسته

(١) فتح البيلن (٥/٤٦٧ - ٤٦٨) .

(٢) فتح البيان (٥/٥٠٨) .

(٣) فتح البيان (٥/٥٠٨ - ٥٠٩) .

وبوصف الرجل بأنه لا وزن له خلفته وسرعة طيشه وقلة ثبته . والمعنى أنهم لا يعتقد بهم ولا يكون لهم عند الله منزلة وقدر (١) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ السَّمِينُ الْمَغِيْمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُوزَنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ » وَقَالَ :
أَقْرَأُوا « فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا » أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ (٢) .

وقال تعالى : « قَوْرَبِكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا . ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا . ثُمَّ لَنَحْنِ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا . وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا » (مريم ٦٨) والمعنى نسوقهم إلى المحشر بعد إخراجهم من قبورهم أحياء كما كانوا مع شياطينهم الذين أغروهم وأضلوم في سلسلة ثم نحضرم حول النار من خارجها قبل دخولها أو من داخلها جائين على ركبهم لما يصيبهم من أهوال المواقف وروعة المحاسبة ثم تنزعن من كل أمة وفرقة وأهل دين وملة من الكفار ، قال الزمخشري الشيعة هي الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويًا من الفجوة (٣) .

وقال تعالى « إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ »
(الأنعام ١٥٩) انتهى .

بمعنى ينزع من كل طوائف الفنى كالروافض والخوارج والنواصب والمذلة

(١) فتح البيان (٥١٠/٥)

(٢) البخارى (١٩٧/٦) ومسلم (٢١٤٧/٤)

(٣) فتح البيان (٤٣/٦ - ٤٤)

لأراء الرجال والمتبعة للفلاسفة الضلال وغيرهم أعصام وأعتام ، فإذا اجتمعوا طرحهم في جهنم وهم أولى بصليها أو صليبهم أولى بالنار ، وما من أحد مسلمًا كان أو كافرًا إلا وصاليها وداخلها ، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيًا ، وهذه أخوف آية .

وقال تعالى « مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا » (طه ١٠٠)
 أي إنمًا عظيمًا وعقوبة ثقيلة بسبب إعراضه « خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا . يَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ وَنَحْشُرُ الْجَحِيمِ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا » (طه ١٠١ - ١٠٢)
 المراد بالجرمين المشركون والكافرون والعصاة المآخذون بذنوبهم التي لم ينقروها الله لهم ، والزرقة الخضرة في العين كعين السَّوْر^(١) .

والعرب تتشامم بها لأن الروم كانوا أعدى عدوم وهم زرق وهي أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب ، وقال للفراء زرقًا أي عميًا وقال الأزهرى عطاشًا وهو قول الزجاج ، وقيل إنه كناية عن الطمع الكاذب إذا تعقبته الخيبة ، وقيل هو كناية عن شحوص البصر من شدة الحرص ، والقول الأول أولى . والجمع بين هذه الآيه وبين الآيه السابقة « حُمِيًا وَبِكَمَا وَصْنَا » (الإسراء ٩٧) ما قيل من أن ليوم القيامة حالات ومواطن تختلف فيها صفاتهم وبتنوع عندها عذابهم ، فيكونون في حال زرقًا . وفي حال عميًا^(٢) .

وقال تعالى « لَوْ كَانَ هُوَ لِآلِهَةٍ مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ » (الأنبياء ٩٩ - ١٠٠) وفي هذا تبسكيت لعباد الأصنام وتوبيخ شديد لمن يتخذ من دون الله أربابًا ، والزفير هو صوت نفس

(١) فتح البيان (١١٥/٦)

(٢) فتح البيان (١١٥/٦ - ١١٦)

المغموم والمراد هنا الأنين والبكاء والتنفس الشديد والتعويل ، ولا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول : قال ابن مسعود في الآية : إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في نوابيت من نار ، ثم جعلت تلك النوابيت في نوابيت آخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره ، وقيل لا يسمعون شيئاً لأنهم يحشرون فيها ، وإنما سلبوا السماع لأن فيه بعض ترويح وتأنس ، لو قيل لا يسمعون ما يسمع بل يسمعون ما يسوءهم^(١) .

وقال تعالى « فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ، كَلَّا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » (الحج ١٩ - ٣٢) أى قدرت لهم على قدر جنتهم لأن الثياب الجدد تقطع على مقدار بدن من يلبسها ، شبه إمداد النار وإحاطتها بهم بتقطيع ثياب لهم ، وجمع الثياب لأن النار لتراكمها عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض . وقيل لأنها من نحاس قد أذيب فصار كالنار ، وهى السراويل المذكورة في آية أخرى ، قاله سعيد بن جبير وزاد ليس من الآنية إذا حى أشد حراً منه .

والحق إجراء النظم القرآنى على ظاهره ولا يرتضى تأويله بما يخالف ظاهر لفظه ، وواضح معناه ، والحميم الماء الحار المغلى بنار جهنم انتهت حرارته يذاب بهذا الحميم ما في بطونهم وتسيل به أمعاؤهم وتنفثر جلودهم^(٢) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه تلا هذه الآية فقال سمعت رسول الله

(١) فتح البيان (١٩١/٦)

(٢) فتح البيان (٢١٤/٦ - ٢١٥)

يقول : (إِنْ الْجِيمَ لَيَصَّبُ عَلَى رُؤْسِهِمْ فَيَنْفِذُ الْجِيمَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ثُمَّ بَعَادَ كَمَا كَانَ) أخرجه الترمذى والحاكم وصحهما وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم (١) .
وقال ابن عباس : يمشون وأمهاتهم تتساقط ، وعنه قال : يسقون ماء إذا دخل في بطونهم أذابها والجلود مع البطون ، والمقمة المطرقة وقيل : السوط ، وسُميت بالمقمة لأنها تقمع المضروب ، أى تذله .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (لَوْ أَنَّ مَقَمًا مِنْ حَدِيدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ فَاجْتَمَعَ لَهُ النَّفْلَانِ مَا أَقْلَوْهُ مِنَ الْأَرْضِ) (٢) . وَلَوْ ضُرِبَ الْجَبَلُ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ لَنَفَّتَتْ ثُمَّ عَادَ كَمَا كَانَ) أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه البيهقى .

وعن سلمان قال : النار سوداء مظلمة لا يضىء لها ولا جهرها ، ثم قرأ « كَلَّمَآ أَرَادُوا » الآية ، والمراد : إعادتهم إلى مهظم النار ، لأنهم ينفصلون عنها بالكافية ثم يعودون إليها ، وقيل لهم ذوقوا عذاب المحرق للفايض المنتشر العظيم الإهلاك البالغ نهاية الإحراق .

وقال تعالى : « وَالَّذِينَ سَهِوا فِي آيَاتِنَا مُمَاجِرِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » (الحج ٥١) أى اجتهدوا فى إبطالها حيث قالوا القرآن شعر أو سحراً أو أساطير الأولين أو تلاوة دون العمل ظانين ومقدرين أن يمجزوا الله وينفوتوه ، وقيل معاندين ، أو مراغمين ومشاقين ، فهم أصحاب النار الموقدة .

(١) لترمذى (٧٠٥/٤)

(٢) قال البيهقى : وفيه ضعف وثقوا ببقية الحديث الى قوله : ثم عاد - رواية أخرى قال البيهقى : وفيه ابن لهيعة وقد وثق على ضعفه (٢٨٨/١٠) وقد خرج الحاكم الرواية الأولى (٦٠٠/٤) وصححه وسكت عليه الذهبى والرواية الثانية (٦٠١/٤) وصححه وأقره عليه الذهبى .

وقال تعالى : « اخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » (المؤمنون ١٠٨) أى اسكنوا
 فى جهنم سكوت هوان ولا تكلمون راساً ، أو فى إخراجكم من النار أو فى
 رفع العذاب عنكم . قال الحسن : هو آخر كلام يتكلم به أهل النار وما بعد ذلك
 إلا الزفير والشهيق وعواء كمواء الكلاب .

وقال تعالى : « وَأَعَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعيراً ، إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ
 سَمِعُوا لَهَا تَفِيظًا وَزَفِيرًا » (الفرقان ١١ - ١٢) أى إذا رأوهم من مكان بعيد
 عنهم ، قيل بينهم مسيرة مائة عام وقيل خم مائة عام ، وذلك إذا أتى بجهنم نقاد
 بسبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك لو تركت لأتت على كل
 برف فاجر ؛ فترى زفر زفرة لا تبقى قطرة من دمع إلا بدت ، ثم تزفر الثانية
 فتقطع القلوب من أما كنها وتبأغ القلوب الحناجر . وعن رجل من الصحابة
 قال : قال النبي ﷺ : (مَنْ يَقُلْ عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ أَوْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ
 وَانْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَلْيَقْبَلُوا بَيْنَ عَيْنَيْ جَهَنَّمَ مَقْعَدًا فَيَقِيلُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ
 لَهَا مِنْ عَيْبِينَ ، قَالَ : نَعَمْ أَمَا سَمِعْتُمْ وَقَالَ يَقُولُ : (إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) .
 أخرجه عبد بن حميد وابن جرير (١) من طريق خالد بن دربك ونحوه عند
 رزين فى كتابه وصححه ابن العربى فى قبسه ، وأخرج الترمذى من حديث
 أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (تَخْرُجُ عَنْقُ مِنَ النَّارِ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا عِيْفَانِ تَبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يُنْطِقُ بِقَوْلِ : إِنْى وَكَلَّتْ
 بِثَلَاثِ : بِكَلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَبِكَلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٢)) .

(١) قال فى فتح البيان (٤٢٤/٦) أخرجه أحمد والبخارى وغيرهم

قال السيوطى بسند صحيح

(٢) الترمذى (٧٠١/٤) .

وفي الباب من أبي سعيد قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح
والنفيظ الغليان إذا غلا صدره من الغضب بمعنى أن لها صوتاً يدل على التغرظ على
الكفار أو لغليانها صوت يشبه صوت المغناط ، وتقدم الكلام على زفير .
وقال تعالى : « وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا .
لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا » (الفرقان ١٣ - ١٤) .
عن يحيى بن أسيد أن رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية فقال :
(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَيُسْكَرَهُونَ فِي النَّارِ كَمَا يُسْكَرَةُ الْوَتْدُ فِي الْحَائِطِ ^(١))
وعن ابن عباس أنه يضيق عليهم كما يضيق الزجاج في الرمح ، والثبور الملاك
والمراد بهذا الجواب عليهم : الدلالة على خلود عقابهم وإقناطهم عن حصول
ما يتمنونه من الملاك المنجى لهم مما هم فيه .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إِنْ أَوَّلَ مَا يَبْكِي
حُلَّتُهُ مِنَ النَّارِ إِبْدِيسُ فَيَضُمُّهَا عَلَى حَاجِبِيهِ وَيَسْتَحِبُّهَا مِنْ خَلْفِهِ وَذَرِبَتُهُ مِنْ بَدَنِهِ
وَهُوَ يَنَادِي يَا ثُبُورَاهُ وَيَقُولُونَ يَا ثُبُورَهُمْ حَتَّى يَبْفَ عَلَى النَّاسِ فَيَقُولُ : يَا ثُبُورَاهُ
وَيَقُولُونَ : يَا ثُبُورَهُمْ فَيَقَالُ لَهُمْ « لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا
كَثِيرًا ^(٢) ») .

وقال تعالى : « فَكَبِّبُوا فِيهَا » (الشعراء ٩٤) أي ألقوا في جهنم على
رؤسهم وقيل : قلبوا على رؤسهم وقيل ألقى بعضهم على بعض وقيل : جمعوا . قاله

(١) فتح البيان (٤٢٣/٦)

(٢) الزجاج : بالضم طرف المرفق والحديدة في أسفل الرمح . د. القاموس

(١ / ١٩١) .

(٣) قال الهيثمي : رواه أحمد والبخاري ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن

زيد وقد وثق (٣٩٢/١٠) .

ابن عباس وقيل طرخوا وقيل نكسوا^(١) «مُ وَالْفَاوُونَ» (الشعراء ٩٤) أى للمعبودون والمعابدون (وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) «الشعراء ٩٥» وقال تعالى : (وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) «السجدة ١٣» هذا هو القول الذى وجب من الله وحق على عباده ونفذ فيه قضاؤه ، وإنما قضى عليهم بهذا لأنه سبحانه قد علم أنهم من أهل الشقاوة وأنهم ممن يختار الضلالة على الهدى .

وقال تعالى : (يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) «الأحزاب ٦٦» يعنى تقلبها تارة على جهة منها وتارة على جهة أخرى ظهراً لبطن ، أو تفرد ألوانهم بفتح النار فتسود تارة وتخضر أخرى أو تبدل جلودهم بجلود أخرى ، وخص الوجه لأنه أكرم موضع من الإنسان أو يكون الوجه عبارة عن الجملة .

وقال تعالى : (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) «سبا ٣٣» أى جعلت الأغلال من الحديد فى أعناق هؤلاء فى النار .

وقال تعالى . (وَمُ يَصْطَرِحُونَ) «فاطر ٣٧» من الصراخ وهو الصياح ، أى وهم يستغيثون فى النار رافعين أصواتهم ، والصراخ المستغيث ، وقال تعالى : (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ، أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ، الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) «يس ٦٣» : « ٦٥ » أى توعدون بها فى الدنيا على السنة الرسل فادخلوها وقاسوا حرها .

قال المفسرون : إنهم يسكرون الشرك وتكذيب الرسل فوختم الله على

أفواههم ختمًا لا يقدرُونَ معه على الكلام ، وتكلم أيديهم بما كانوا يفعلونه ،
وتشهد أرجلهم عليهم بما كانوا يعملونه باختيارها بعد إقدار الله تعالى لها على
الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم (١) .

وأخرج أحمد ومسلم والنسائي والبخاري وغيرهم عن أنس في الآية قال : كُنَّا
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَضْحِكُ فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قَالَ : قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَعْلَمُ ، قَالَ : مِنْ مَخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ ، يَقُولُ : يَا رَبِّ أَلَمْ تَجْرُبْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ يَقُولُ
بِئْسَ ، فَيَقُولُ : إِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى إِلَّا شَهِدًا مِنِّي ، قَالَ فَيَقُولُ : كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ
عَلَيْكَ شَهِيدًا ، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا ، فَيُضْحِكُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ
أَنْطِقِي . قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَمْرِهِ ، قَالَ ثُمَّ يَحْتَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ : بَعْدًا
لَكُنَّ وَسُحْفًا . فَمَنْ كُنَّ كُنْتُ أَنَا ضَلُّ (٢) .

وأخرج مسلم والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد وأبي هريرة
رضي الله عنهما قالا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَلْقَى الْعَبْدُ رَبَّهُ فَيَقُولُ اللَّهُ : أَلَمْ
أُكْرِمَكَ وَأَسْوَدَكَ وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَخَّرْتُكَ الْعِطِيلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَأْسَ وَتَرْبِيعَ
فَيَقُولُ : بَلَى أَيُّ رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَنْظَلْتَنِي أَنْتَ مَلَاقِي ، فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ : إِنِّي
أَنْتَ كَمَا نَسِيتِي ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّلَاثَ فَيَقُولُ لَهُ
مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرَسُولِكَ وَصَلَّيْتُ وَصَمْتُ وَنَصَدَقْتُ ،
وَبُنَيْتِي بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ ، فَيَقُولُ أَلَا نَبِئْتُكَ شَهِدْنَا عَلَيْكَ فَيُفَكِّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ الَّذِي
يَشْهَدُ عَلَيَّ ، فَيُضْحِكُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لَهُ نَحْدُهُ : أَنْطِقِي ، فَتَنْطِقُ نَحْدُهُ وَفِيهِ وَعِظَامُهُ

(١) فتح البيان (٨/٣٩ - ٤٠) .

(٢) مسلم (٤/٢٢٨٠ - ٢٢٨١) .

يَعْمَلُهُ مَا كَانَ ، وَذَلِكَ لِيُعَذِّرَ مِنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَبْسُطُ عَلَيْهِ^(١) . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي موسى نحوه .

قال تعالى : (أُولَئِكَ خَيْرٌ زُلًّا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ؟ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّمَا شَجَرَةُ زُقُّومٍ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ، طَلْمُهَا سَكَّاتٌ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ فِيهَا فَأَلْبُونُ مِنْهَا الْبُطُونَ ، ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ فِيهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ، ثُمَّ إِنَّ مَرْجَمَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ) الصافات ٦٢ : ٦٨ .

قال الواحدي^(٢) : الزقوم شيء متركبه بذكره أهل النار على تناوله فهم يتزقونه قهوى على هذا مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لسكراتها ونقنها . قال قطرب^(٣) : إنها شجرة مرة كريهة الرائحة تكون بنهامة من أخبث الشجر . وقال غيره : بل هو كل نبات قاتل ، وقيل شجرة مسمومة متى مست جسد أحد تورم فوات ، جعلها الله محنة لهم لكونهم يعذبون بها ، والمراد بالظالمين هنا الكفار أو أهل المعاصي الموجبة للنار ، وهذه الشجرة تنبت في قعر النار وأسفلها ، وأغصانها ترفع إلى دركانها .

وعن ابن عباس^(٤) قال : لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى

(١) لترمذى (٦١٩/٤) ومسلم (٢٢٧٩/٤ - ٧٢٨٠) مطولا .

(٢) ذكره اللصف في فتح البيان (١٠٣/٨) .

(٣) فتح البيان (١٠٣/٨) .

(٤) فتح البيان (١٠٤/٨) .

الأرض لأفدت على الناس معايشهم ، وثمرها وما تحمله في تفاهي قبحة
وهوله وشناعة منظره مثل رهوس الشياطين ، قال الزجاج والفراء :
الشياطين حيات هائلة لها رهوس وأطراف وهي من أفتح الحيات وأخبثها
وأخفها جسما ، وقيل هو شجر خشن منن مرّ منكر الصورة يسمى
تمر رهوس الشياطين^(١) ، والشوب الخلط والمزج ، والحجم الماء الحار ، وهذا
كما قال تعالى : (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْمَاءَهُمْ) « محمد ١٥ » وقيل : إن الزقوم
والحجم نزل يقدم إليهم قبل دخولها أعاذنا الله تعالى وإخواننا المؤمنين من هذا
الطعام والشراب .

وقال تعالى : (فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) « ص ٥٧ » تقدم تفسير الحميم
مراراً : والغساق ماسال من جلود أهل النار من الفحيح ومن الصديد ، والغساقان
الأنصباب وقيل : هو ما قتل برده ، وقيل : هو الزمهرير وقيل : المنن وقيل :
هو عين في جهنم يسيل منه كل ذوب حية وعقرب وقال : قتادة : هو
ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم^(٢) .

وقال القرظي : هو عصارة أهل النار : وقال السدي هو الذي يسيل
من دموع أهل النار يسقونه من الحميم وكذا قال ابن زيد ، وقال مجاهد
ومقاتل : هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده ، وتفسير الغساق بالبارد أنسب
بما تقتضيه لغة العرب ، وأنسب أيضاً بمقابلة الحميم^(٣) .

(١) فتح البيان (١٠٤/٨)

(٢) فتح البيان (١٨٣/٨)

(٣) فتح البيان (١٨٣/٨)

وأخرج أحمد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم
 وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال
 رسول الله ﷺ : لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَاقِي بَهْرَاقٍ فِي الدُّنْيَا لَأَتَيْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا .
 قال الترمذي ^(١) لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد (قلت) ورشدين هذا فيه
 مقال معروف ^(٢) (وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) «ص ٥٨» أي ومذاب آخر أو مذوق
 آخر أو نوع آخر من شكل ذلك المذاب أو المذوق أو النوع الأول وللشكل
 للفعل أو مذوقات آخر وأنواع آخر من شكل ذلك المذوق أو النوع المتقدم .
 ومعنى أزواج أجناس وأنواع وأشباه ونظائر ، قال المفسرون : هو الزمهير .

(هَذَا قَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ) أي الاتباع داخلون معكم إلى النار بشدة ،
 والافتحام الإلقاء في الشيء بشدة لأنهم يضربون بمقامع من حديد حتى
 يقتحموها بأنفسهم خوفاً من تلك المقامع ، وقيل الافتحام ركوب للشدة
 والدخول فيها .

وفي المختار قبح في الأمر رمى بنفسه فيه من غير رويه (لَا مَرْحَبًا بِهِمْ)
 «ص ٦٠» أي لا اتسعت منازلهم في النار ، والرحب السمة والمعنى لا كرامة لهم ،
 وهذا إخبار من الله تعالى بانقطاع المودة بين الكفار وأن المودة التي كانت
 بينهم نصير عداوة (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ) أي كاصليهاها (قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا
 بِكُمْ) أي : قال الاتباع عند سماع ما قاله الرؤساء والقادة ، بل أنتم أحق بما قلتم
 لنا ، ثم عللوا ذلك بقولهم (أَنْتُمْ قَدْ دَخَلْتُمُوهُ لَنَا) أي المذاب أو الصلبي وأوقعتونا
 فيه ودهوتونا إليه بما كنتم تقولون لنا من أن الحق ما أنتم عليه ، وأن الأنبياء
 غير صادقين فيما جاءوا به (فَيُنْسِ الْقَرَارُ) «ص ٦٠» أي ينسى المقرجهم لنا

(١) فتح البيان (١٨٣/٨) . والترمذي (٧٠٦/٤)

(٢) لكن خرجه الحاكم من غير طريقه (٦٠٢/٤) وصححه واقره الذهبي .

ولكم ، (قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ . وَقَالُوا : مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ) « مس ٦١ - ٦٢ » أى الأراذل الذين لا خير لهم ولا جدوى (أُنحِذْنَا مِنْ بَيْخَرِيًّا) فى الدنيا فأخطأنا (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ) فلم نعلم مكانهم (إِنْ ذَلِكَ) أى ما تقدم من حكاية حالم (تَلَقَّى) واقع ثابت فى مدار الآخرة لا يتخلف البتة (نَحَامُ أَهْلِ النَّارِ) .

وقال تعالى : (لَمْ يَنْفَعِهِمْ ظِلٌّ مِنْ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلٌّ) « الزمر ١٦ » أى أطباق من النار وفراش ومهاد وسرادقات وقطع كبار تلهب عليهم ، وإطلاق الظلال عليها تهكم وإلا فهى محرقة ، والظلة تقي من الحر، وقال تعالى : (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُورِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ، وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) « الزمر ٤٧ - ٤٨ » وفى هذا وعيد لهم عظيم وتهديد بالغ غاية لا غاية وراءها ، قال سفيان الثوري : وبلى لأهل الرياء . وبلى لأهل الرياء . وبلى لأهل الرياء ، وهذه آيتهم وقصصهم ^(١) .

وقال تعالى (تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ) « الزمر ٦٠ » أى لما أحاط بهم من العذاب ، ولما شهدوه من غضب الله ونقمته .

وقال تعالى (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتَأَبْوَابُهَا) أى أبواب النار ليدخلوها وهى سبعة أبواب ، وكانت قبل ذلك مغلقة (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ؟ قَالُوا : بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ) أى لهم (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُفْسِدِينَ) « الزمر ٧١ - ٧٢ » جهنم واللام فيه للجنس .

وقال تعالى (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) « غافر ٤٤ » أى صباحاً
ومساءً ، وعرضهم عليها إحراقهم بها .

عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . (إِنْ
أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْفَدَاةِ وَالْمَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ
فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى
يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أخرجه الشيخان ^(١) وغيرهما ، وزاد ابن مردويه
اسم قرأ (النَّارُ) الآية .

واحتج بعض أهل العلم بهذه الآية على إثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى
منه بقره وكرمه وقال القرظى إن أرواحهم فى جوف طير سود تغدو على جهنم
وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها .

وذمب الجمهور إلى أن هذا العرض هو البرزخ .

وقال تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ) أى من الأمم الكافرة مستكبرهم
وضميفهم جميعاً (نَلْزَمُنَا بِهِمْ) وهم القائمون بتمذيب أهل النار ، وإنما لم يقل
نلزمنا ، لأن فى ذكر جهنم سهو بلا وتفضيلاً أو لبيان محلهم فيها ، فإن جهنم هى
أبعد النار قرماً وفيها أعنى الكفار وأطفاهم ، فأهل الملائكة الموكلين بمذاب
أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلمذا تعدم أهل النار بطلب الدعوة
منهم (ادْعُوا رَبَّكُمْ يَخْفَفْ مَعْنَا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ) قالوا : أو لم نك تأتيناكم رسالتكم
بالبينات ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلالٍ) « غافر
٤٩ - ٥٠ » أى فى ضياع وبطلان وخسارة وتبار وانعدام وفيه إقناط لهم
عن الإجابة ^(٢) .

(١) مسلم (٢١٩٩/٤) .

(٢) فتح البيان (٢٩١/٨ - ٢٩٢) .

وقال تعالى: (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَامِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَيْمِ) قال ابن عباس: فينسلخ كل شيء عليهم من جلد و لحم وعرق حتى يصير في عقبه ، حتى إن لحمه قدر طوله وطوله ستون ذراعاً ثم يكسى جلداً آخر^(١) (ثُمَّ فِي النَّارِ يُجْجَرُونَ) غافر ٧٠ - ٧٢ .

عن ابن عمرو قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فقال : لو أن روضةً مثل هذه - وأشار إلى مثل الجمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض ، وهي مسيرة خمسمائة سنة لكانت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسات أرض بين خريف الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها ، أو قمرها . أخرجه أحمد والترمذي^(٢) وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور .

وقال تعالى: (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) «فصلت ١٩» أي: يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ويجمعوا (حتى إذا ما جاءوها شهيد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) في الدنيا من المعاصي ، وفي كيفية هذه الشهادة ثلاثة أقوال :

أولها : أن الله يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه .

ثانيها : أنه تعالى : يخلق في تلك الأعضاء الأصوات والحروف على تلك المعاني .

ثالثها : أن يظهر في تلك الأعضاء أحوال تدل على صدور تلك الأعمال

(١) المسند للإمام أحمد (٦٨٥٦/١١) والترمذي (٧٠٩/٤) وقال إسناده

حسن صحيح .

(٢) فتح البيان (٨ / ٣٢٤ - ٣٢٥) .

من ذلك الإنسان وتلك الأمارات نسي شهادات (وَقَالُوا لِمَ لَمْ يَأْتِكُمْ
عَلَيْنَا قَالُوا: أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ، وَمَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ
وَأَكْبَرُ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ
رَبَّكُمْ أَنْزَلَكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، فَإِنْ يَصْبِرُوا قَالَنَا مَنَعْنَا قُلُوبَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا
فَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْتِبِينَ) فصلت ٢١ - ٢٤ أي إن يطلبوا الرضا لم يقع
الرضا عنهم بل لا بد لهم للنار ، وعام الكلام على هذه الآية في تفسيرنا
« فتح البيان » (١) .

وقال تعالى « فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّمِيرِ » (الشورى ٧) من عبد الله
ابن عمرو قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال : أتدرون
ما هذان الكتابان ؟ قلنا : لا يا رسول الله ، إلا أن نخبرنا ، فقال لذي في يده اليمنى :
هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجل
على آخرهم ، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، ثم قال لذي في شماله : هذا
كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجل
على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً فقال أصحابه : فقيم العمل يا رسول الله
إن كان أمر قد فرغ منه ؟ فقال : سدّدوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له
بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار
وإن عمل أي عمل . ثم قال رسول الله ﷺ : فنبذها ثم قال فرغ ربكم من
العباد فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّمِيرِ (٢) . أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث
حسن صحيح غريب ، وأحمد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه ،
وروى ابن جرير طرفاً منه موقوفاً على ابن عمرو وقال : هذا الموقف أشبه

(١) (٣٢٤/٨ - ٣٢٥)

(٢) الترمذي (٤٥٩/٤ - ٤٥٠)

بالصواب . قال الشوكاني: بل المرفوع أشبه به فقد رفعه الثقة ورفعه زيادة ثابتة من وجه صحيح، ويقوى الرفع ما أخرجه ابن مردويه عن الهراء قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتاب ينظر فيه قالوا: انظروا إليه كيف وهو أمي لا يقرأ؟ قال فعلمها رسول الله ﷺ فقال: هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء قهائلهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم وقال: (فريق في الجنة وفريق في السعير) ، فرغ ربكم من أعمال العباد انتهى^(١) .

قلت: وأيضاً لا يقال مثل هذا من قبل الرأي .

وقال تعالى: «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ، لَا يُفْقَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ حَبْلُونَ» (الزخرف ٧٤ - ٧٥) أي آيون من النجاة ، وقيل: ما كتون سكوت بأس . قال تعالى: «وَنَادُوا: يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ» أي بالموت «قَالَ إِنَّكُمْ مَا كِتُونَ» (الزخرف ٧٧) أي مقيمون في العذاب ، هانت والله دعوتهم على مالك ورب مالك ، قال الخازن: سكت من إجابتهم أربعين سنة انتهى ، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً واليوم كأف سنة مما تعدون ، قال القرظي وقيل: ثمانين سنة ، وقيل: مائة سنة ، وقال ابن عباس: يمكث عنهم ألف سنة^(٢) .

وقال تعالى: «إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقْوِمِ ، طَعَامٌ الْأَثِيمِ ، كَاللَّهُلِ بَغْلِي فِي الْبَطُونِ ، كَذَلِي الْحَمِيمِ ، خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ، ثُمَّ صُودُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ، ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» (الدخان ٤٣ - ٤٩) تقدم تفسير مثل هذه الآية .

وقال تعالى: «وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ» (الجاثية ٧) أي لكل كذاب كشر

الإثم مرتكب لما يوجبه ، وويل واد في جهنم أو كلمة عذاب

وقال تعالى: «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَّبْتُمْ حَلِيَّاتِكُمْ فِي

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد بنحوه (١١٨/٧) ثم قال: رواه الطبراني في الاوسط وفيه الهديل بن بلال وهو ضعيف وراجع فتح البيان (٢) فتح البيان (٤٣٤/٨) (٣٥٤/٨) .

حَوَانِكُمْ وَالذُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ « (الأحقاف ٢٠) عرض الشخص
 على النار أشد في إهانتها من عرض النار عليه، إذ عرضه عليها يفيد أنه كالخطاب
 المخلوق للاحتراق، وقيل في الكلام قلب، أي: تعرض النار عليهم، ومعنى
 بعرض يمدح، والهون: ما فيه من ذل وخزي، وما أخوف هذه الآية في شأن
 للفرحين المتكبرين من عبادة الله الخارجين عن طاعته بفعل السيئات والمعاصي
 والمستمتعين بالذات الفانية من المناكح والملابس والراكب والمساكن النفيسة.

وقال تعالى: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ؟
 قَالُوا: بَلَىٰ وَرَبِّنَا، قَالَ: فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) « (الأحقاف ٣٤) »
 والإشارة بهذا إلى ما هو مشاهد لهم يوم عرضهم على النار، وفي الاكتفاء
 بمجرد الإشارة من التحويل من المشار إليه والتفخيم لشأنه ما لا يخفى، كأنه
 أمر لا يمكن التعبير عنه بلفظ يدل عليه.

وقال تعالى: (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا قَطَطًا مُنْعَمًا) « (معد ١٥) » أي مصارينهم
 نخرجت من أديارهم لفرط حرارته، وقال تعالى: (الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنَّ السُّوءِ
 عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)
 « (الفتح ٦) ». وهذا إخبار عن قوع السوء بهم على ظنهم أن كلمة الكفر تملأ
 كلمة الإسلام.

وقال تعالى: (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ، مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيدٍ،
 الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، قَالَ قَرِيبًا مَّا أُطْفِئَتْهُ
 وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ، قَالَ: لَا تَخْصِمُوا لِي وَلَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ،

مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيْ، وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِعَبِيدٍ («ق ٢٤ - ٢٩ » الخطاب لسائق
والشهود ، أو للملكين من خزنة النار، أو الواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة
تثنية الفعل وتكريره ، والمعنى : كفار للنعم بجانب للإيمان معاد لأهله ، ولا يبذل
خيراً ولا يؤدي زكاة مفروضة ، أو كل حق وجب عليه في ماله ، ظالم لا يقر
بتوحيد الله شك في الحق ، وفيها نهى عن الاختصاص في مواقف الحساب ونفى
الظلم عن الله تعالى على العباد ، ولا مفهوم لقوله ظلام .

وقال تعالى : (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ: هَلِ امْتَلَأْتِ أَوْ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟)
« ق ٣٠ » جملة الزمخشري ومن تبعه من باب المجاز وهو مردود لما ورد :
تحتاج النار والجنة واشتكت إلى ربها . قال النسفي : هذا على تحقيق القول
من جهنم .

ومن أنس رضى الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ
يَأْتِي فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بِمَنْضَاهَا
إِلَى بَعْضِ رِجْلَيْهَا وَتَقُولُ: قَطِ بِمِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَقٌّ
يُنْفِثُهُ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا آخَرَ فَيُكْتَبُ لَهُمْ فَضْلُ الْجَنَّةِ) أخرجه الشيخان وهذا لفظ مسلم^(١)
وأخرجنا من حديث أبي هريرة نحوه وفيه : (فَأَمَّا لِلنَّارِ فَلَا تَمْلِءُ حَتَّى يَضَعَ
اللَّهُ عَلَيْهَا رِجْلَهُ وَيَقُولُ لَهَا قَطِ) وفي الباب أحاديث ، ومذهب جمهور السلف
الإيمان بالقدم والرجل من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكليف ولا تحريف
ولا تمثيل ، وإمرارها على ظاهرها وهذا هو الحق الذي لا يحيد منه^(٢) .

قال تعالى : (يَوْمَ هُمْ كَمَلَى النَّارِ يُقْتَنُونَ) « الذارعات ١٣ » أى بحرقون

(١) مسلم (٤/٢١٨٨)

(٢) فتح البيان (٩/١٠٦)

وبعدون فيها ، وأصل الفتنة إذابة الجوهر ليظهر غشه ثم استعمل في التعذيب والاحراق ، وقال تعالى : (إِنَّ الْجَحِيمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُورٍ ، يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ) « القمر ٤٧ : ٤٨ » أى : فى ذهاب ، عن الحق وبعد عنه ، وفى نار تسع عليهم ، وسقر : علم لجحيم غير منصرف ، ومسها : مقاساة حرها وشدة هذابها .

وقال تعالى : (يُعْرَفُ الْجَحِيمُونَ بِسِيَّامُهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ) « الرحمن ٤١ » لأمى : أنها تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي وتلقبهم الملائكة فى النار ، قال الضحاك : يجمع بين ناصيته وقدمه فى سلسلة من وراء ظهره ، وقيل : تسحبهم الملائكة إلى النار تارة بأخذ النواصي وتارة تجرم على الوجوه وتارة بأخذ أقدامهم ، وتارة تجرم على رؤوسهم ، قال ابن عباس : تأخذ الزبانية بناصيته وقدميه ويجمع فيكسر كما يكسر الحطب فى التنور^(١) .

وقال تعالى : (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا) أى بين جهنم فتحرقهم (وَبَيْنَ جَحِيمٍ آتٍ) « الرحمن ٤٤ » أى فيصيب وجوههم فيحرقون ، والآن : الذى قد انتهى حره وبلغ غايته وقيل : هو واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فيغمسون فيه بأغلامهم حتى تنفخ أوصالهم ، قال قتادة : يطوفون أى يترددون ويسعون مرة بين الجحيم ومرة بين الجحيم .

وقال تعالى : (وَأَسْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ، فِي سَحُومٍ وَجَحِيمٍ ، وَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ) « السجدة ٢٣ » : حر النار ، وتقدم تفسير الجحيم مراراً واليحموم : الشديد للسواد ، ولأمى : أنهم

(١) فتح البيان (٢٣٥/٩)

(٢) الواقعة (٤١-٤٥) .

أنهم يفرعون إلى الظل فيجدونه ظلاً من دخان جهنم شديد السواد ، قال الضحاك : النار سوداء ، وأهلها سود ، كل ما فيها أسود ، قال ابن عباس : يحوم : دخان أسود ، وفي لفظ دخان جهنم ، وقيل : واد في جهنم ، وقيل : اسم من أسمائها ، والأول أظهر .

والنعتان لقوله ظلٌّ ، لا ليحوم ، وهذا الظل أشجى لحلو قههم وأشد لتحرهم ، وفي الأمور الثلاثة إشارة إلى كونهم في العذاب دائماً ، وفيها ذم التفرقة لأنه يمنعهم من الانزجار ، وشغلهم عن الاعتبار .

وقال تعالى : « ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهْلُ الضَّالِّينَ الْمُكَذِّبُونَ لَا يَكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ، فَمَا لَتَوْنَ مِنْهَا الْبَطُونَ ، فَسَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ، فَسَارِبُونَ شُرَبَّ الْهِيمِ ، هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ » (الواقعة ٥١ - ٥٦) وتقدم تفسير هذه الآية ، والهميم : الابل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها .

وفي الصحاح الهيام : أشد العطش ، والنزُل : الرزق والغذاء ، وفي هذا تهكم بهم لأن النزول هو ما يعد للأضياف تكرمة لهم ، ومثل هذا قوله تعالى : « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » وقال تعالى : « وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٌ إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ » (الواقعة : ٩٢ - ٩٥) أي محصه وخالسه ، والمعنى واضح .

وقال تعالى : « لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ » أي : في الفضل والرتبة « أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ » (الحشر ٢٠) أي الظافرون بكل مطلوب ، الناجون من كل مكروه ، وهذا تنبيه للناس وايدان بأنهم لفرط غفلتهم ، وقلة فكرهم في العاقبة ، وتهالكهم على إثارة العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار ، والبون العظيم بين أصحابها وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنة . والعذاب

الدائم الأليم مع أصحاب النار ، فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه .

وقال تعالى : « إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ، تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ؟ قَالُوا : بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ، وَقَالُوا : لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ، فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ » (الملك ٧ - ١١) .

المعنى : اذا طرحوا طرَح الحطب في النار سمعوا لها صوتا منكرا كصوت الحمير عند اول نهيها وهي تغلي غليان الرجل بما فيه ، تكاد تنقطع من الغيظ على الكفار ، وكلما ألقى في جهنم جماعة منهم سألهم ملائكة النار عما ذكر في الآية (١) .

وقال تعالى : « خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَئِنَّ لَهُ الْيَوْمَ هَهْنَا حِمِيمٌ ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ » (الحاقة ٣٠ - ٣٧) قال المنصورون : السلسلة حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة ، والله أعلم بأى ذراع هي ، وقيل بذراع الملك قال نوف الشامي : كل ذراع : سبعون باعا ، كل باع : أبعد ما بينك وبين مكة ، وكان نوف في رحب الكوفة، قال مقاتل : لو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص وقال ابن جريج : لا يعرف قدرها الا الله ، وهذا العدد حقيقة ، أو مبالغة، قال سفيان : بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه .

وقال سويد بن أبي نجيح : بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة (١) ، والغسلين : صديد أهل النار ، وما يغسل من أبدانهم من القيح والصديد ، وقال أهل اللغة : هو ما يجري من الجراح اذا ما غسلت ، وقال الضحاك والربيع بن أنس : هو شجر يأكله أهل النار ، وقال قتادة : هو شر الطعام وقال ابن زيد : لا يعلم ما هو ولا ما الزقوم الا الله تعالى .

وقال ابن عباس : الغسلين الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم . وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسْلِينَ يَهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا لَأَتَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا » أخرجه الحاكم وصححه (٢) . وعن ابن عباس أيضا : الغسلين : اسم طعام من أطعمة أهل النار .

والتوفيق بين ما هنا وبين قوله : « إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ » (الغاشية ٦) وقوله : الزقوم ، وقوله : « مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ » (البقرة ١٧٤) أنه يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك ، أو أن العذاب أنواع ، والمعذنين طبقات : فمنهم آكلة الغسلين ، ومنهم آكلة الصريع ، ومنهم آكلة الزقوم ، ومنهم آكلة النار ، لكل منهم جزء مقسوم (٣) .

وقال تعالى : « يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ، كَلَّا إِهَا لَظَى ، نَزَّاعَةً لِّلشَّوْيِ ، تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ، وَجَمَعَ فَأَوْعَى » (المعارج ١١ - ١٨) لظى : علم لجهنم واشتقاقها من التلظى في النار ، وهو التلهب ، وقيل : هي الدركة الثانية من طباق جهنم ، والشوى الأطراف وجلدة الرأس ومكارم الوجه وحسنه .

(١) فتح البيان (١٠ / ٥٣ - ٥٤) .

(٢) فتح البيان (١٠ / ٥٥) .

(٣) المستدرک (٥٠١ / ٢) ووافقه الذهبي .

قال قتادة : تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك فيه شيئا ، وقال الكسائي : هي المفاصل ، وقال أبو صالح : هي أطراف اليدين والرجلين ، وقال ابن عباس : تنزع أم الرأس ^(١) ، وفي هذا ذم لمن أدبر عن الحق وأعرض عنه وجمع المال فأوعاه وكثره ، ولم ينفقه في سبيل الخير ، ولم يؤد زكاته .

وقال تعالى : « إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا » (المزل ١٢ - ١٣) جمع نكل وهو القيد وقيل : الغل من الحديد ، والأول أعرف في اللغة ، قال مقاتل : هي أنواع العذاب الشديد ، وطعام لا يسوغ في الحلق بل ينشب فيه فلا ينزل ولا يخرج ، قيل : هو الزقوم ، وقيل : الضريع ، وقيل : شوك العوسج ، والغصة : الشجى في الحلق ^(٢) .

وقال تعالى : « سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ، لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا » (المدثر ٢٦ - ٣١) السقر : النار ، أو من أسماؤها ، أو دركة منها ، لا تبقى لهم لحما ، ولا تذر لهم عظاما ، أو لا تبقى من فيها حيا ولا تذره ميتا ، ظهر لهم وتلوح حتى يروها عيانا كقوله : « وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى » (النازعات : ٣٦) وقيل : لواحطة مغيرة لهم ومسودة ، وهذا أرجح من الأول ، واليه ذهب جمهور المفسرين ، وقيل معطشة .

وقال ابن عباس : تلوح الجلد فتحرقه وتغير لونه فيصير أسود من الليل وعنه : محرقة والمراد : بالبشر إما جلدة الانسان الظاهرة ، كما قال الأكثرون أو المراد به : أهل النار من الإنس ، كما قال الأخفش ، وعلى

(١) فتح البيان (١٠ / ٦٥) .
(٢) فتح البيان (١٠ / ١١٧) .

النار تسعة عشر من الملائكة خزتها ، أو من أصناف الملائكة ، أو من صفوفهم ، وقيل : تسعة عشر نقيبا مع كل نقيب جماعة من الملائكة والأول أولى (١) وقال الرازي : وتخصيص هذا العدد لحكمة اختص الله بها .

وقال تعالى : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ ، حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ » (المدثر ٤٢ - ٤٧) والصحيح : أن هذه الآية في الكفار ، قاله سليمان الجمل .

وقال تعالى : « إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا » (الانسان : ٤) تقدم تفسير هذه الأمور الثلاثة ، وعن يعلى بن منبه وهي أمه ، وأبوه أمية . رفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينشئ الله لأهل النار سحابة سوداء مظلمة ، فيقال : يا أهل النار أى شيء تطلبون فيذكرون بها سحابة الدنيا فيقولون : ربنا الشراب فيمطرهم أغلالا تزيد في أغلالهم وسلاسل في سلاسلهم ، وجرا يلهب عليهم » . رواه الطبراني في الأوسط قال في مجمع الزوائد (٢) وفيه من فيه ضعف قليل ومن لم أعرفه .

وقال تعالى : « إِنظَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ، لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ، إِنهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ، كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ، وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ، هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ » (المرسلات ٣٠ - ٣٦) أى يقول لهم خزنة جهنم انطلقوا الى ظل دخان جهنم قد سطم ثم افترق ثلاث فرق يكونون فيه حتى يفرغ من الحساب ، وهذا شأن الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب شعبا وقيل : المراد بالظل هنا السرادق وهو لسان من النار تحيط بهم ، وهو الظل من يحوم ، وقيل ان الشعب

(١) فتح البيان (١٣٣ - ١٣٤) .

(٢) مجمع الزوائد (١٠/٣٩٠) ، وقال المنذرى (٤/٢٣٢) : وقد روى موقوفا عليه ، وهو أصح .

الثلاث هي : الضريع والزقوم والغسلين ، لأنها أوصاف النار ، وكل شررة منها كالقصر في عظمها • ثم شبه الشرر باعتبار لونه بالجمال أو الحبال • قال ابن مسعود : ليست كالشجر والجبال ولكنها مثل المدائن والحصون (١) •

وقال تعالى : « إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ، لِلطَّاغِينَ مَأْبًا ، لَا يَثْبِيحُ فِيهَا أَحْقَابًا ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ، إِلَّا حِسِيمًا وَعَسَاقًا ، جَزَاءً وَقَاقًا » (النبأ ٢١ - ٢٦) أي : جهنم موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها ، أو هي في نفسها متطلعة لما يأتي إليها من الكفار ، والأحقاب الدهور جمع حقب ، قال الواحدي : قال المفسرون : انه بضع وثمانون سنة ، السنة : ثلاثمائة وستون يوما ، اليوم ألف سنة من أيام الدنيا ، وروى مرفوعا من حديث أبي هريرة عند الطبراني وغيره وسنده ضعيف، قاله السيوطي^(٢)، وفي الباب أحاديث ذكرناها في فتح البيان (٣) •

والمقصود بالآية التأييد لا التقييد ، قال الحسن : والله ما هي الا أنه اذا مضى حقب دخل آخر كذلك الى الأبد •

وقال تعالى : « قَامًا مِّنْ طَعْنَى وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى » (النازعات ٣٧ - ٣٩) أي أنها منزلة الذي ينزله لا غيرها •

وقال تعالى : « وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ، وَيَصْلَى سَعِيرًا » (الانشقاق ١٠ - ١٢) أي ينادى هلاكه ويدخل النار ويقاسى حرها وشدتها •

(١) فتح البيان (١٠ / ١٩٣) • (٢) الدر المنثور (٦ / ٣٠٧) •

(٣) فتح البيان (١٠ / ٢٠٥ - ٢٠٦) •

وقال تعالى : « تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً » أى متناهية فى الحر ، « تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ » أى انتهى حرها « لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ » هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه يقال له الشبرق فى لسان قرشى اذا كان رطباً ، فاذا يبس فهو الضريع ، قيل : وهو سم قاتل ، وقيل : هو الحجارة ، وقيل الشجرة فى نار جهنم ، وقال ابن كيسان : هو طعام يضرعون عنده ويذلون ، وقيل : هو الزقوم ، وقيل واد فى جهنم ، وقال الحسن : هو بعض ما أخضاه الله من العذاب ، « لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ » (العاشية ٤ - ٧) أى كلاهما منفيان عنه .

وقال تعالى : « ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ » (التين ٥) قال مجاهد وأبو العالية والحسن : المعنى : ثم رددنا الكافر ، ذلك أن النار درجات بعضها أسفل من بعض ، فالكافر يرد الى الدرجات السفلة ، ولا ينافى هذا قوله تعالى : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » (النساء ١٤٥) فلا مانع من كون الكفار والمنافقين مجتمعين فى ذلك الدرك الأسفل .

قال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ » (البينة ٦) وظاهر الآية العموم وقيل : هم الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم والأول أولى ، وشر أفعل تفضيل ، وفى هذا تنبيه على أن وعيد علماء السوء أعظم من وعيد كل أحد .

وقال تعالى : « وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ، نَارٌ حَامِيَةٌ » (القارعة ٨ - ١١) أى فمسكنه جهنم وسماها أمه . لأنه يأوى اليها كما يأوى الى أمه ، والهاوية من أسماء جهنم ، وسميت بها لأنه يهوى فيها مع بعد قررها .

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « اذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت
 فلانة ؟ فاذا كان مات ولم يأتهم قالوا : خولف به الى أمه الهاوية فبئست
 الأم ، وبئست المريبة » أخرجه ابن مردويه وأخرج من حديث أبي أيوب
 الأنصارى نحوه أيضاً وابن المبارك من حديثه نحوه أيضاً (١) .

وقال تعالى : « ثُمَّ لَتَرَوْهَا غَيْنَ الْيَقِينِ » (التكاثر ٧) وهى المشاهدة
 والمعينة قيل : هو اخبار عن دوام بقائهم فى النار ، أى : هى رؤية دائمة
 متصلة وقيل : المعنى لو تعلمون اليوم علم اليقين وأتم فى الدنيا لترون
 الجحيم بعيون قلوبكم ، وهو أن يتصوروا أمر القيامة وأهوالها (٢) .

وقال تعالى : « كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ، نَارُ اللَّهِ
 الْمُوقَدَةُ ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ ، إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ فِي عَمْدٍ مُّمدَّدةٍ »
 (الهزلة ٤ - ٩) والمعنى : ليطرحن فى النار ويلقن فيها ، وسميت حطمة
 لأنها تحطم كل ما يلقي فيها وتهشمه ، قيل : هى الطبقة السادسة من طبقات
 جهنم . وقيل : الطبقة الثانية وقيل الرابعة ، وهذه النار يخلص حرها الى
 القلوب فيعلوها ويفشاها وخص الأفئدة مع كونها تغشى جميع أبدانهم
 لأنها محل العقائد الزائفة ، أو لكون الألم اذا وصل اليها مات صاحبها .
 أى أنهم فى حال من يموت وهم لا يموتون ، وقيل : المعنى أنها تعلم بمقدار
 ما يستحقه كل واحد من العذاب وذلك بأمارات عرفها الله بها وأنها عليهم
 مطبقة مغلقة وهم موثوقون فى عمد ممددة .

قال مقاتل : أطبقت الأبواب عليهم ثم شددت بأوتاد من حديد فلا يفتح
 عليهم باب ولا يدخل عليهم رَوْحٌ ، ومعنى ممددة : مطوله ، وقيل العمدة
 أغلال فى جهنم وقيل قيود (٣) .

(١) فتح البيان (١٠ / ٤٣٢) الزهد والرقائق (٤ / ٤٢) من حديث
 ابن عمرو وأخرجه الحاكم (٤ / ٥٣٣) عن الحسن البصرى مرسلًا ، قال
 الدارقطنى : مراسيله فيها ضعف (٢ / ٢٧٠) تهذيب التهذيب .

(٢) فتح البيان (١٠ / ٤٣٧) .

(٣) فتح البيان (١٠ / ٤٤٥ - ٤٤٦) .

وقال تعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ » (المسد ١ - ٣) أي سيصلى هو بنفسه ناراً ذات اشتعال وتوقد ، وهى نار جهنم ، أجازنا الله منها يرحمته وكرمه انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

وهذا آخر الآيات الكريمة الواردة فى أحوال جهنم وأهوال النار وذكر أصحابها ، وبقيت آيات مكررة جاءت فى ذلك ، ولا حاجة تدعو الى إيرادها فى هذا الكتاب المبني على الاختصار .

قال القرطبي فى التذكرة : أبواب جهنم وما جاء فيها وفى أهوالها وأسمائها انتهى ثم ذكر ذلك فى أبواب متفرقة وأتى بأحاديث وآثار وردت فى هذه الأبواب فيها أنا أخذو حذوه فى تحرير ذلك مع زيادة على ما ذكره وحذف لما تكرر وتقدم فى بابى الآيات مع الإشارة اليه لئلا يطول ذيل الكلام وبالله الاعتصام .

(باب)

(ما جاء في أن النار لما خلقت فزعت منها الملائكة
حتى طارت أفئدتها)

عن محمد بن المنكدر قال : « لما خلقت النار فزعت الملائكة حتى طارت أفئدتها فلما خلق الله آدم سكن ذلك عنهم وذهب ما كانوا يجدون » أخرجه ابن المبارك (١) ، وقال ميمون بن مهران : « لما خلق الله جهنم أمرها فزفرت زفرة لم يبق في السموات السبع ملك الا خر على وجهه ، فقال لهم الجبار جل جلاله : ارفعوا رؤوسكم أما علمتم أني خلقتكم لطاعتي وعبادتي وخلقته جهنم لأهل معصيتي من خلقي ، فقالوا : ربنا لا تأمننا حتى نرى أهلها فذلك قوله تعالى (وهم من خشية مشفقون) « الأنبياء ٢٨ » فالنار عذاب الله لا ينبغي لأحد أن يعذب بها وقد جاء النهي عن ذلك فقال لا تعذبوا بعذاب الله (٢) .

وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى لَوْ كَانَ فِي مَقَامِي هَذَا لَسَمِعَهُ أَهْلُ السُّوقِ ، وَحَتَّى سَقَطَتْ خِمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ رَجُلَيْهِ » رواه الدارمي (٣) .

وعن يزيد بن أبي سورة قال : رأيت عبادة بن الصامت وهو على حائط المسجد المشرف على وادي جهنم واضعاً صدره عليه وهو يبكي فقلت : أبا الوليد ما يبكيك ؟ قال : هذا المكان الذي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى فيه جهنم ، رواه الطبراني . قال في مجمع الزوائد (٤) ويزيد لم أعرفه وفيه ضعف قد وثقوا .

(١) الزهد والرقائق (٩٢/١٦) . (٢) التذكرة (٣٧٩) .
(٣) الدارمي (٢٨١٥) وقال في الترغيب : رواه الحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم (٨٥٣/٤) .
(٤) مجمع الزوائد (١٠ / ٢٨٦) .

(٥) وخرجه ابن حبان في صحيحه (برقم ٢٩٠٦ موارد الظمان) عن زياد بن أبي سودة وزياد قال عنه ابن حجر في التقریب : ثقة من الثالثة (٢٦٨/١) .

وعن عمر أن جبريل عليه السلام جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم حزينا لا يرفع رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مالي أراك يا جبريل حزينا ، قال : انى رأيت لفحة من جهنم فلم ترجع الى روحى بعد » رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه على بن خلف وهو ضعيف (١) .

وعن عمر بن الخطاب قال : جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فى حين غير حينه الذى كان يأتيه فيه ، فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا جبريل مالي أراك متغير اللون ؟ فقال : ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمفاتيح النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جبريل صف لى النار وانعت لى جهنم ، فقال جبريل : ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ، ثم أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهى سوداء مظلمة لا يضىء شررها ولا يطفأ لهبها ، والذى بعثك بالحق لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من فى الأرض كلهم جميعاً من حره ، والذى بعثك بالحق لو أن خازناً من خزنة جهنم ، يرز الى أهل الدنيا فنظروا اليه ، لمات من فى الأرض كلهم من قبح وجهه ، ومن تن ربحه ، والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبل الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهى الى الأرض السفلى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبى يا جبريل ، لا يتصدع قلبى فأموت . قال : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو يبكى فقال : تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت فيه ؟ فقال : ومالى لا أبكى ، أنا أحق بالبكاء [لعلى أكون فى علم الله على غير الحال التى أنا عليها ، وما أدرى] (٢) لعلى أبتلى بما ابتلى به ابليس ، فقد كان من

(١) مجمع الزوائد (٢٨٦/١٠) وفيه : انى رأيت لفحة من روحى وهو فى الترغيب (٤ / ٨٦٦) كما هنا ، وهو الاقرب .
(٢) ليست فى المجمع .

الملائكة ، وما أدري لعلى أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت ، قال : فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل فما زالوا يبكيان حتى نودي : أن يا جبريل ويا محمد ان الله عز وجل قد أمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال : أتضحكون ووراءكم جهنم ؟ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ولما أسفتم الطعام والشراب ، ولخرجتم الى الصدقات تجأرون الى الله عز وجل فنودي : يا محمد لا تقنط عبادةي انما بعثتك ميسراً ولم أبعثك معسراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سددوا وقاربوا » رواه الطبراني في الأوسط وفيه سلام الطويل وهو مجمع على ضعفه ، كذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١) .

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٢٨٦ - ٢٨٧) وهو في الترغيب (٤ / ٨٦٢

(باب)

ما جاء في البكاء عند ذكر النار والخوف منها

عن زيد بن أسلم قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه اسرافيل فلما سلما على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا اسرافيل منكسر الطرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا جبريل مال اسرافيل منكسر الطرف متغير اللون ؟ قال : لاحت له آتفا حين هبط لمحة من جهنم فذلك الذي يرى كسر طرفه » رواه ابن وهب (١) .

وعن محمد بن مطرف عن الثقة « أَنَّ قَتِيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلَتْهُ خُشْيَةٌ مِنَ النَّارِ فَكَانَ يَبْكِي عِنْدَ ذِكْرِ النَّارِ حَتَّى حَبَسَهُ ذَلِكَ فِي الْبَيْتِ فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَنَقَهُ الْقَتِيُّ فَخَرَّ مَيِّتًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جَهِّزُوا صَاحِبَكُمْ فَإِنَّ الْفَرْقَ مِنَ النَّارِ فَلَدَّ كَيْدَهُ » رواه ابن المبارك (٢)

وروى أن عيسى عليه السلام مر بأربعة آلاف امرأة متغيرات الألوان وعليهن مدارع الشعر والصوف فقال عيسى عليه السلام : ما الذي غير ألوانكن معاشر النسوة ؟ قلن : فان ذكر النار غير ألواننا يا ابن مريم ان من دخل النار لا يذوق فيها برداً ولا شرباً . ذكره الخرائطي في كتاب النشور .

وروى أن سلمان الفارسي لما ضمع قوله عز وجل « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ » (الحجر : ٤٣) فر ثلاثة أيام هاربا من الخوف لا يعقل ، فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له : يا رسول الله أنزلت هذه الآية « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ » فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي فأنزل الله تعالى « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ » الآية . ذكره الثعلبي وغيره والله أعلم بأسانيدها ولم يتكلم عليها القرطبي في التذكرة (٣) .

(١) الزهد والرقائق (٦ / ٩٢) وهو ضعيف لارساله .
 (٢) التذكرة (٢٨٠) وقد خرجها الحاكم (٤٩٤ / ٢) موصولا عن أبي حازم ، قال : اظنه عن سهل بن سعد ، بسياق أتم من هذا ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . (٣) التذكرة (٢٨٠) .

(باب)

(ما جاء فيمن استجار من النار وسأل الله الجنة)

عن أنس بن مالك قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ الْجَنَّةُ : اللَّهُمَّ ادْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ النَّارُ : اللَّهُمَّ أجزءهُ مِنَ النَّارِ » أخرجه الترمذى (١) ، وعن أبي سعيد الخدرى أو عن ابن حنبله الأكبر عن أبي هريرة رضى الله عنه أن أحدهما حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره الى أهل السماء وأهل الأرض فاذا قال العبد : لا اله الا الله ما أشد حر هذا اليوم ! ، اللهم أجرنى من حر نار جهنم قال الله لجهنم : ان عبداً من عبادى استجار بى منك وانى أشهدك أنى قد أجرته منك .

وإذا كان يوم شديد البرد ألقى الله سمعه وبصره الى أهل السماء وأهل الأرض فاذا قال العبد : لا اله الا الله ما أشد برد هذا اليوم ! اللهم أجرنى من زمهرير جهنم ، قال الله عز وجل لجهنم : « ان عبداً من عبادى استجار بى منك ومن زمهريرك وانى أشهدك أنى قد أجرته ، فقالوا : وما زمهرير جهنم ؟ قال : جب يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده بعضه من بعض » رواه البيهقى .

قال القرطبى (٢) فى التذكرة : تقرر من الكتاب والسنة أن الأعمال الصالحة والاخلاص فيها مع الايمان موصلة الى الجنان ومباعدة عن النيران وذلك يكثر ايراده والقطع به مع الموافاة على ذلك ، يغنى عن ذكر ذلك ، ويكفيك الآن من ذلك ما ثبت فى الصحيحين (٣) عن أبى سعيد

(١) الترمذى (٧٠٠/٤) وخرجه الحاكم بنحوه (٥٢٤/١ - ٥٢٥)

وصححه وأقره الذهبى .

(٢) التذكرة (٢٨٠ - ٨١) .

(٣) مسلم (٨٠٨/٢) .

الخدري رضى الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا » قلت : الخريف السنة .

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ زَحَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ بِذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ^(١) » وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » وَيُرْوَى كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ ^(٢) .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ ^(٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ حَتَّى يَشْبِعَهُ وَسَقَاهُ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى يَرُوهُ بِأَعْدَةِ اللَّهِ مِنَ النَّارِ سَبْعَ خَنْدَاقٍ مَا بَيْنَ كُلِّ خَنْدَاقَيْنِ خَمْسُمِائَةَ عَامٍ » وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوَضُوءَ ، وَعَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مُحْتَسِبًا ، بُوعِدَ مِنْ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفًا . قُلْتُ : يَا أَبَا حَمِزَةَ : وَمَا الْخَرِيفُ ؟ قَالَ الْعَامُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ^(٤) فِي كِتَابِهِ ، وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَرَّ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ » أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ ^(٥) .

(١) النسائي (٤ / ١٤٣) قال المنذرى : باسناد حسن (٢ / ١٣١)

الترغيب .

(٢) الترمذى (٤ / ١٦٧) ورواه الطبرانى من حديث أبى الدرداء ، قال

المنذرى : باسناد حسن (٢ / ١٣٠) .

(٣) قال الهيثمى وفيه رجاء بن أبى عطاء وهو ضعيف (٣ / ١٣٠) .

(٤) أبو داود (٢ / ١٦٥) ، قال المنذرى : فى اسناده الفضل بن دلهم

قال يحيى ابن معين : ضعيف الحديث ، وقال مرة : حديث صالح ، وقال

الامام احمد : لا يحفظ ، وقال مرة : ليس به بأس (٤ / ٢٧٧) .

(٥) مسلم (٢ / ٧٠٣) .

(باب)

(احتجاج أهل الجنة والنار وصفة أهلها)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **اُحْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ : يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ ، وَقَالَتْ هَذِهِ : يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِهَذِهِ : أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ ، وَقَالَ لِهَذِهِ : أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا** » رواه البخارى ومسلم والترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح (١) .

قال الحاكم أبو عبد الله فى علوم الحديث : سئل محمد بن اسحاق بن خزيمة عن هذا الحديث : من الضعيف ؟ قال : الذى يبرىء نفسه من الحول والقوة ، يعنى : فى اليوم عشرين مرة الى خمسين مرة ، قال القرطبى (٢) : ومثل هذا لا يقال من جهة رأى فهو مرفوع والله أعلم . وأما المساكين : فالمراد بهم المتواضعون وهم المشرك اليهم فى قوله صلى الله عليه وسلم **« اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَأَحْشِرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ »** (٤) ولقد أحسن من قال :

إذا أردت شريف الناس كلهم فاظر الى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى عظمت فى الله رغبته وذاك يصلح للدنيا وللدين

(١) مسلم (٤ / ٢١٨٦) - الترمذى (٤ / ٦٩٤) .
(٢) علوم الحديث (٨٤) .
(٣) التذكرة (٣٦١) .
(٤) رواه ابن ماجه برقم ٤١٢٦ ، والترمذى (٤ / ٥٧٧) .
قال الحافظ صلاح الدين بن العلاء : الحديث ضعيف السند ، لكن لا يحكم عليه بالوضع . ثم قال : انه ينتهى بمجموع طرقه الى درجة الصحة ، نقله البوصيرى عن السيوطى عنه : وراجع كشف الخفاء (١ / ٢٠٦ - ٢٠٧) .

(باب)

(في صفة النار وفي شرار الناس من هم)

عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته : أهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له (١) الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالا ، والخائن الذي لا يخفى (٢) له طمع وإن دق إلا خائنه ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ، وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش أخرجه مسلم (٣) بطوله وعن حارثة بن وهب الخزاعي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر في رواية : زنيم متكبر ، أخرجه مسلم (٤) وابن ماجه ، والجواظ : الفظ الغليظ ، وقيل : الجافي القلب ، والعتل : الشديد الخصومة وقيل : هو الأكل الشروب الظلوم ، والزنيم المستلحق في قوم ليس هو منهم وقيل : اللثيم .

وعن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد المتمرد ، الذي يتمرد على الله وأبي أن يقول لا إله إلا الله » رواه ابن ماجه (٥) ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل النار إلا شقى ، قيل :

(١) أى لا عقل له ينفعك به من المفاسد ، وينزجر به عنها ، فحسبك به ضعفا وخسارة في الدين ، قال أبو العباس شيخ القرطبي : يعنى بذلك أن هؤلاء القوم ضعفاء العقول فلا يسعون في مصلحة دنيوية ، ولا فضيلة نفسية ولا دينية ، بل يهملون أنفسهم أهمال الأنعام . التذكرة (٣٦٣) .

(٢) أى لا يظهر ، وهو من الاضداد .

(٣) مسلم (٤ / ٢١٩٨) .

(٤) مسلم (٤ / ٢١٩٠) وابن ماجه برقم (٤١١٦)

(٥) برقم (٤٢٩٧) وفي اسناده : اسماعيل بن يحيى ، متفق على تضعيفه :

يا رسول الله ومن الشقي؟ قال من لم يعمل لله بطاعة ولم يترك له معصية»
 رواه ابن ماجه (١) وعنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شرا وهو يسمع (٢)
 وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : مر بجنازة فأثنى عليها شرفقال
 النبي صلى الله عليه وسلم : « من أثنتم عليه شرا وجبت له النار (٣) ،
 أنتم شهداء الله فى الأرض » رواه مسلم (٤) بطوله قالت عائشة : « النار
 دار البخلاء » وقال زيد بن أسلم : هناك الله أن تكون لثما فتدخل النار ،
 وعن ابن عباس أذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بشراركم
 قالوا نعم يا رسول الله قال : من آكل وحده ومنع رفده وجلد عبده ،
 أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال : من يبغض الناس
 ويبغضونه قال : أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا نعم يا رسول الله قال : من
 لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنبا قال : أفأنبئكم بشر من
 هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال : من لا يرجى خيره ، ولا يؤمن
 شره » أخرجه الحافظ أبو نعيم من طريق محمد بن كعب القرظى بطوله
 قال : وهذا الحديث لا يحفظ بهذا السياق عن النبي صلى الله عليه وسلم
 الا من حديثه عن ابن عباس (٥) .

(١) برقم (٤٢٩٨) قال البوصيرى : وفى اسناده : ابن لهيعة وهو
 ضعيف .

(٢) برقم (٤٢٢٤) ، قال البوصيرى : اسناده صحيح رجاله ثقات
 والمعنى ملأ الله .

(٣) معناه عند الفقهاء اذا اتنى عليه أهل الفضل والصدق والعدالة لان
 الفسقة قد يثنون على الفاسق فلا يدخل فى الحديث ، وكذلك لو كان القائل
 فيه عدوا له وان كان فاضلا لان شهادته فى حياته لو كانت عليه غير مقبولة ،
 وكذلك الحكم فى الآخرة قاله القرطبى . التذكرة (٣٦٤) .

(٤) مسلم (٢ / ٦٥٥) .

(٥) قال الهيثمى : رواه الطبرانى ، وفيه : عنبس بن ميمون وهو
 متروك (٨ / ١٨٣) .

(باب)

(في صفة أهل النار)

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأهل النار ؟ كل سفیه جعظرى » رواه أحمد ، وفيه البراء بن عبد الله وهو ضعيف^(١) وعن ابن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند ذكر أهل النار : « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء والمغلوبون » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح^(١) .
وعن ابن غنم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة الجواظ الجعظرى والعتل الزنيم » رواه أحمد واسناده حسن الا أن ابن غنم لم يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم .

وعن على بن رباح قال : بلغنى عن سراقه بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يا سراقه ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار ؟ قال : بنى يا رسول الله قال : أما أهل النار فكل جعظرى مستكبر ، وأما أهل الجنة فالضعفاء المغلوبون » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح الا أن فيه راويا لم يسم ، قاله فى مجمع الزوائد^(١) ، وعن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما بعث الله نبيا الى قوم فقبضه الا جعل بعده فترة يسلا من تلك الفترة جهنم » رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير صدقة بن سابق وهو ثقة^(١) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهل النار لم رهما قوم معهم سياط كأذنان البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحا ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) .

وكذا « أخرج مسلم ^(١) ، قال الخليل : الصنف : الطائفة من كل شيء ،
والسوط : اسم العذاب وان لم يكن ثم ضرب ، قاله الفراء .

قال القرطبي : وهذه الصفة للسياط مشاهدة عندنا بالمغرب الى الآن .
انتهى .

(قلت) بل هو مشاهد في كل مكان وزمان يزداد يوماً فيوماً عند الأمراء
والأعيان ، فنعود بالله من جميع ما كرهه الله .

والمعنى : أنهن كاسيات بالثياب عاريات من الدين لانكشافهن وايداء
محاسنهن ، وقيل : كاسيات ثياباً رفاقاً يظهر ما تحتها وما خلفها ، فهن
كاسيات في الظاهر عاريات في الحقيقة ، وقيل : كاسيات في الدنيا بأنواع
الزينة من الحرام ومما لا يجوز لبسه . ومائلات : معناه زائغات عن طاعة
الله وطاعة الأزواج ، وما يلزمهن من صيانة الفروج والتستر عن الأجانب ،
ومميلات : معناه : يعلمن غيرهن الدخول في مثل فعلهن ، وقيل : مائلات .
متبخترات في مشيتهن ، مميلات يملن رؤوسهن وأعطافهن للخيلاء
والتبختر ، ومميلات لقلوب الرجال اليهن بما يبدن من زينتهن وطيب
رائحتهن ، وقيل : يمتشطن الميلاء وهي مشطة البغايا ، والمميلات : اللواتي
يمشطن غيرهن المشطة الميلاء رؤوسهن كأسنمة البخت : يعظمن رؤوسهن
بالخمر والمقانع ، ويجعلن رؤوسهن شيئاً يسمى عندهن النازة ، لا عقص
الشعر والذوائب المباح للنساء حسب ما ثبت في الصحيح عن أم سلمة
قالت : قلت يا رسول الله انى امرأة أشد ضفر رأسى الحديث ^(٢) .

(١) مسلم (٤ / ٢١٩٢) .

(٢) التذكرة (٣٦٨ - ٣٦٩) .

(باب)

(أول من يكسى من حلل النار)

عن أنس بن مالك قال : « أول من يكسى حلة من النار ابليس ، فيضعها على حاجبه أو حاجبيه ويسحبها من بعده ، وذريته من بعده أو من خلفه ، وهو ينادى يا ثبورا ، وينادون يا ثبورهم ، فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا » رواه أحمد والبخاري ، قال في مجمع الزوائد (١) : ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وقد وثق .

(باب)

(ما جاء في أكثر أهل النار)

عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء » أخرجه مسلم (٢) ، ومن حديث ابن عباس في حديث كسوف الشمس « ورأيت النار فلم أر كالיום منظرا قط ، ورأيت أكثر أهلها النساء . قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال : بكفرنهن : قيل . أيكفرن بالله ؟ قال : بكفر العشير وبكفر الاحسان ، لو أحسنت الى احدهن الدهر ، ثم رأت منك شيئا ، قالت : ما رأيت منك خيرا قط (٣) » .

وعن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٢) .

(٢) مسلم (٤ / ٢٠٩٦) .

(٣) مسلم (٢ / ٢٦٦) .

« ان أقل ساكنى الجنة النساء (١) » . أى لما يغلب عليهن من الهوى والميل الى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرهما الى الأخرى ، فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها لميلهن الى الدنيا والتزين بها ، ثم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التى تصرف الرجال عن الأخرى لما لهم فيهن من الهوى . فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن ، صارفات عنها لغيرهن ، سريعات الانخداع لداعيهن من المعرضين عن الدين . عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن الى الآخرة وأعمالها من المتقين (٢) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء » رواه الترمذى (٣) ، ورواه عن عمران بن حصين أيضا ، وقال فيه : هذا حديث حسن صحيح ، وكلا الحديثين ليس فيهما مقال .

وعن حارثة بن وهب الخزاعى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر » . أخرجه الترمذى (٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والعتل : الشديد الجافى ، والجواظ : الجموع المنوع . وقيل : الكثير اللحم ، المختال فى مشيه ، وقيل : القصير البطين .

وعن عبد الرحمن بن شبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) مسلم (٢٠٩٧ / ٤) .
 (٢) التذكرة (٣٦٩) .
 (٣) التذكرة (٤ / ٧٢٥ - ٧١٦) وعبارته : كلا الاسنادين .
 (٤) الترمذى (٧١٧ / ٤) .

« ان الفساق أهل النار ، قالوا : يا رسول الله ومن الفساق ؟ قال : النساء ، قال رجل : يا رسول الله أو ليس أمهاتنا ونساؤنا وأزواجنا وبناتنا ؟ قال : بلى ولكنهن اذا أعطين لم يشكرن واذا ابتلين لم يصبرن »
رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي راشد الحبراني وهو ثقة (١) .

وعن حكيم بن حزام قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء بالصدقة وحثن عليها وقال : تصدقن فانكن أكثر أهل النار ، فقالت امرأة منهن : لم ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأنكن تكثرن اللعن ، وتسوفن الخير ، وتكفرن العشير » . رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات (٢) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « باب النار لا يدخله الا من يشقى غيظه بسخط الله » رواه البزار من طريق قدامة بن محمد . عن اسماعيل بن شيبه ، وهما ضعيفان ، وقد وثقا ، وبقية رجاله رجال الصحيح (٣) . وقال الفضيل بن عياض : يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء ، أنيابها بادية مشوه خلقتها ، فتشرف على الخلائق ، فيقال : هل تعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ، فيقال : هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها وبها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ، ثم تقذف في جهنم فتنادى : أى رب أين أتباعى وأشياعى ؟ فيقول الله تعالى : ألحقوا بها أتباعها وأشياعها (٤) .

وعن غالب القطان عن رجل عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله

(١) التذكرة (٣٦٩) .
(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) .
(٣) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٥) .
(٤) عزاه القرطبي (٣٧٠) لابن أبي الدنيا ، عن فضيل بن عياض من قوله .

صلى الله عليه وسلم : « ان العرافة حق ولا بد للناس من العرفاء ، ولكن العرفاء في النار » أخرجه أبو داود (١) . قال أهل العلم : العريف القيم بأمر القبيلة والمحلة يلي أمورهم ويتعرف أخبارهم ويعرف الأمير منه أحوالهم .

ومعنى قوله « ان العرافة حق » يريد أن فيها مصلحة للناس ورفقا بهم ألا تراه يقول : لا بد للناس من عرفاء ؟ .

وقوله « في النار » معناه التحذير من الرياسة والتأمر على الناس لما فيه من الفتنة ، والله أعلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل للأمرء ، وويل للأمناء ، وويل للعرفاء ، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض وانهم لم يعملوا عملا » أخرجه أبو داود الطيالسي (٢) .

وعن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة قاطع (٣) » رواه البخارى . قال سفيان : يعنى قاطع رحم . وعن عقبه بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة صاحب مكس » . رواه أبو داود (٤) ومفهوما أنها يدخلان النار .

قال أهل العلم : صاحب المكس : هو الذى يعثر أموال الناس ، ويأخذ من التجار والمختلفين مالا يجب عليهم ، اذا مروا به ، مكسا باسم العثر والزكاة وليس هو الساعى الذى يأخذ الصدقات والحق الواجب للفقراء .

(١) قال المنذرى : فى اسناده مجاهيل (٤٠ / ١٩٦) . مختصر السنن .

(٢) منحة المعبود (٢ / ١٦٥) والحديث رواه أحمد وصححه الشيخ

شاكر .

(٣) البخارى (٨ / ٦) .

(٤) قال المنذرى فى اسناده محمد بن اسحق (٤ / ١٩٨) .

قال القرطبي : ان التبديل اذا كان في الأعمال وليس هو في العقائد فصاحبه في المشيئة وان عذب فانه يخرج بالشفاعة ، وهكذا القول في أصحاب الكبائر المتوعد عليها بالنار واللعنة ، فانهم يخرجون بالشفاعة اذا ارتكبوها على غير وجه الاستحلال (١) .

(باب)

(ما جاء في أول ثلاثة يدخلون النار)

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ثلاثة يدخلون النار : أمير متسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حقه وفقير فخور » أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة (٢) بطوله .

(باب)

(بعث النار وأول من يدعى يوم القيامة)

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أول من يدعى يوم القيامة آدم عليه السلام فيقول يا آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول أخرج بعث جهنم من ذريتك ، فيقول يا رب كم أخرج ؟ فيقول أخرج من كل مائة تسعة وتسعين . قيل فما يبقى منا يا رسول الله ؟ قال ان أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود « أخرجه البخارى (٣) .

(١) التذكرة (٣٧١) وما قبلها .

(٢) ذكره القرطبي (٣٧٢) .

(٣) بمعناه (٨ / ١٣٧) .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ابراهيم يرى آباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة ، فيقول له ابراهيم : ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول أبوه : اليوم لا أعصيك ، فيقول ابراهيم : يا رب انك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : انى حرمت الجنة على الكافرين • ثم يقال : يا ابراهيم ما تحت رجلك ؟ فينظر فاذا هو بذبح متلطح فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار ، أخرجه البخارى ^(١) ، والقترة : غبرة معها سواد ، والذبح : ذكر الضباع •

وفي الحديث دليل على أن الكافر في النار ، وان كان أباً أحد من الرسل ، وقد تعصب قوم أولهم السيوطى فى أن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة ، واستدل لذلك بأخبار لا تصح ولا تثبت ، وتوقف قوم فى ذلك ، وليس الخوض عندي فى هذا الباب من شأن أهل العلم •

وقد ينجر هذا البحث الى اساءة الأدب فى حق من لا يجوز الاساءة فيه ، والله أعلم بحال أبويه صلى الله عليه وسلم ومالهما يوم القيامة ، ولا يلحق عار ولا شنار له صلى الله عليه وسلم بكونهما فى النار كما لا يلحق لابراهيم عليه السلام من كون أبيه فيها ، نعم لو جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك شىء وصح لوجب المصير اليه ولا يعبأ بأفوال الرجال وأباطيل الأخبار ومواضيع الآثار فى أمثال هذه الأبحاث ، فلا يغتر المسلم بقول زيد وعمرو ، بل عليه أن يكون على بصيرة من دينه وعلى بال من ايمانه وعلى سلامة من اسلامه ، ولا يخوض مع الخائضين ، فان الجهل بمقاصد الشرع وضعف العقول وفقدان الفهم فد غلب على الناس أولهم وآخرهم الا من عصمه الله تعالى وفقهه فى الدين وقليل ما هم ، وقليل من عباده الشكور •

(١) وسياق من مجموع روايتين (١٠ / ١١٦) ، (٧ / ١٩٧) فتح البارى

وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يقول يوم القيامة لآدم عليه السلام : قم فجهز من ذريتك تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار ، وواحدا الى الجنة ، فبكى أصحابه وبكوا ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفعوا رؤوسكم فوالذي نفسي بيده ، ما أمتى في الأمم الا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ، فخفف ذلك عنهم » رواه أحمد والطبراني قال في مجمع الزوائد (١) واسناده جيد .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله عز وجل يبعث مناديا ينادى يا آدم ان الله عز وجل يأمرك أن تبعث بعثا من ذريتك الى النار فيقول آدم : يا رب ومن كم ؟ قال فيقال له : من كل مائة تسعة وتسعين فقال رجل من القوم : من هذا الناجي منا بعد هذا يا رسول الله قال : هل تدرون ما أنتم في الناس الا كالشامة في صدر البعير » رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ابراهيم بن مسلم الهجرى وهو ضعيف (٢) .

وعن ابن عباس قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وأصحابه عنده « يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم » (الحج ١) الى آخر الآية قال : هل تدرون أى يوى ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله عز وجل : يا آدم قم فابعث بعثا الى النار فيقول : وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعون الى النار ، وواحدا الى الجنة ، فشق ذلك على القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، انى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، ثم قال انى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعملوا وابشروا فانكم بين خليقتين

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٣) .

(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٣ - ٣٩٤) .

لم تكونا مع أحد الا كثرناه ، يأجوج ومأجوج وانما أتم في الناس أو قال الأمم الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة ، انما أمتى جزء من ألف جزء . رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة (١) .

وعن أنس قال : نزلت (يا أيها الناس اتقوا ربكم) الى قوله (ولكن عذاب الله شديد) . (الحج ١) على النبي صلى الله عليه وسلم في مسير له فرفع بها صوته ، حتى تاب اليه أصحابه فقال : « أتدرون أى يوم هذا ؟ يوم يقول الله لآدم قم فابعث بعثاً الى النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار ، وواحد الى الجنة فشق ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سدّدوا وقاربوا وأبشروا ، فوالذي نفسى بيده ما أتم في الناس كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة » ان معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قط الا كثرناه يأجوج ومأجوج ، ومن هلك من كفره الجن والانس . رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدي وهو ثقة كذا في مجمع الزوائد (٢) .

(باب)

(ما جاء في أول من تسعر بهم جهنم)

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهد

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) .

(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) .

قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال: جرىء؛ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقى في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقل عالم، وقرأت القرآن ليقل: هو قارىء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقل: جواد فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار» أخرجه مسلم^(١) والترمذي بمعناه وقال في آخره: ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة.

(باب)

(ما جاء في جهنم وأنها أدراك ولمن هي؟)

وانما قلنا أدراك ولم نقل درجات، لاستعمال العرب لكل ما تسافل «درك» ولما تعالى «درج» فيقال للجنة درج وللنار درك، والمنافقون في الدرك الأسفل منها وهي الهاوية لغلظ كفرهم وكثرة غوائلهم وتمكنه من أذى المؤمنين، والنار دركات سبعة: أي طبقات ومنازل.

عن كعب الأخبار: «ان في النار لبئرا ما فتحت، أبوابها مغلقة

(١) مسلم (١٥١٤٣) الترمذي (٤ / ٥٩٢ - ٥٩٣).

ما جاء على جهنم يوم منذ خلقها الله تعالى الا تستعد بالله من شر تلك البئر،
مخافة اذا فتحت تلك البئر أن يكون فيها من عذاب الله ما لا
طاقة لها به ولا صبر لها عليه وهي الدرك الأسفل من النار» رواه ابن
وهب عن طريق ابن زيد .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه في قوله تعالى « ان المنافقين في الدرك
الأسفل من النار » (النساء ١٢٥) قال : « توأيت من حديد نصبت
عليهم في أسفل النار » أخرجه ابن المبارك (١) . وعن علي قال : هل
تدرون كيف أبواب جهنم ؟ قلنا : هي مثل أبوابنا هذه ؟ قال : لا هي
هكذا ، بعضها فوق بعض » رواه ابراهيم بن هارون الغنوي ، قال أهل
العلم : أعلى الدركات جهنم ، وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد صلى
الله عليه وسلم وهي التي تخلو من أهلها تتصفق الرياح أبوابها ثم لظى
ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية .

قال القرطبي (٢) وقد يقال للدركات درجات ، لقوله تعالى « ولكل
درجات مما عملوا » (الأحقاف ١٩) وقع في كتاب الزهد والرقائق أسماء
هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد في أثر
صحيح ، قال الضحاك : في الدرك الأعلى الحمديون ، وفي الثاني :
وفي الثالث : اليهود ، وفي الرابع : الصابئون ، وفي الخامس : المجوس ،
وفي السادس : مشركو العرب ، وفي السابع : المنافقون .

وقال معاذ بن جبل وذكر علماء السوء : « من اذا وعظ عنف ، واذا
وعظ أنف ، فذاك في أول درك من النار ، ومن العلماء من يأخذ علمه مأخذ
السلطان ، فذلك في الدرك الثاني من النار ، ومن العلماء من يخزن علمه ،
فذلك في الدرك الثالث من النار ، ومن العلماء من يتخير الكلام والعلم

(١) الزهد والرقائق (٨٦٦) .

(٢) التذكرة (٣٨٢) .

لوجوه الناس ، ولا يرى سفلة الناس له موضعاً ، فذلك في الدرك الرابع من النار ، ومن العلماء من يتعلم كلام اليهود والنصارى وأحاديثهم ليكثر حديثهم ، فذلك في الدرك الخامس من النار ، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا ، يقول للناس : سلوني ، فذلك الذي يكتب عند الله متكلفاً ، والله لا يحب المتكلفين ، فذلك في الدرك السادس من النار ، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة وعقلاً ، فذلك في الدرك السابع من النار « ذكره غير مروءة وعقلاً ، فذلك في الدرك السابع من النار » ذكره غير واحد من العلماء قال القرطبي (١) مثله لا يكون رأياً وإنما يدرك توفيقاً .

ثم من هذه الأسماء ما هو اسم علم النار كلها بجملتها نحو جهنم ، وسقر ، ولظى ، وسموم ، فهذه أعلام وليست لباب دون باب فاعلم وفي التنزيل (ووقانا عذاب السموم) « الطور (٢٧) » يريد النار ، أجازنا الله منها بجاه محمد صلى الله عليه وسلم وآله (٢) .

(باب)

(ما جاء أن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها الا يوم الجمعة)

عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان جهنم تسعر كل يوم ، وتفتح أبوابها الا يوم الجمعة ، فانها لا تسعر يوم الجمعة ولا تفتح أبوابها » أخرجه أبو نعيم وهذا غريب من حديثه ، ومكحول لم يكتبه الا من حديث النعمان ، قال القرطبي (٣) : ولهذا المعنى كانت النافلة جائزة يوم الجمعة عند قائم الظهيرة دون غيرها من الأيام والله عز وجل أعلم .

(١) التذكرة (٣٨٣) .

(٢) في التذكرة (٣٨٣) : أجازنا الله منها بيمينه وكرمه أمين .

(٣) التذكرة (٣٨٣) .

(باب)

(ما جاء أن جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم)
تقدم الكلام على ذلك في الباب الثاني من الآيات الكريمة

عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لجهنم سبعة أبواب : باب منها لمن سل السيف على أمتى أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم خرجة الامامان الحافظان أبو عبد الله وأبو عيسى وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث مالك بن مغول رحمه الله ، قال القرطبي (١) : مالك بن مغول أبو عبد الله البجلي الكوفي ، أمام ثقة خرج له البخارى ومسلم والأئمة .

وقال أبى بن كعب : لجهنم سبعة أبواب باب منها للحرورية ، وعن عطاء الخراسانى قال ان لجهنم سبعة أبواب أشدها غما وكرباً وحرأ وأنتها ريحاً للزناة الذين ارتكبوا بعد العلم . رواه أبو نعيم الحافظ .

وعن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله تعالى يعنى الآية المتقدمة « جزء أشركوا بالله ، وجزء شكوا فى الله وجزء غفلوا عن الله ، آثروا شهواتهم على الله ، وجزء شفوا غيظهم بغضب الله ، وجزء أصيروا رغبتهم بحظهم عن الله وجزء عتوا على الله » ذكره الحلیمى فى كتاب منهاج الدين له وقال : فان كان ثابتاً (٢) فالمشركون بالله : هم : الثنوية والشاكون هم الذين لا يدرون أن لهم الهاً أو لا اله لهم ، أو يشكون فى شريعته أنها من عنده أم لا . والغافلون :

(١) التذكرة (٣٨٣) الترمذى (٥ / ٢٩٧) والمسند (١ / ٥٦) باسناد

صحيح .

(٢) ليس بثابت ، فقد عزاه فى تنزيه الشريعة (٣٧٩ / ٢) للخطيب ، قال : وفيه سلام الطويل ، قال أحمد : منكر الحديث ، وقال النسائى : متروك (١٧٥ / ٢) ميزان الاعتدال .

ملحوظة : (صواب هذا الهامش هنا ، وما الحق بهامش الصفحة التالية ١١٣ خطأ ، فتنبه لذلك) .

هم الذين يجحدونه أصلاً ولا يثبتونه ، وهم الدهرية ، والمؤثرون شهواتهم على الله : هم المنهمكون في المعاصي ، لتكذيبهم برسول الله ، وأمره ونهيه ، والشافون غيظهم بغضب الله تعالى : هم القاتلون أنبياء الله ، وسائر الداعين له ، المعذبون من ينصح لهم ، أو يذهب غير مذهبهم ، والمصيرون رغبتهم بحظهم من الله تعالى : هم المنكرون للبعث والحساب ، والعاتون على الله : هم الذين لا يبالون بأن يكون ما هم فيه حقا أو باطلا فلا يتفكرون ولا يعتبرون ولا يستدلون والله أعلم بما أراد رسوله صلى الله عليه وسلم ان كان الحديث ثابتاً .

(باب)

« في بعد أبواب جهنم بعضها من بعض »

وما أعد الله تعالى فيها من العذاب

قال بعض أهل العلم^(١) في قوله تعالى : (لكل باب منهم جزء مقسوم) قال من الكفار ، والمنافين والشياطين ، بين الباب والباب خمسمائة عام فالباب الأول : يسمى جهنم لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء ، فيأكل لحومهم ، وهو أهون عذابا من غيره ، والباب الثاني : يقال له : لظى نزاعة للشوى ، ويقول آكله لليدين والرجلين (تدعو من أدبر) عن التوحيد (وتولى) عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، والباب الثالث : يقال له سقر ، وإنما سمي سقر لأنه يأكل لحوم الرجال والنساء لا يبقى لهم لحماً على عظم ، والباب الرابع يقال له : الحطمة . فقد قال تعالى (وما أدراك ما الحطمة) الآية تحطم العظام ، وتحرق الأفتدة : قال تعالى (التي تطلع على الأفتدة) تأخذه النار من قدميه ، وتطلع على فؤاده ، وترمى بشرر كالقصر ، كما قال تعالى : (ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر) الآية يعني سوداً فتطلع الشرر الى السماء ، ثم تنزل فتحرق وجوههم وأيديهم وأبدانهم ، فيبكون الدمع حتى ينفذ ،

(١) عزاه في تنزيه الشريعة (٢/٣٧٩) للخطيب قال : وفيه سلام الطويل قال أحمد : منكر الحديث وقال النسائي : متروك الميزان (٢/١٧٥)

ثم يكون الدماء ، ثم يكون القيح حتى تنفذ ، حتى ان السفن لو أرسلت تجرى فيما خرج من أعينهم لجرت ، والباب الخامس يقال له الجحيم وانما سمي الجحيم لأنه عظيم ، الجمرة الواحدة منه أعظم من الدنيا .

والباب السادس : يقال له : السعير وانما سمي السعير لأنه يسعر منذ خلق ؛ فيه ثلاثمائة قصر في كل قصر ثلاثمائة بيت في كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب وفيه الحيات ، والعقارب ، والقيود ، والسلاسل ، والأغلال ، والأنكال ، وفيه جب الحزن ، ليس في النار عذاب أشد منه ، اذا فتح باب الجب حزن أهل النار حزناً شديداً . الباب السابع : يقال له الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبداً . وفيه بثر الهباب اذا فتح تخرج منه نار تستعيز منه النار ، وفيه الذي قال الله عز وجل (سأرهقه صعوداً) أو جبل من نار تصعده أعداء الله على وجوههم مغلولة أيديهم الى أعناقهم مجموعة أعناقهم الى أقدامهم والزبانية وقوف على رؤوسهم بأيديهم مقامع من حديد ، اذا ضرب أحدهم بالمقمعة ضربة سمع صوتها الثقلان ، وأبواب النار حديد ، فرشها الشوك ، غشاوتها الظلمة أرضها نحاس ورساص وزجاج ، النار من فوقهم ، والنار من تحتهم ، لهم من فوقهم ظلل من النار . ومن تحتهم ظلل أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت ، وألف عام حتى اسودت ، فهي سوداء مدلهمة مظلمة ، قد مزجت بغضب الله .

ذكره القتيبي في كتاب عيون الأخبار .

وذكر عن ابن عباس أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب ، وهي كما قال تعالى (لها سبعة أبواب) على كل باب سبعون ألف جبل على كل جبل سبعون ألف شعب من النار ، في كل شعب سبعون ألف شق من نار ، في كل شق سبعون ألف واد من نار ، في كل واد سبعون ألف قصر من النار ، في كل قصر سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب ، لكل عقرب سبعون ألف ذنب ، لكل ذنب سبعون ألف نقار لكل نقار

سبعون ألف قلة من سم ، فاذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فتطير منها سرادق عن يمين الثقلين وآخر عن شمالهم وسرادق أمامهم وسرادق من فوقهم وآخر من ورائهم ، فاذا نظر الثقلان الى ذلك جثوا على ركبهم وكل ينادى رب سلم سلم •

قال القرطبي (١) : ومثله لا يقال من جهة الرأى ، فهو توقيف لأنه اخبار عن مغيب • انتهى •

ثم نقل عن وهب بن منبه نحوه • وأقول : وهب يحدث عن الاسرائيليين كثيرا ، ولا يقبل مثل ذلك عنه ، ولا عن أمثاله ونظرائه الا أن يرد به دليل من الكتاب أو السنة الصحيحة ، وما ورد في ذلك من القرآن والحديث يكفى ، ويشفى ويعفى عن غيره •

(باب)

(ما جاء فى عظم جهنم وأزمتها)

وكثرة ملائكتها وفى عظم خلقهم وتقلتها من أيديهم

وفى قمع النبى صلى الله عليه وسلم اياها وردها عن أهل الموقف

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام (٢) سبعون ألف ملك يجرونها » أخرجه مسلم • ورواه الطبرانى عن عبد الله بن مسعود أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه « يجاء بجهنم ، تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » قال فى مجمع الزوائد (٣) : ورجاله رجال الصحيح غير حفص ابن عمر بن الصباح ، وقد وثقه ابن حبان • انتهى •

(١) التذكرة (٣٨٦) •

(٢) مسلم (٢١٨٤/٤) الزمام ما يزم به الشئ أى يشد ويربط •

(٣) مجمع الزوائد (٣٨٨/١٠) •

زاد زيد بن أسلم : « فييناهم اذ شردت عليهم شرده انفلتت من أيديهم ، فلولا أنهم أدركوها لأحرقت من في الجمع فأخذوها (١) » .
 ذكره ابن وهب بطوله ، وزاد أبو حامد في كتاب (كشف علم الآخرة)
 « فيجثو كل من في الموقف على الركب حتى المرسلين ، ويجعل كل واحد منهم يقول : نفسى نفسى لا أسلك اليوم غيرها ، ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول : أمتى أمتى سلمها ونجها يارب . وليس في الموقف من تحمله ركبتاه ، وهو قوله تعالى : « وترى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى الى كتابها » (الجاثية ٢٨) الى آخر ما قال ، وملائكة النار كما وصفهم الله تعالى « غلاظ شداد » .

وعن عبد الرحمن بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزلة جهنم : « ما بين منكبى أحدهما كما بين المشرق والمغرب » رواه ابن وهب (٢) . وقال ابن عباس : ما بين منكبى الواحد منهم مسيرة سنة ، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقعدة ، فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف انسان في قعر جهنم .

وأما قوله تعالى « عليها تسعة عشر » فالمراد رؤسائهم كما تقدم في باب الآيات ، وأما جملتهم ، فالعبارة عنهم كما قال تعالى : « وما يعلم جنود ربك الا هو » (المدثر ٣١) قال أهل العلم : انما خص النبي صلى الله عليه وسلم بردها وقمعها وكفها عن أهل المحشر دون غيره من الأنبياء ، لأنه رآها في مسراه ، وعرضت عليه في صلاته حسب ما ثبت في الصحيح ، وفي ذلك فوائد ثمان ذكرها القرطبي (٣) في التذكرة ليس في ذكرها هنا كثير فائدة .

(١) وهو ضعيف لارساله .

(٢) عبد الرحمن بن زيد تابعى والحديث مرسل ضعيف .

(٣) التذكرة (٣٨٨ - ٣٨٩) وقد ذكر الآثار والأحاديث قبلها .

(باب)

(في كلام جهنم وذكر أزواجها وانه لا يجوزها الا من عنده جواز)

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا جمع الله الخلائق في صعيد واحد يوم القيامة ، أقبلت النار ، يركب بعضها بعضا ، وخزنتها يكفونها ، وهي تقول : وعزة ربى ليخلين بينى وبين أزواجى أو لأغشين الناس عنقاً واحداً ، فيقولون من أزواجك ؟ فتقول : كل متكبر جبار ، أخرجه الحافظ أبو محمد عبد الغنى ^(١) . وفي قوله تعالى : « وفي قوله تعالى : « وتقول هل من مزيد » (ق ٣٠) دلالة على كلام جهنم واضحة لا خفاء بها ، وفي حديث أنس بن مالك يرفعه : تقول جهنم لا يجوزنى الا من عنده جواز . قال النبى صلى الله عليه وسلم : يا جبريل ما الجواز يوم القيامة ؟ قال : أبشر وبشر ألا من شهد أن لا اله الا الله جاز جسر جهنم . الحديث ذكره القرطبي ^(٢) .

(باب)

(ما جاء أن التسعة عشر خزنة جهنم)

قال تعالى (عليها تسعة عشر)

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال : ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قالوا : لا ندرى حتى نسأل نبينا فجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد غلب أصحابك اليوم ، فقال : وبم غلبوا ؟ .

(١) وسيأتى الكلام عليه .

(٢) التذكرة (٢٨٩ - ٢٩٠) .

قال سألهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قال : فما قالوا ؟ ، قال : قالوا لا ندرى حتى نسأل نبينا قال : أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون ، فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا ولكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا : (أرنا الله جهرة) : على بأعداء الله انى سألهم فلما جاءوا قالوا يا أبا القاسم : كم عدد خزنة جهنم ؟ قال : هكذا وهكذا ، في مرة عشرة ، وفي مرة تسع ، قالوا : نعم « الحديث رواه الترمذى (١) وقال : هذا حديث غريب ، انما نعرفه من هذا الوجه من حيث مجالد .

(باب)

(ما جاء في سعة جهنم وعظم سرادقها)

« تقدم ما ورد من الآيات في بابها »

عن مجاهد عن ابن عباس قال : أتدرى ما سعة جهنم ؟ قلت : لا . قال أجل والله ما تدرى ، ان بين شحمة أذنى أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً تجرى فيها أودية القيح والدم ، قلت له : أنهار؟ قال : لا بل أودية ، ثم قال : أتدرى ما سعة جهنم ؟ قلت : لا أدري ، قال : أجل والله ما تدرى ، حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة » (الزمر ٦٧) قالت : قلت : فأين الناس يومئذ ؟ قال على جسر جهنم « أخرجه بن المبارك والترمذى (٢) وصححه : قال في مجمع الزوائد : ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبسة بن سعيد وهو ثقة .

(١) الترمذى ٥ (٤٢٩ - ٤٣١) قلت : وفي مجالد مقال .

(٢) الترمذى (٣٧٢/٥) مقتصرًا على النصف الآخر والتذكرة

(٣٩٠ - ٣٩١) بتمامه والزهد (٨٥/٥) .

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لسرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة »
ذكره ابن المبارك وخرجه الترمذي (١) أيضا وقال عبد الله بن مسعود :
ان جهنم لتضيق على الكافر كتضيق الزج على الرمح (٢) وذكره الثعلبي
والقشيري عن ابن عباس •

(باب)

(ما جاء في أن الشمس والقمر يقذفان في النار)

عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية « وجمع الشمس والقمر »
(القيامة ٩) قال : يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار فتكون نار الله
الكبرى •

وعن يزيد الرقاشي عن أنس يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم
قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ثوران عقيران
في النار : أخرجه أبو داود الطيالسي • قال في مجمع الزوائد ورواه
أبو يعلى وفيه ضعف قد وثقوا (٣) •

قال القرطبي (٤) كذا الرواية « ثوران » بالمثلثة وانما يجمعان في
جهنم لأنهما قد عبدا من دون الله ، ولا تكون النار عذابا لهما لأنهما
جماد ، وانما يفعل ذلك بهما زيادة في تبييت الكافرين وحسرتهم ،
وهكذا قال بعض أهل العلم •

(١) الترمذي (٧٠٦/٤) وفي اسناده : رشدين بن سعد ، وفيه
مقال ، قد تكلم فيه من قبل حفظه . أفاده الترمذي عقبه - الزهد
(٩٠/٥) •

(٢) ذكره ابن المبارك (٨٦/٥) •

(٣) مجمع الزوائد (٣٩٠/١٠) ومنحة العبود (٧٩/٢) •

(٤) التذكرة (٢٩٢) •

(باب)

(ما جاء في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها أجارنا الله منها)

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أوقد على النار ألف سنة حتى أحمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أسودت فهي سوداء مظلمة » رواه مالك والترمذي (١) وهذا لفظه قال : الموقوف في هذا الباب أصح ولا أعلم أحدا رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك ، وعنه موقوفا مثله ، وقال « فهي سوداء كالليل » مكان « سواد مظلمة » رواه ابن المبارك (٢) وعنه أنه قال : ترونها كقاركم لهي أشد سوادا من القار ، والقار : الزفت •

وعنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهي أشد من ناركم هذه بسبعين ضعفاً » رواه الطبراني في الأوسط ، قال في مجمع الزوائد (٣) : ورجاله رجال الصحيح ، وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح •

وعن سلمان قال : « النار سوداء لا يضيء لها ولا جمرها » •

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نار ابن آدم التي يوقدون منها جزء من سبعين جزءا من نار جهنم فقالوا : يا رسول الله وان كانت لكافية قال فانها فضلت بتسعة وستين جزءا » • أخرجه مالك ومسلم وزاد : كلها مثل حرها •

(١) الترمذي (٧١٠/٤) •

(٢) الزهد (٨٨/٥) •

(٣) مجمع الزوائد (٣٨٧/١٠) •

وفي تيسير الوصول الى أحاديث جامع الأصول أخرجہ الثلاثة والترمذی وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها وأنها لتدعو الله أن لا يعيدها فيها » رواه ابن ماجه (١) ورواه البزار عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ أنه ذكر نار جهنم فقال : « أنها لجزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، وما وصلت اليكم حتى - أحسبه قال - نضحت مرتين بالماء ، لتضىء لكم ، ونار جهنم سوداء مظلمة » قال في مجمع الزوائد (٢) ورجاله ضعفاء على توثيق لين فيهم .

وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الصالحة بشرى وهي جزء من سبعين جزءا من النبوة وان ناركم - يعني هذه - جزء من سبعين جزءا من سموم جهنم ومادام العبد ينتظر الصلاة فهو في صلاة ما لم يحدث » رواه البزار وفيه عيب بن اسحاق العطار وهو متروك ووثقه ابن حبان ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح قاله في مجمع الزوائد (٣) .

وعن أبي هريرة نحوه مرفوعا وقال : « ولو أنها ضربت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة » أخرجه سفیان بن عيينة ، وفي خبر عن ابن عباس : « هذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ، ولولا ذلك ما انتفع بها » ذكره أبو عمرو . وقال عبد الله بن مسعود : « لولا أنها ضرب بها البحر عشر مرات ما انتفعتم بشيء منها » وسئل ابن عباس عن

(١) برقم ٤٣١٨ وأخرجه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، أفاده البوصري .

(٢) مجمع الزوائد (٣٧٨/١٠) .

نار الدنيا مما خلقت ؟ فقال من نار جهنم ، غير أنها طفت بالماء سبعين مرة ، ولولا ذلك ما قربت لأنها من نار جهنم (١) .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيصبغ في النار صبغة ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب . »

ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا ، من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط . »

أخرجه مسلم (٢) وأخرجه ابن ماجه (٣) أيضاً عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار ، فيقال : اغمسوه في النار غمسة ، فيغمس فيها ثم يقال له أى فلان هل أصابك نعيم قط ؟ فيقول : لا ما أصابني نعيم قط ، ويؤتى بأشد المؤمنين ضراً وبلاء ؟ فيقال اغمسوه غمسة في الجنة ، فيغمس فيها غمسة فيقال له أى فلان هل أصابك ضر قط أو بلاء ؟ فيقول لا ما أصابني قط ضر ولا بلاء . »

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه الى أهل الدنيا ، حتى يبصروها لأحرقت الدنيا من حرها ، ولو أن خازناً من خزنة جهنم خرج الى أهل الدنيا حتى يبصرونه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله »

(١) ذكرها جميعاً القرطبي (٣٩٤) .

(٢) مسلم (٢١٦٢/٤) .

(٣) برقم ٤٣٢١ وذكره القرطبي (٣٩٥) .

أخرجه ابراهيم بن هدية * ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم » أخرجه البزار (١) .

(باب)

(ما جاء في شكوى النار وكلامها وبعد قعرها وأهوالها وفي قدر

الحجر الذي يرمى به فيها . أجازنا الله ، منها ومن أهوالها)

روى الأئمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشتكت النار الى ربها فقالت رب أكل بعضى بعضاً فجعل لها تفسين نفساً في الشتاء ونفساً في الصيف فشدة ما يجدون من البرد زمهريرها وشدة ما يجدون من الحر من سمومها » أخرجه البخاري ومسلم والترمذي ورواه أبو يعلى عن أنس بن مالك ولفظه « فشدة ما تجدون من الحر من حرها وشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها » قال في مجمع الزوائد (٢) وفيه زياد النميري وهو ضعيف عند الجمهور ، انتهى .

(قلت) وأصله في الصحيح كما عرفت ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان جهنم قالت : يارب ائذن لي في نفس ، فاني أخشى أن أفيض على خلقك فأذن لها بنفسين في كل سنة

(*) وهو حديث باطل وسيأتي الكلام على ابراهيم بن هدية .
(١) قال في مجمع الزوائد (٣٩١/١٠) : وفيه عبد الرحيم بن هارون وهو ضعيف ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال يعتبر حديثه اذا حدث من كتابه فان في حديثه من حفظه بعض مناكير ، وبقيه رجاله رجال الصحيح .

(٢) مجمع الزوائد (٣٨٨/١٠) .

مرتين ، فشدت الحر من فيحها وشدت البرد من زمهريرها » رواه البزار
ورجاله رجاله الصحيح قال الهشمى فى مجمع الزوائد (١) .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : « سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتا هائلا ، فأناه جبريل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا الصوت يا جبريل ؟ فقال : هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاما فهذا حين بلغت قعرها فأحب الله أن يسمعك صوتها ، فما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ملء فيه حتى قبضه الله » رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه اسماعيل بن قيس الأنصارى وهو ضعيف قاله فى مجمع الزوائد (٢) .

وعن أبى هريرة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبة فقال النبى صلى الله عليه وسلم « تدرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار الى الآن حتى انتهى الى قعرها » أخرجه مسلم (٣) وعن الحسن قال : قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا - يعنى منبر البصرة - عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتوى فيها سبعين عاما وما تفضى الى قرارها ، قال وكان عمر يقول : أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامها حديد » رواه الترمذى (٤) وقال لا نعرف للحسن سماعا من عتبة ابن غزوان ، وانما قدم عتبة بن غزوان البصرة فى زمن عمر ، وولد الحسين لسنتين بقيتا من خلافة عمر .

وعن لقمان بن عامر قال جئت أبا أمامة فقلت : حدثنا ما سمعت من

-
- (١) مجمع الزوائد (١٠/٣٨٨) وفيه رواه الطبرانى .
(٢) مجمع الزوائد (١٠/٣٨٩) - الترغيب (٤/٨٨٣) .
(٣) مسلم (٤/٢١٨٤) .
(٤) الترمذى (٤/٧٠٢) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن صخرة وزنت عشر خلفات ، قذف بها من شفير جهنم ، ما بلغت قعرها سبعين خريفا حتى تنتهي الى غي وأثام قيل : وما غي وأثام ؟ قال : بثران في جهنم يسيل منهما صديد أهل النار وهما اللذان ذكرهما الله تعالى في كتابه (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وقوله (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) رواه الطبراني (١) وفيه ضعفاء قد وثقهم ابن حبان ، وقال : يخطئون .

وعن الزهري قال بلغنا أن معاذ بن جبل كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفس محمد بيده ان ما بين شفة النار وقعرها ، لصخرة زنة سبع خلفات بشحومهن ولحومهن وأولادهن ، تهوى من شفة النار قبل أن تبلغ قعرها سبعين خريفا » . أخرجه ابن المبارك وروى الطبراني نحوه ، وفيه راو لم يسم وبقية رجاله رجال الصحيح قاله في مجمع الزوائد (٢) .

وعن أبي أمامة قال : ان ما بين شفير جهنم الى قعرها مسيرة سبعين خريفا من حجر يهوى - أو قال صخرة تهوى - عظمها كعشر عشرات عظام سمان ، فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد : هل تحت ذلك من شيء يا أبا أمامة ؟ قال : نعم غي وأثام ، رواه ابن المبارك (٣) .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن

(١) مجمع الزوائد (٣٨٩/١٠) والخلفة بفتح الخاء وكسر اللام .
الحامل من النوق وهو في الترغيب (٨٨٤/٤) ، قال المنذرى : رواه الطبراني والبيهقي مرفوعا ورواه غيرهما موقوفا وهو أصح .

(٢) مجمع الزوائد (٣٨٩/١٠) والتذكرة (٣٩٦) والترغيب (٨٨٤/٤) والزهد (٨٦/٥) .

(٣) التذكرة (٣٩٦) الزهد (٨٩/٥) . عشرات : جمع عشرات : الناقة الحامل عشرة أشهر أو ثمانية .

حجرا كسبح خلفات بشحومهن وأولادهن ألقى في جهنم لهوى سبعين عاما لا يبلغ قعرها رواه أبو يعلى وفيه يزيد بن ابان الرقاشى وهو ضعيف وقد وثق وبقيه رجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد (١) .

وعن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن حجرا قذف به في جهنم لهوى سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعرها « رواه أبو يعلى والبزار بنحوه وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط ، وبقيه رجالهما ثقات (٢) .

وعن بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لو أن حجرا يهوى في جهنم لما وصل الا قعرها سبعين خريفا » رواه البزار والطبرانى وفيهما محمد بن أبان الجعفى وهو ضعيف .

وعن خالد بن عمير العدوى قال : خطبنا عتبة بن غزوان ، وكان أميرا على البصرة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها الا صبابة الاناء يتصابها صاحبها ، وانكم منتقلون منها الى دار لا زوال لها فاتقلوا بخير ما بحضرتكم فانه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفة جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا ، والله لتملان « الحديث أخرجه مسلم ، (٣) قال كعب : لو فتح من نار جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها ، وان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك

(١) مجمع الزوائد (٤٨٩/١٠) .

(٢) الترغيب (٨٨٢/٤) .

(٣) مسلم (٢٧٨/٤) ، وأذنت : أعلمت ، والصرم « بضم الصاد » . الانقطاع والذهاب ، حذاء . بتشديد الذال . سرعة الانقطاع ، الصبابة بضم الصاد . البقية من الشرب في أسفل الاناء .

مقرب ولا نبى مرسل ، الا خر جاثيا على ركبتيه ويقول نفسى نفسى ذكره
القرطبي (١) .

(باب)

(ما جاء فى أن النار لها عينان وعنق وأذن ولسان)

ذكر رزين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كذب على
متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً ، قيل : يا رسول الله ولها عينان ؟
قال : أما سمعتم الله يقول (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا
وزفيراً) يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول :
وكلت بمن جعل مع الله الها آخر فلو أبصر بهم من الطير بحب السمسم
فيلتقطه من البرية » .

وفى رواية أخرى : فيخرج عنق من النار ، فيلتقط الكفار لقط الطائر
حب السمسم ، صححه أبو محمد بن العربي فى قيسه وقال : أى يفصلهم
عن الخلق فى المعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من البرية (٢) .

وعن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج
عنق من النار يوم القيامة ، فيكلم بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بهما
ولها لسان تكلم به ، فيقول انى أمرت بمن جعل مع الله الها آخر ؛ وبكل
جبار عنيد ، ومن قتل نفساً بغير نفس ، فتنتلق بهم قبل سائر الناس
بخمسةائة عام » وفى رواية فتتنطوى عليهم فتقذفهم فى جهنم ، رواه
البرزاز واللفظ له وأحمد باختصار ، وأبو يعلى بنحوه والطبرانى فى
الأوسط ، وأحد اسناده الطبرانى رجاله رجال الصحيح (٣) .

(١ ، ٢) التذكرة (٢٩٧) .

(٣) مجمع الزوائد (٣٨٩ / ١٠) .

وعن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « اذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة ، أقبلت النار يركب بعضها بعضاً ، وخزنتها يكفونها ، وهي تقول : وعزة ربي ليخلين بيني وبين أزواجي ، أو لأغشين الناس عنقاً واحدة ، فيقولون : ومن أزواجك ؟ فتقول : كل متكبر جبار ، فتخرج لسانهم فتلتقطهم من بين ظهراني الناس ، فتقذفهم في جوفها ، ثم تستأخر ، ثم تقبل يركب بعضها بعضاً ، وخزنتها يكفونها ، وهي تقول : وعزة ربي ليخلين بيني وبين أزواجي ، أو لأغشين الناس عنقاً واحدة ، فيقولون : ومن أزواجك ؟ فتقول : كل جبار كفور ، فتلتقطهم بلسانها من بين ظهراني الناس ، فتقذفهم في جوفها ، ثم تستأخر ، ثم تقبل يركب بعضها بعضاً ، وخزنتها يكفونها ، وهي تقول : وعزة ربي ليخلين بيني وبين أزواجي ، أو لأغشين الناس عنقاً واحدة ، فيقولون : ومن أزواجك ؟ فتقول : كل مختال فخور ، فتلتقطهم بلسانها ، فتقذفهم في جوفها . ثم تستأخر ويقضى الله بين العباد » رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا إلا أن ابن اسحق مدلس ، قاله في مجمع الزوائد (١) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تخرج عنق من النار يوم القيامة ، له عيان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، يقول : انى وكلت بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله الهاً آخر ، وبالمصورين ، أخرجه الترمذى (٢) وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح . وفي الباب عن أبي سعيد ، وكان بعض الوعاظ يقول : أيها المجترىء على النار ألك طاقة بسطوة مالك

(١) مجمع الزوائد (٣٩٢/١٠) وفيه في المرة الثالثة . كل جبار

فخور .

(٢) الترمذى (٧٠١/٤ - ٧٠٢) .

خازن النار ، ومالك اذا غضب على النار وزجرها زجرة كادت تاكل بعضها بعضا .

(باب)

(ما جاء في مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم)

روى عن الحسن أنه قال : « في جهنم واد ، ولا مغار ، ولا غل ، ولا سلسلة ولا قيد ، الا واسم صاحبه مكتوب عليه » وروى عن ابن مسعود نحوه . وعن ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَنَّ رُضَاصَةَ مِثْلَ هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الْجُمَّةِ - أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خُمَيْمَاتِ سَنَةٍ ؛ لَبَلَّغَتِ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السَّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا » أخرجه الترمذي (١) وقال : هذا حديث اسناده صحيح . قال القرطبي (٢) : وفي الخبر أن الله تعالى ينشىء لأهل النار سحابة ، فاذا رأوها ذكروا سحائب الدنيا ، فيناديهم : يا أهل النار ما تشتهون ؟ فيقولون : نشتهى الماء البارد فتمطرهم أغلالا تزداد في أغلالهم وسلاسل تزداد في سلاسلهم . وقال محمد بن المنكدر : لو جمع حديد الدنيا ، ما خلا منها وما بقى ، ما عدل حلقة من حلق جهنم .

وقال ابن زيد : ويقال ان حلقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل في الدنيا لهدته . قال : « وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ » يقيمون بها هؤلاء ، فاذا قال : بخذوه فيأخذه كذا وكذا ألف ملك ، فلا يضعون

(١) الترمذي (٧٠٩ / ٤) .

(٢) التذكرة (٣٩٨) وذكره بنحوه في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه من فيه ضعف قليل ومن لم أعرفه .

(٢ - ١ - ٩ بقطة اولى الاعتبار)

أيديهم على شيء من عظامه ، الا صارت تحت أيديهم رفاتا ، العظام
واللحم يصير رفاتا قال : فتجمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم في الأغلال ،
قال : فيلقون في النار مصنودين ، قال : فليس لهم شيء يتقون به الا
الوجوه ، وهم مصفودون ، قد ذهبت الأبصار فهم عمى ، وقرأ قوله
تعالى : « أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » الى آخر الآية .
قال : فاذا ألقوا فيها يكادون يبلغون قعرها ، يلقاهم لهبها ، فيردهم الى
أعلاها ، حتى اذا كادوا يخرجون تلتقتهم الملائكة بمقامع من حديد
فيضربونهم بها ، فجاء أمر غلب اللهب فهووا كما هم أسفل السافلين ،
وهكذا وقرأ قول الله عز وجل : « كَلَّمْنَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا
فِيهَا » (السجدة : ٢٠) فهم كما قال الله تعالى : « عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلَّى
نَارًا حَامِيَةً » (١) . (العاشية : ٣ - ٤) .

وعن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ أَنَّ
مَقْمَعًا مِنْ حَدِيدٍ ، وَوُضِعَ فِي الْأَرْضِ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ الثَّقَلَانِ مَا أَقْلَوْهُ مِنْ
الْأَرْضِ » رواه أحمد وأبو يعلى ، قال في مجمع الزوائد (٢) : وفيه ضعف
وقد وثقوا .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ ضُرِبَ الْجَبَلُ
بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ ، لَتَفَتَّتْ ثُمَّ عَادَ » رواه أحمد وأبو يعلى في حديث طويل
وفيه ابن لهيعة وقد وثق على ضعفه (٣) .

وروى عن غاوس أن الله عز وجل خلق ملكا وخلق له أصابع على
عدد أهل النار فما من أهل النار معذب الا وملك يعذبه باصبع من
أصابعه فوالله لو وضع أصبعا من أصابعه على السماء لأذابها « ذكره
القيسي في عيون الأخبار له (٤) .

(١) نقله القرطبي (٣٩٩) عنه وراجع :
(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٨) وعزاهما المنذرى (٤ / ٨٨٧) الى
الحاكم ونقل قوله عنهما صحيح الاسناد .
(٣) نقله القرطبي (٣٩٩) التذكرة .
(٤) نقله القرطبي (٣٩٩) التذكرة .

(باب)

(ما جاء في كيفية دخول أهل النار وتلقى النار أهلها)

عن عبد الرحمن بن زيد قال : « تلقاهم جهنم يوم القيامة ، بشر كالنجوم فيولوا هارين ، فيقول الجبار تبارك وتعالى : ردوهم عليها فيردونهم ، فذلك قوله تعالى : « يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ ، مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ » (غافر : ٣٣) أى مانع يمنعكم ، ويلقاهم وهجها قبل أن يدخلوها ، فَتَنْدَرُ جِدْقَهُمْ^(١) ، فيدخلوها عميا مغلولين ، في الأغلال أيديهم وأرجلهم ورقابهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خزنة جهنم ما بين منكبى أحدهم كما بين المشرق والمغرب » ذكره ابن وهب^(٢) .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان جهنم لما سيق إليها أهلها ، تلقتهم فلفحتهم لفة ، فلم تدع لحما على عظم الا ألقته على العرقوب » رواه الطبراني في الأوسط ، وقال في مجمع الزوائد^(٣) وفيه محمد بن سليمان بن الأصبهاني ، وهو ضعيف^(٤) .

(١) في نقل القرطبي (٣٩٩) : فَتَنْدَرُ أَعْيُنَهُمْ ، ومعنى تَدَرَّتْ : زالت كما في المصباح (٩٢٧) .

(٢) ولا تقوم به حجة للوسائط المجهولة بين عبد الرحمن بن زيد والنبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) مجمع الزوائد (٢٨٩/١٠) .

(٤) عزاه المنذرى (٢٤٠/٤) الى الطبراني والبيهقى ، قال : ورواه غيرهما موقوفا عليه وهو أصح .

(باب)

(في رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة)

قال القرطبي (١) : يروى أن لهب النار يرفع أهل النار ، حتى يطير ، كما يطير الشرر ، فاذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة ، وبينهم حجاب ، فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار : « أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ » ، وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يروا الأنهار تطرد بينهم : « أَنْ أْفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ، قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ » فتردهم ملائكة العذاب بمقامع من حديد الى قعر النار .

قال بعض المفسرين : هو معنى قول الله تعالى : « كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ، وَقِيلَ لَهُمْ : ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تُكَذِّبُونَ » (السجدة : ٢٠) ذكره أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له ، وقال : لعلك تقول : كيف يرى أهل الجنة أهل النار ؟ وأهل النار أهل الجنة ! وكيف يسمع بعضهم كلام بعض وبينهم ما بينهم من بعد المسافة وغلظ الحجاب ؟ فيقال لك : لا تقل هكذا ! فان الله يقوى أسماعهم وأبصارهم ، حتى يرى بعضهم بعضا ، ويسمع بعضهم كلام بعض ، وهذا قريب في قدرة الله جدا .

(باب)

(في تنفس أهل النار)

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن في هذا المسجد مائة ألف - أو يزيدون - وفيه رجل من النار ، فتنفس ، فأصاب نفسه ؛ لاحترق المسجد ومن فيه » رواه أبو يعلى عن شيخه اسحاق ، ولم يعينه فان كان ابن راهوية فرجاله رجال الصحيح وان كان غيره فلم أعرفه ، قاله في مجمع الزوائد (١) وعن أبي هريرة مثله ولفظه : « ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم » رواه البزار وفيه عبد الرحيم بن هارون وهو ضعيف ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : يعتبر حديثه اذا حدث من كتابه فان في حديثه من حفظه بعض المناكير ، وبقيه رجاله رجال الصحيح (٢) .

(باب)

(ما جاء في أن في جهنم جبالا وخنادق وأودية وبحارا وصهاريج
وحياضا وآبارا وجبابا وتنائير وسجوناً ويوتا وجسورا
وقصورا وأرحاء ونواعير وعقارب وحيات)
« أجازنا الله منها بفضلته وكرمه »

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفا ، ويهوى

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩١) وقال ابن رجب : قال الامام احمد : هو حديث منكر (٧٢) .

(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩١) .

به ، كذلك منه أبدا » أخرجه الترمذى (١) . وقال : هذا حديث غريب ، لا نعرفه مرفوعا الا من حديث ابن لهيعة .

وفي حديث أنس رضى الله عنه أن من مات سكران فانه يبعث يوم القيامة سكران ، الى خندق في وسط جهنم يسمى السكران (٢) أجازنا الله منه . وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ويل : واد في جهنم ، يهوى فيه الكافر أربعين خريفا ، قبل أن يبلغ قعره ، والصعود : جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ، ثم يهوى فهو كذلك » أخرجه ابن المبارك عن طريق رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن أبى السمع عن أبى الهيثم (٣) .

وعن عطاء بن يسار قال : « الويل : واد في جهنم ، لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره » وذكر ابن عطية في تفسيره عن ابن عياض أنه قال : « الويل : صهريج في جهنم من صديد أهل النار » وقال زياد بن فياض عن أبى عياض : « الويل مسيل في أصل جهنم » وحكى الزهراوى عن آخرين : أنه من ابواب جهنم ، قال أبو سعيد الخدرى : « انه واديين جبلين يهوى فيه الهاوى أربعين خريفا » .

وأخرج الترمذى مرفوعا عن أبى سعيد : « الويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره » قال : وهذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من حديث ابن لهيعة (٤) .

(١) الترمذى (٤/ ١٧٠٣) .

(٢) التذكرة (١٨٦) وهو حديث باطل ، فى اسناده : ابراهيم بن هديعة . قال أبو حاتم وغيره : كذاب .

(٣) الزهد والرقائق (٦/ ٩٦) وفى رشدين مقال .

(٤) الترمذى (٥/ ٣٢٠) وفى ابن لهيعة مقال .

وأخرجه الحاكم (٤٠/ ٥٩٦) وصححه وأقره الذهبى بنحوه .

وقال ابن زيد : اليَحْمُومُ: جبل في جهنم يستغيث الى ظله أهل النار لا بارد بل حار ، لأنه من دخان شفير جهنم ، ولا كريم عذب . وقال سعيد بن المسيب : ولا حسن منظره ، وقال مجاهد : واد في جهنم يقال له موبق ، وعن عكرمة: هو نهر في جهنم ، يسيل نارا ، على حافته حيات مثل البغال الدهم ، فاذا ثارت اليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاحتحام في النار ، وقال أنس بن مالك : هو واد في جهنم من قيح ودم ، قال نوف البكالي في قوله تعالى : « وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا » (الكهف : ٥٢) قال : واد في جهنم ، بين أهل الضلالة وبين أهل الايمان .

وعن أبي بردة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان في جهنم لواديا يقال له ههب ، يسكنه كل جبار » رواه الترمذي ورواه الطبراني بلفظ « ان في جهنم واديا وفي الوادي بئر يقال له ههب ، حق على الله أن يسكنها كل جبار عنيد » قال في مجمع الزوائد (١) : وفيه أزهر بن سنان وهو ضعيف .

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء قال : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ فِي النَّارِ حَيَاتٍ كَأَمْثَالِ أَعْتَقِ الْبُحْتِ ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمُومًا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا ، وَإِنْ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبِغَالِ الْمُوكَفَةِ تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمُومًا أَرْبَعِينَ سَنَةً » رواه أحمد والطبراني ، قال في مجمع الزوائد : وفيه ضعفاء قد وثقوا (٢) . وعن أنس بن مالك قال : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عُمَرُ الذَّبَابِ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً ، وَالذَّبَابُ كُلُّهُ فِي النَّارِ إِلَّا النَّمْلَةَ » رواه أبو يعلى . قال في المجمع : ورجاله ثقات (٣) ، وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الذَّبَابُ كُلُّهُ فِي النَّارِ إِلَّا النَّمْلَةَ » رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابراهيم ابن محمد بن حازم وهو ثقة ورواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٣) وهو في الجامع الكبير ص (٢٣٠٣)
والهيب في أصل اللغة السريع . (٢٤٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠)
(٢٤٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) .

(٤) إِكَاْفُ الْحِمَارِ كِتَابٌ وَغُرَابٌ ، وَوَكَاْفَةٌ : بَرْدَعْتُهُ ، وَالْأَكَاْفُ : صَانِعُهُ ، وَآكِفُ الْحِمَارِ إِكَاْفًا وَآكِفُهُ تَأْكِيْفًا : شِدَّةُ عَلَيْهِ . القاموس (١١٨ / ٢) .

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد وبعض رجال أسانيد الطبراني ثقات ورواه الطبراني أيضا عن ابن مسعود مرفوعا . وقال : إلا النحل ، وفيه اسحاق بن يحيى بن طلحة وهو متروك وقد ذكره ابن حبان في الضعفاء وفي الثقات ، وقال : يحتج بما وافق فيه الثقات ويترك ما انفرد به بعد أن استخرت الله تعالى فيه ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح وقد وافقه الثقات في أصل الحديث (١) . وعن ابن مسعود في قول الله تعالى : « زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ » قال : زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال « رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح (٢) » . وعن ابن عباس في الآية المذكورة قال : هي خمسة أنهار تحت العرش ، يعذبون ببعضها بالليل وبعضها بالنهار « رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيحين ، كذا في مجمع الزوائد (٣) . وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها سئلت عن قول الله تعالى : « قَسَوَفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » (مريم ٥٩) قالت : نهر في جهنم .

واختلفوا في قوله تعالى : « أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » فروى عن ابن عباس : أنه سجن في جهنم ، وقال كعب : هو بيت في جهنم ، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ، ذكره أبو نعيم .

وعنده عن حميد بن هلال قال : حدثت أن في جهنم تناير ضيقها كضيق زج أحدكم في الأرض ، تضيق على قوم بأعمالهم (٤) « وذكر ابن المبارك (٥) أن في جهنم قصرا له هوى يرمى الكافر من أعلاه فيهوى

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) .

(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) وعزاه للطبراني .

(٣) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) .

(٤) نقله وما قبله وما بعده في التذكرة (٤٠١) والزج : الحديدية في

أسفل الرمح .

(٥) الزهد والرقائق (٦ / ٩٦) .

أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله ، قال تعالى : « وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى » (طه : ٨١) وان في جهنم واديا يدعى أثناماً فيه حيات وعقارب ، في فقار احداهن مقدار سبعين قلة من سم ، والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة ، تلدغ الرجل فلا تلهيه عما يجد من حر جهنم حمة لدغتها ، فهو لما خلق له وان في جهنم سبعين داء لأهلها ، كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم ، وان في جهنم واديا يسمى غيّا ، يسيل قيحا ودما ، فهو لما خلق له . قال تعالى : « فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » (مريم : ٥٩) وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان في جهنم بحرا أسود مظلما منتن الريح ، يُغرق الله فيه من أكل رزقه وعبد غيره » رواه أبو هذبة ابراهيم بن هذبة (١) .

وعن محمد بن واسع قال : دخلت على بلال بن أبي بردة . فقلت : « يا أبا بلال : ان أباك قد حدثني عن جدك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان في جهنم واديا يقال له : للمم ، ولذلك الوادي بثر ، يقال : له ههب ، حق على الله أن يسكنها كل جبار فإياك أن تكون منهم » رواه أبو نعيم (٢) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان في جهنم واديا يقال له لملم ، ان أودية جهنم لتستعيز بالله من حره » أخرجه ابن المبارك (٣) .

(١) ولا يصح مما رواه شيء ، قال أبو حاتم وغيره : كذاب ، وقال الخطيب : حدث عن أنس بالباطيل ، وقال النسائي وغيره . متروك (٧١ / ١) الميزان .
 (٢) في اسناده : أزهر بن سنان ، قال ابن عدي : ليست أحاديثه بالمنكرة جدا أرجو أنه لا بأس به ، وقال ابن معين ليس بشيء (١٧٢ / ١) الميزان .
 (٣) الزهد والرقائق (٩٥ / ٦) وفي اسناده : يحيى بن عبيد الله وثقه القطان ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقال أحمد : أحاديثه مناكير وقال مرة : ليس بثقة الميزان (٣٩٥ / ٤) .

وعن الحسين بن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« كل مسكر حرام ، وثلاثة غضب الله عليهم ، ولا ينظر اليهم ، ولا
يكلمهم ، وهم في المنسا ، والمنسا بئر في جهنم : للمكذب بالقدر ، والمبتدع
في دين الله ، ومدمن الخمر » رواه مالك والخطيب (١) . وعن عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ
الْمُتَكَبِّرِينَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْبَاهَ الذَّرِّ عَلَى صُورِ النَّاسِ ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ
شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ ، يُسَاقُونَ حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُولَسُ
يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ » أخرجه ابن وهب وابن
المبارك (٢) . وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ ، فِي صُورِ النَّاسِ ، يُعْشَاهُمْ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ،
يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ ، يَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ ، يُسْقَوْنَ
مِنْ عَصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ ، طِينَةَ الْخَبَالِ » أخرجه الترمذي (٣) . وقال :

• حديث حسن

وروى عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« المدينة مهاجري وفيها مضجعي ، ومنها مخرجي ، حق على أمتي حفظ
جيرانى فيها من حفظ وصيتى كنت له شهيدا يوم القيامة ، ومن ضيعها

(١) نقله في التذكرة (٤٠٢) وفي أسناده : أحمد بن سليمان الخفقي
القرشي ، قال الدارقطني : متروك كذاب (١ / ١٠٢) الميزان .
(٢) الزهد والرقائق (٦ / ٥٢) .

(٣) قال القرطبي : طينة الخبال عرق أهل النار ، أو عصارتهم وهو
شراب أيضا لمن يشرب المسكر ، جاء ذلك في صحيح البخارى . وعن جابر
أن رجلا قدم من جيشان ، وجيشان من اليمن ، فسأل النبي صلى الله عليه
وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له الزر ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أو مسكر هو ؟ قال : نعم ، قال : أن على الله عهدا لمن
شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ، قالوا : يا رسول الله وما طينة
الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار (٤٠٣) التذكرة .

أورده الله حوض الخبال ، قيل : وما حوض الخبال يا رسول الله ؟ قال :
حوض من صديد أهل النار » .

قال القرطبي (١) : غريب من حديث خارجة بن زيد عن أبيه ، لم يروه
عنه غير أبي الزناد تفرد به عند ابنه عبد الرحمن والله أعلم .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَا جُبُّ
الْحُزْنِ ؟ قَالَ : وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمَ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً أَعَدَّهُ اللَّهُ
لِلْقَرَاءِ الْمَرَاتِينَ (٢) » .

وفي رواية : « لِلَّذِينَ يَرَاوُنَ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ » أخرجه أسد بن موسى
والترمذي وقال في حديث أبي هريرة : مائة مرة ، قلنا : يا رسول الله ومن
يدخله قال : القراء المراءون بأعمالهم » وقال هذا حديث غريب .

وأخرجه ابن ماجه (٢) أيضا عن أبي هريرة ولفظه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ » قالوا : يا رسول
الله ، وما جب الحزن ؟ قال : واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمئة
مرة قالوا : يا رسول الله ومن يدخله ؟ قال : أعد للقراء المراءين بأعمالهم
وان من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الأمراء » قال المحاربي :
الجورة ، ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة أيضا ، ولفظه بعد قوله
أربعمئة مرة : « يلقى فيه الغوارون قيل : يا رسول الله ! وما الغوارون ؟
قال : المراءون بأعمالهم في الدنيا » قال في مجمع الزوائد (٣) وفيه محمد بن
الفضل بن عطية وهو مجمع على ضعفه . انتهى .

(١) التذكرة (٤٠٣) وفي اسناده : عبد الرحمن بن أبي الزناد ، قال في
الخلاصة : قال يعقوب بن شيبة : ثقة صدوق فيه ضعف ، وقال ابن
عدي : بغض ما يرويه لا يتابع عليه (١٩٢) . (٢) برقم ٢٥٦ .
(*) قال المنذرى (٩٩/٤) : رواه البيهقي باسناد حسن ، وفيه : من
جب الحزن أو وادي الحزن فقيل يا رسول الله ، وما جب الحزن أو وادي
الحزن ؟ . (٣) مجمع الزوائد (٢٨٩/١٠) .

وفي حديث آخر ذكره أسد بن موسى أنه صلى الله عليه وسلم قال :
 « ان في جهنم لواديا ان جهنم لتتعوذ من شر ذلك الوادى في كل يوم
 سبع مرات وان في ذلك الوادى لجباً ، ان جهنم وذلك الوادى ليتعوذان
 بالله من شر ذلك الجب ، وان في ذلك الجب لحية ، ان جهنم والوادى
 وذلك الجب ليتعوذون بالله من شر تلك الحية ، أعدها الله للأشقياء من
 حملة القرآن .

وقال أبو هريرة : « ان في جهنم أرحاء تدور بعلماء السوء فيشرف
 عليهم بعض من كان يعرفهم في الدنيا ، فيقول : ما صيركم الى هذا ، وانما
 كنا نتعلم منكم ؟ قالوا انا كنا نأمركم بالأمر ونخالفكم الى غيره » .

قال القرطبي (١) : وهذا مرفوع معناه في صحيح مسلم من حديث
 أسامة بن زيد .

وقال أبو المثنى الأملوكى : « ان في النار أقواما يربطون بنواعير من
 نار تدور بهم تلك النواعير ما لهم فيها راحة ولا فترة » .

قال محمد بن كعب القرطبي : « ان لملك مجلسا في وسط جهنم
 وجسورا تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها »
 الحديث .

(١) التذكرة (٤٠٤) .

(باب)

(فى بيان قوله تعالى « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ »)

وفى ساحل جهنم ووعيد من يؤذى المؤمنين)

عن يزيد بن شجرة قال : وكان معاوية بعثه على الجيوش فلقى عدوا ، فرأى فى أصحابه فشلا ، فجمعهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، اذكروا نعمة الله عليكم وذكر الحديث وفيه : انكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسماتكم ، فاذا كان يوم القيامة قيل : يا فلان هانورك ، يا فلان ! لا نور لك ، ان لجهنم ساحلا كساحل البحر فيه هوام وحيات كالْبَحَّاتِي وعقارب كالْبَغَالِ الدُّلْمِ •

فاذا استغاثت أهل النار قالوا : الساحل ، فاذا ألقوا فيها سلطت تلك الهوام عليهم ، فتأخذ شفار أعينهم وشفاهم ، وما شاء الله منهم تكشطها كسطا فيقولون : النار النار ، فاذا ألقوا فيها ، سلط عليهم الجرب ؛ فيحك أحدهم جلده حتى يبدو عظمه ، وان جلد أحدهم لأربعون ذراعا ، قال : يقال : يا فلان ! هل تجد هذا يؤذيك ؟ فيقول : وأى أذى أشد من هذا ؟ قال : هذا بما كنت تؤذى المؤمنين (١) •

وعن أبى سعيد الخدرى قال : « ان صعدوا صخرة فى جهنم اذا وضعوا أيديهم عليها ذابت فاذا رفعوها عادت » أخرجه ابن المبارك (٢) •

(١) الزهد والرقائق (٦ / ٩٥) ، والدلم : السود جمع ادلم •

(٢) الزهد والرقائق (٦ / ٩٦) •

قال ابن عمر وابن عباس : « هذه العقبة جبل في جهنم » •

وقال محمد بن كعب وكعب الأبحار : « هي سبعون درجة في جهنم » •

وقال الحسن وقتادة : هي عقبة شديدة صعبة في النار دون الجسر فاقتموها بطاعة الله عز وجل » •

وقال مجاهد والضحاك والكلبي : هي الصراط ، وقيل : النار نفسها ، وقيل : هو جبل بين الجنة والنار ، يقول فلا جاوز هذه العقبة بعمل صالح • ثم بين اقتحامها بما يكون فقال « فَكُّ رَقَبَةٍ » الآية •

قال ابن زيد وجماعة من المفسرين : معنى الكلام الاستفهام ، تقديره : أفلا اقتحم العقبة ، يقول : هلا أتق ما له في فك الرقاب ، واطعام السَّعْبَانَ ليجاوز به العقبة ، فيكون خيرا له من اتفاه في المعاصي ، وقيل : في الكلام التمثيل والتشبيه فشبه عظم الذنوب وثقلها بعقبة ، فاذا أعتق رقبة وعمل صالحا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة ، وهي الذنوب التي تضره وتؤذيه وتثقله ، فاذا أزالها بالأعمال الصالحة والتوحيد الخالص كان كمن اقتحم عقبة يستوى عليها ويجوزها ، قال القرطبي (١) : هذا حديث حسن ، قال الحسن : هي والله عقبة شديدة : مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان •

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « لأن أجمع أناسا من أصحابي على صاع من طعام ، أحب الي من أن أخرج الى السوق » فاشترى نسمة فأعتقها ، أخرجه الطبراني في كتاب مكارم الأخلاق •

(١) التذكرة (٤٠٥) وعنه ما سبق •

(باب)

ما جاء في قوله تعالى « وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ »

الوقود بالفتح : الحطب وبالضم اسم الفعل وهو المصدر ، والناس عام ومعناه الخاص ، أى من سبق عليه القضاء أنه يكون حطباً لها ، أجازنا الله منها بكرمه ، قال القرطبي (١) : حطب النار شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات قد طال منهن العويل .

وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَظْهَرُ هَذَا الدِّينُ ، حَتَّى يُجَاوِزَ الْبِحَارَ ، وَحَتَّى يُخَاضَ الْبِحَارُ بِالْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ثُمَّ يَأْتِي أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، فَإِذَا قَرَأُوهُ قَالُوا : مَنْ أقرأَ مِنَّا ؟ مَنْ أَعْلَمُ مِنَّا ؟ ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : هَلْ تَرَوْنَ فِي أَوْلِيكَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ أَوْلِيكَ مِنْكُمْ وَأَوْلِيكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَوْلِيكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ » . أخرجه ابن المبارك (٢) ، والحجارة : هى حجارة الكبريت ، خلقها الله عنده كيف شاء أو كما شاء قاله ابن مسعود .

وخلصت بذلك لأنها تزيد على جميع الحجارة بخمسة أنواع من العذاب : سرعة الايقاد ، وتن الرائحة ، وكثرة الدخان ، وشدة الالتصاق بالأبدان ، وقوة حرها اذا حميت .

وقيل : المراد بالحجارة الأصنام لقوله تعالى : « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ » (الأنبياء : ٩٨) والحصب : ما يلقي فى النار

(١) التذكرة (٤٠٧) .

(٢) الزهد والرقائق (٦ / ٨٨) . ونقل محققه تصحيحه عن الحاكم .

مما يزكى به ، وعليه فيكون الحجارة والناس وقودا للنار ، وعلى التأويل الأول يكونون معذبين بالنار والحجارة قال القرطبي (١) : وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل مؤذ في النار (٢) » ، وفي تأويله وجهان (أحدهما) أن كل من آذى الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة بالنار (الثاني) كل ما يؤذي الناس في الدنيا من السباع والهوام وغيرها في النار معد لعقوبة أهل النار ، وذهب بعض أهل التأويل الى أن هذه النار المخصوصة بالحجارة هي نار الكافرين والله أعلم .

(باب)

(ما جاء في تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف كفره
وتوزيع العذاب على العصاة المؤمن بحسب أعمال الأعضاء)

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يعظم أهل النار في النار ، حتى أن بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ، وإن غلظ جلده سبعون ذراعا ، وإن ضرسه مثل أحد) . رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، وفي أسانيدهم أبو يحيى القتات وهو ضعيف ، وفيه خلاف ، وبقية رجاله أوثق منه ، قاله في مجمع الزوائد (٣) .

وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَقْعَدُ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، كُلُّ ضَرْسٍ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرِقَانٍ ،

(١) التذكرة (٤٠٧) .

(٢) حديث ضعيف عزاه السيوطي للدارقطني ، وفي اسناده : عثمان الأشج ، قال الخطيب : ليس بشيء ، وأورده الذهبي في المتروكين ، أفاده المناوي (٣٠ / ٥) .

(٣) مجمع الزوائد (١٠ / ٣١٠) وفيه : وإن جلده مثل أحد .

وقال المنذرى (٢٢٨/٤) واسناده قريب من الحسن .

وَجِلْدُهُ سِوَى لَحْيِهِ وَعَظْمِهِ ، أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا » رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ابن لهيعة وقد وثق على ضعفه (١) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ضَرَسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أَحَدٍ وَغَلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ » . رواه مسلم (٢) . وأخرج الترمذى (٣) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنْ غَلْظَ جِلْدُ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَإِنْ ضَرَسَهُ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَإِنْ مَجَلِسُهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ » قال : هذا حسن صحيح غريب من حديث الأعمش ، وفي رواية : وَفَخِذُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ مِثْلَ الرَّبْدَةِ ، أخرجه عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة ، وقال : هذا حديث حسن غريب (٤) .

وعن أبي هريرة قال : « ضرس الكافر ، يوم القيامة ، أعظم من أحد يعظمون لتمتليء منهم وليذوقوا العذاب » أخرجه ابن المبارك (٥) .

وعن أبي هريرة قال : « ضَرَسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ ، وَجَبِينُهُ مِثْلُ الْوَرِقَانِ وَمَجَلِسُهُ مِنَ النَّارِ كَمَا بَيْنَ الْوَرِقَانِ وَبَيْنَ الرَّبْدَةِ وَكَيْفُ بَصَرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَبَطْنُهُ مِثْلُ إِضْمٍ » قال الجوهري : اضم بالكسر جبل قال القرطبي (٦) : الورقان جبل بالمدينة .

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩) : وَوَرِقَانُ : بوزن قَطْرَانُ : جبل أسود

(٢) مسلم (٤ / ٢١٨٩) .

(٣) الترمذى (٤ / ٧٠٣) والبيضاء : جبل - الربذة : كما بين مكة

والمدينة .

(٤) الزهد والرقائق (٦ / ٨٧) .

(٥) الزهد والرقائق (٦ / ٨٧) وفيه : كما بينى وبين الربذة .

(٦) التذكرة (٤٠٨) .

وعن عبيد بن عمير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بصر الكافر يعني غلظ جلده سبعون ذراعا وضرسه مثل أحد ، وفي سائر خلقه » خرجه ابن المبارك^(١) ، وذكر عن عمرو بن ميمون أنه يسمع بين جلد الكافر ولحمه وجسده دوى كدوى الوحش .

وعن ابن عمر قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْكَافِرَ لَيَسْحَبُ لِسَانَهُ الْقُرْسُحَ وَالْفُرْسَخِينَ يَتَوَطَّؤُهُ النَّاسُ » رواه الترمذي^(٢) .

وعن أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ضَرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مِثْلُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّبْدَةِ » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ربعي بن ابراهيم وهو ثقة^(٣) .

وعن يزيد بن حيان التيمي قال انطلقت أنا وحسين بن سبرة وعمر بن مسلم الى زيد بن أرقم وحدثنا زيد في مجلسه ذلك قال : « ان الرجل من أهل النار ليعظم للنار حتى يكون الضرس من أضراره مثل أحد » قال في مجمع الزوائد^(٤) رواه أحمد في حديث طويل ، ورجاله رجال الصحيح . وعن ثوبان قال وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ضَرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ وَغَلْظُ جِلْدِهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ » رواه البزار وفيه عباد ابن منصور وهو ضعيف وقد وثق ، وبقيّة رجاله ثقات^(٥) .

(١) ولا تقوم به حجة لانه مرسل .

(٢) الترمذي (٧٠٤/٤) وقال : هذا حديث غريب ، وعمله بان في اسناده ابا المخارق : ليس بمعروف وتمقبه المنذرى (٢٢٨/٤) فقال : وقول الترمذي ابو المخارق ليس بمعروف وهم انما هو ابو العجلان المحاربي ذكره البخارى في الكنى ، وقد اورد المناوى في الجامع الازهر (١١٧/١) بلفظ : « ان الكافر ليجر لسانه وراءه قدر فرسخين يتوطؤه الناس » . وعزاه للامام احمد وقال : باسناد جيد .

(٣) مجمع الزوائد (٣٩١/١٠)

(٤) مجمع الزوائد (٣٩٢/١٠) قال : ورجاله رجال الصحيح غير عنبسة

ابن سعيد وهو ثقة .

(٥) مجمع الزوائد (٣٩٢/١٠)

وعن سمرة بن جندب أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْرَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوتِهِ
أخرجه مسلم (١) .

قال القرطبي (٢) : هذا الباب يدل على أن كفر من كفر فقط ، ليس ككفر من كفر وطغى وتمرد وعصى ، ولا شك في أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون ، كما قد علم من الكتاب والسنة ، ولأننا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وقتل فيهم وأفسد في الأرض وكفر مساويا لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين ، ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ضحضاح لنصرته إياه وذبه عنه واحسانه إليه ؟ وحديث مسلم عن سمرة يصح أن يكون في الكفار بدليل حديث أبي طالب ، ويصح أن يكون فيمن يعذب من الموحدين إلا أن الله تعالى يميتهم إمامة حسب ما تقدم بيانه والله أعلم .

ومن خبر كعب الأخبار : « يا مالك مر النار لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرأون القرآن ، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم ، فالنار أعرف بهم ، وبمقدار استحقاقهم من الوالدة بولدها ، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى سرتة ، ومنهم من تأخذه النار إلى صدره (٣) .

وذكر القتيبي في « عيون الأخبار » له مرفوعا عن أبي هريرة أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله إذا قضى بين خلقه

(١) مسلم (٤ / ٢١٨٥) .
(٢) التذكرة (٤٠٩) .

وزادت حسنات العبد دخل الجنة ، وان استوت حسناته وسيئاته حبس على الصراط أربعين سنة ، ثم بعد ذلك يدخل الجنة ، وان زادت سيئاته على حسناته دخل النار من باب التوحيد ، فيعذبون في النار ، على قدر أعمالهم فمنهم من انتهى له النار الى كعبيه ومنهم من انتهى الى ركبتيه ، ومنهم من انتهى النار الى وسطه « (١) » .

وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان (٢) أن حديث مسلم في معنى قوله تعالى : « وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا » قال : أرى والله أعلم أن هؤلاء الموصوفين في هذه الآية والحديث أهل التوحيد ، فان الكافر لا تعاف النار منه شيئا ، وكما اشتمل في الدنيا على الكفر شملته النار في الآخرة ، قال تعالى : « لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ » (الزمر : ١٦) .

وعن الحارث بن أقيش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنْ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يُعْظَمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَكُونَ أَحَدَ زَوَايَاهَا » (٣) .

(باب)

(ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي واذاية أهل النار بذلك)

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ » أخرجه مسلم (٤) وذكره قاسم ابن أصبغ من حديث ابن مسعود أيضا ، قال : قال رسول الله صلى الله

(٢٤١) نقله القرطبي في التذكرة (٤٠٩ - ٤١٠) .

(٣) رواه ابن ماجه برقم ٤٣٢٣ ، قال المنذرى : واسناده جيد

(٤) / ٩٠٩ الترغيب .

(٤) مسلم (٣ / ١٦٧٠) .

عليه وسلم : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ »
وَالْمُصَوِّرُ يُصَوِّرُ التَّمَائِيلَ » (١) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » أخرجه أبو عمر بن عبد البر وابن ماجه وابن وهب وفي اسناده عثمان بن مقسم البزى لم يرفعه غيره ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ، معتزلى المذهب ليس حديثه بشيء . قاله أبو عمر (٢) .

وعن ابن زيد قال : « يقال : انه ليؤذى أهل النار تن فروج الزناة يوم القيامة » ويذكر عن بعض أهل العلم قال : ثلاثة في النار قد آذوا أهل النار ، وكل أهل النار في أذى : رجال مغلقة عليهم توأيت من نار ، وهم في أصل الجحيم ، فيصيحون حتى تعلوا أصواتهم أهل النار ، فيقول لهم أهل النار : ما بالكم من بين أهل النار قد فعل بكم هذا ؟ فقالوا : كنا متكبرين . ورجال قد شقت بطونهم يسحبون أمعاءهم في النار فقال لهم أهل النار : ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا ؟ قالوا : كنا نقتطع حقوق الناس بأيماننا وأماناتنا . ورجال يسعون بين أهل الجحيم والحميم ، لا يقرون ، قيل لهم : ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا ؟ قالوا : كنا نسمى بين الناس بالنميمة » ذكره ابن المبارك (٣) .

وعن شفي بن ماع الأصبحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) بنحوه وزاد فيه : « امام جائر » الجامع الكبير ص (٢٠٨٥) وفي المسند بنحوه رقم ٣٨٦٨ (٥ / ٣٣٢ - ٣٣٣) قال الشيخ شاكر : اسناده صحيح .

(٢٤١) التذكرة (٤١٠) .

(٢) مجمع الزوائد (١ / ١٨٥) والعزو الى ابن ماجه سهو .

وكذا ضعفه المنذرى والمراقى وابن حجر ذكره المناوى (١ / ٥١٨) .

(٣) الزهد والرقائق (٦ / ٩٣ - ٩٤) .

قال : أربعة يؤذون أهل النار ، على ما بهم من الأذى ، يسعون بين الجحيم والحميم ، يدعون بالويل والثبور ، يقول أهل النار بعضهم لبعض : ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فرجل مغلِق عليه تابوت من جمر ، ورجل يجر أمعاه ، ورجل يسيل فوه قيحا ودما ، ورجل يأكل لحمه ، قال : فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فيقول : ان الأبعد مات : وفي عنقه أموال الناس ، لم يجد لها قضاء ، أو قال وفاء ، ثم يقال للذي يجر أمعاه : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فيقول : ان الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه ثم لا يفسله ، ثم يقال للذي يسيل فوه قيحا ودما : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فيقول : ان الأبعد كان ينظر في كل كلمة قذيمة خبيثة يستلذ بها ويستلذ الرفث بها فيذيعها أي يفشيها .

ثم يقال للذي يأكل لحمه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال فيقول : ان الأبعد كان يأكل لحوم الناس ويمشي بالنميمة « خرج الحافظ أبو نعيم ^(١) وقال تفرد به اسماعيل بن عياش ، وشفى مختلف فيه فليل له صحبة .

(باب)

(في عذاب من عذب الناس في الدنيا)

عن خالد بن الوليد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدُّهُمْ عَذَابًا لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا » رواه أبو داود الطيالسي ^(٢) وخرجه البخارى في التاريخ ، وخرجه مسلم

(١) وخرجه ابن المبارك (٦ / ٩٤) الزهد - الترغيب (٣ / ٧٦٥) .

(٢) منحة المعبود (٢ / ٦١) .

بمعناه من حديث هشام بن حكيم بن حزام ، أنه مرَّ على أناسٍ من الأنباط بالشَّام ، قد أقيموا في الشمس ، فقال : ما شأنهم ؟ قالوا : جُسُوا في الجزية ، فقال هشام : أشهدُ لسمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنْ اللهُ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا (١) » .

(باب)

(في شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأته ، ونهى عن المنكر وأتاه)
(وذكر الخطباء فيمن خالف قوله فعله ، وفي أعوان الظلمة كلاب النار)

عن أسامة بن زيد قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « جَاءَ رَجُلٌ فَيَطْرَحُ فِي النَّارِ ، فَيَطْحَنُ فِيهَا ، كَطْحَنِ الْحِمَارِ بِرَحَاهُ ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ : أَيُّ فَلَانٍ ! أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ قَالَ فَيَقُولُ : كُنْتُ أَمُرُّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا أَفْعَلُهُ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ » رواه البخاري (٢) وخرجه مسلم بمعناه عن أسامة بن زيد قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَا فُلَانُ ! مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى كُنْتُ أَمُرُّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ » (٣) .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) التذكرة (٤١٢) - مسلم (٤ / ٢٠١٨) .

(٢) بنحوه (٧ / ١٤٤) فتح الباري .

(٣) مسلم (٤ / ٢٢٩١) .

« أتيت ليلة أسرى بي على أقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، كلما قرضت ردت ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء خطباء أمتك ، الذين يقولون ولا يفعلون » أخرجه العافظ أبو نعيم ، وروى مثله ابن المبارك أيضا ولفظه في آخره « الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب (١) » .

وعن الشعبي قال : « يطلع قوم من أهل الجنة الى قوم في النار فيقولون : ما أدخلكم النار ؟ وانما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ، قالوا : انا كنا نأمركم بالخير ولا نعمله » رواه ابن المبارك (٢)

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يعاقب الأمين يوم القيامة ما لا يعاقب العلماء » أخرجه أبو نعيم (٣) ، وهذا حديث غريب تفرد به سيار عن جعفر ، لم يكتبه الا من حديث أحمد بن حنبل رحمه الله ، وعن ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجلاوزة والشرط أعوان الظلمة كلاب النار » رواه أبو نعيم وهو غريب من حديث طاوس تفرد به محمد بن مسلم الطائفي عن ابراهيم بن ميسرة عن طاوس (٤) .

(١) وفي اسناده : علي بن زيد بن جدهمان أحد علماء التابعين ، مختلف فيه قال أحمد : ضعيف وكذا ابن ميينة ، وقال البخاري وأبو حاتم : لا يحتج به وقال الترمذي : صدوق (٢ / ١٢٧) الميزان .

(٢) الزهد والرقائق (٢١) .

(٣) ذكره الذهبي مما ينكر على جعفر بن سليمان من الأحاديث واختلف في الاحتجاج بها ثم قال : وقيل : أخطأ من حدث به عن جعفر (١ / ٤١١) الميزان .

(٤) التذكرة (٤١٢ - ٤١٣) ومحمد بن مسلم الطائفي : وثقه يحيى ابن معين وغيره وضعفه أحمد بن حنبل - والجلاوزة : جمع جلاوز ، والجلاوز : الشرطي .

« فصل »

قال بعض السادة : أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل ملك عبدا ، فعلمه شرائع الاسلام فأطاع وأحسن ، وعصى السيد ، فاذا كان يوم القيامة أمر بالعبد الى الجنة ، وأمر بسيده الى النار ، فيقول عند ذلك : واحسرتاه واغبناه ، أما هذا عبدي ، أما كنت مالكا لمهجته وماله ؟ وقادرا على جميع ماله ، فما له سعد ، ومالي شقيت ؟ فيناديه الملك الموكل به : لأنه تأدب وما تأدبت ، وأحسن ، وأسأت ، ورجل كسب مالا فعصى الله تعالى في جمعه ومنعه ، ولم يقدمه بين يديه حتى صار الى وارثه ، فأحسن في اتفائه وأطاع الله سبحانه في اخراجه ، وقدمه بين يديه ، فاذا كان يوم القيامة أمر بالوارث الى الجنة ، وأمر بصاحب المال الى النار ، فيقول : واحسرتاه ! واغبناه ! أما هذا مالي فأحسننت به أحوالي وأعمالى فيناديه الملك الموكل به : لأنه أطاع الله ، وما أطعته ، وأتقى لوجهه وما أتقت فسعد وشقيت ، ورجل علم قوما ووعظهم فعملوا بقوله ولم يعمل ، فاذا كان يوم القيامة أمر بهم الى الجنة ، وأمر به الى النار ، فيقول : واحسرتاه ! واغبناه ! أما هذا علمي ؟ فما لهم فازوا به وما فزت ؟ وسلموا به وما سلمت ؟ فيناديه الملك الموكل به : لأنهم عملوا بما قلت وما عملت ، فسعدوا وشقيت . ذكره أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله .

قال ابراهيم النخعي : اني لأكره القصص لثلاث آيات : لقوله تعالى : « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ » (البقرة : ٤٤) وقوله تعالى : « لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » (الصف : ٢ - ٣) ، « وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنفُسَاكُمْ عَنْهُ » (هود : ٨٨) .

قال القرطبي^(١) رحمه الله : وألفاظ هذه الآيات تدل مع ما ذكرناه من الأحاديث على أن عقوبة من كان عالما بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه . وإنما ذلك لأنه كالمستهين بحرمة الله والمستخف لأحكامه وهو كالمستهزئ . ممن لم ينفعه الله بعلمه . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه »^(٢) . وروى أبو أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يجرّون قصبهم في نار جهنم ، فيقال : لهم من أتم ؟ فيقولون : نحن الذين كنا نأمر بالبر ونسى أنفسنا . »

قال القرطبي في التذكرة^(٣) : ان قال قائل في حديث أبي سعيد الخدري أن من ليس من أهل النار اذا دخلوها أحرقوا فيها وماتوا على ما ذكرتموه في أصح القولين وهذه الأحاديث التي جاءت في العصاة بخلافه . فكيف الجمع بينهما ؟ قيل له : الجمع ممكن وذلك والله أعلم أن أهل النار الذين هم أهلها كما قال : « كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ » (النساء ٥٦) . قال الحسن : تنضجهم النار في اليوم سبعين ألف مرة ، والعصاة بخلاف هذا فيعذبون وبعد ذلك يموتون ، وقد تختلف أيضا أحوالهم في طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم . وقد قيل انه يجوز أن يكونوا متألين حالة موتهم ، غير أن آلام المؤمنين تكون أخف من آلام الكفار ، لأن آلام المعذبين وهم موتى أخف من عقابهم وهم أحياء . دليله قوله تعالى : « وَحَاقَ بِالِالْفِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ » .

(١) التذكرة (٤١٤) والفصل من اوله بلفظه له .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) ص (٤١٥) .

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ « (غافر ٤٦) » .

أخبر أن عذابهم اذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى ، ومثله ما جاء في حديث البراء من قول الكافر : رب لا تقم الساعة ، رب لا تقم الساعة ، رب لا تقم الساعة ، لأنه يرى أن ما يخلص له من عذاب الآخرة أشد مما هو فيه والله أعلم .

وقد يكون ما جاء في الخطاب هو عذابهم في القبور في أعضاء مخصوصة كغيرهم ، كما في حديث سمرة الطويل ، إلا أن قوله في حديث أسامة ابن زيد « يوم القيامة » يدل على ذلك ، وقد يجمع له الأمران لعظم ما ارتكبه من مخالفة قولهم فعلهم ، نعوذ بالله من ذلك .

(باب)

(ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم)

تقدم في باب الآيات من ذلك ما يشفى ويكفى وفيها أن ثيابهم من نار وسرايلهم من قطران وطعامهم الزقوم والحميم والغساق والضرع والغسلين ، قال الهروي : معناه صديد أهل النار وما ينغسل ويسيل من أبدانهم ، والغساق : ما يسيل من صديدهم ، وقيل : القيح الغليظ .

قال ابن عمر : « لو أن قطرة منه تهراق في المغرب أتت أهل المشرق ، ولو أنها تهراق في المشرق أتت أهل المغرب » .

وقيل : الغساق الذي لا يستطيع من شدة بروده وهو الزمهرير ، وقال كعب : « هو عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة فتستقع

ويؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن العظام ، فيجر لحمه في كعبه كما يجر الرجل ثوبه « جَزَاءً وَفَاقًا » ، أي : وافق أعمالهم الخبيثة ، واختلف في الضريع . فقيل : هو نبت ينبت في الربيع ، وقيل هو : الشوك ، وقيل : الحجارة ، وقيل الزقوم ، وقيل : واد في جهنم .

قال القرطبي : قال المفسرون : الزقوم أصلها في الباب السادس وأنها تحيا بلهب النار كما تحيي الشجرة ببرد الماء ، فلا بد لأهل النار من أن ينحدر إليها من كان فوقها فيأكلون منه ، وقال أبو عمران الجوني : بلغنا أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة الا نهشت منه مثلها ، والمهل : ما كان ذائبا من الفضة والنحاس ، وقيل : المهل عكر الزيت الشديد السواد (١) .

(باب)

(ما جاء في أن أهل النار يجوعون ويعطشون)

(وفي دعائهم واجابتهم)

عن محمد بن كعب القرظي قال : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في أربع ، فاذا كان في الخامسة ، لا يتكلمون بعدها أبدا ، يقولون : « رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ » . فيجيبهم الله تعالى : « ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ » (غافر ١٢) ثم يقولون « رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » (السجدة ١٢) فيجيبهم الله تعالى « فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (السجدة ١٤) ثم يقولون « رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ

(١) التذكرة (٤١٦) باختصار .

قَرِيبٌ مُجِيبٌ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ « (ابراهيم ٤٤) فيجيبهم الله تعالى
« أَوْ لَمْ تُكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ » .

ثم يقولون : « رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » فيجيبهم
الله تعالى : « أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا
فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ » (فاطر : ٣٧) ويقولون : « رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا
شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ » . فيجيبهم الله تعالى : « اخْسِنُوا فِيهَا وَلَا
تُكَلِّمُنِي » (المؤمنون : ١٠٦ - ١٠٨) . أى بعدها أبدا ، رواه
البيهقي .

وخرجه ابن المبارك^(١) بأطول من هذا ، فقال : أخبرنا الحكم بن عمر
ابن أبي ليلى قال : حدثني عامر قال : سمعت محمد بن كعب القرظي
يقول : « بلغني أو ذكر لي أن أهل النار استغاثوا بالخزنة فقال الله :
« وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ
الْعَذَابِ » . فسألوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب ، فردت عليهم
الخزنة : « أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قَالُوا بَلَى » . فردت عليهم
الخزنة « فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ » (غافر : ٥٠) ، قال :
فلما يسوا ما عند الخزنة نادوا مالكا وهو عليهم غضبان . وله مجلس
في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب ، فيرى أقصاها كما يرى
أدناها ، فقالوا : « يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ » (الزخرف : ٧٧) قال :
اسألوا الموت ، فيسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة ، قال : والسنة ستون
وثلاثمائة شهر والشهر ثلاثون يوما ، واليوم كآلف سنة مما تعدون . ثم
لحظ اليهم بعد الثمانين فقال : « إِنَّكُمْ مَا كُتُبُونَ » فلما سمعوا منه
ما سمعوا وأيسوا منه مما قبله ، فقال بعضهم لبعض : يا هؤلاء انه قد
نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون فهلم فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا ،

(١) الزهد (٦ / ٩١ - ٩٢) وفي المخطوطة التي طبع عليها الزهد في
هذا الموضع خرم أشار اليه محققه .

كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر اذا صبروا ، فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا ، فطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادوا : « سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرِعْنَا أَمْ صَبْرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ » ، أى من منجى ، فقام ابليس عند ذلك ، فقال :

« إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ - الى قوله - وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِينَ إِيَّائِي كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ » (ابراهيم : ٢١ - ٢٢)
قال : فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم ، قال : فنودوا : « كَلَفْتُ اللَّهَ أَكْبَرَ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ - الى قوله - فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ » ، قال : فرد عليهم : « ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ » (غافر : ١٠ - ١٢) قال ، فهذه واحدة ، فنادوا الثانية : « رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » •

قال : فرد عليهم « وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدَاهَا » ، يقول : لو نسئت لهديت الناس جميعا فلم يتخلف منهم أحد ، « وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (السجدة : ١٣ - ١٤) •

قال : فهذه ثنتان فنادوا الثالثة « رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى آجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ » فرد عليهم « أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنَ زَوَالٍ ، وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ - الى قوله - لِنَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ » (ابراهيم : ٤٤ - ٤٦) •

قال : فهذه الثالثة ، ثم نادوا « رَبَّنَا أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » قال فيجيبهم : « أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرٍ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ، فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ » (فاطر : ٣٧) • ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم ناداهم « أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ » •

قال: فلما سمعوا صوته قالوا: الآن يرحمنا ربنا، فقالوا عند ذلك: « رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا »، أى الكتاب الذى كتب علينا « وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ » فقال عند ذلك: « اخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » (المؤمنون : ١٠٥ - ١٠٨) فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء وأقبل بعضهم ينبج في وجه بعض وأطبقت عليهم .

قال: فحدثنى الأزهر بن أبى الأزهر أنه ذكر له أن ذلك قوله تعالى: « هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ » (المرسلات : ٣٥) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم « إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ » قال: والله هانت دعوتهم على مالك ورب مالك قال: ثم يدعون ربهم فيقولون: « رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ »، الآية . قال فسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، قال: ثم يرد عليهم « اخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » .

قال: فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو الا الزفير والشهيق في نار جهنم، فشبه أصواتهم بصوت الحمير أولها زفير وآخرها شهيق « ومعنى « ما نَبَسَ » ما تكلم، قال الجوهري: يقال: ما نبس بكلمة أى ما تكلم، أخرجه ابن المبارك (١) .

وَعَنْ شَهْرَ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ، فَيَسْتَعِيثُونَ فَيُعَاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ ، لَا يُسْمِنُ وَلَا

(١) الزهد والرقائق (٦٠ / ٩١) وهو موضع السقط ورواه الطبرانى بتحوه، ورجاله رجال الصحيح (١٠ / ٣٩٦) مجمع الزوائد .

يُعْنِي مِنْ جُوعٍ ، فَيَسْتَفِثُونَ بِالطَّعَامِ فَيَفْثُونَ بِطَعَامِ ذِي غُصَّةٍ فَيَذْكُرُونَ
 أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْغُصَصَ فِي الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ فَيَسْتَفِثُونَ بِالشَّرَابِ فَيَرْفَعُ
 إِلَيْهِمُ الْحَمِيمُ بِكَلَالِيبِ الْحَدِيدِ فَإِذَا دَنَّتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَتْ وَجُوهُهُمْ ،
 فَإِذَا دَخَلَتْ بَطُونُهُمْ قَطَعَتْ مَا فِي بَطُونِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : ادْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ ،
 فَيَقُولُونَ : «أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قَالُوا بَلَى ! قَالُوا فَادْعُوا وَمَا
 دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» . قَالَ : فَيَقُولُونَ : ادْعُوا مَالِكًا ، فَيَقُولُونَ :
 «يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ؟» (الزخرف ٧٧) قَالَ : فَيُجِيبُهُمْ : «إِنَّكُمْ
 مَا كُنْتُمْ » قَالَ الْأَعْمَشُ : بُنِيَ أَنْ بَيْنَ دُعَائِهِمْ وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَالِكٍ إِيَّاهُمْ أَلْفَ
 عَامٍ ، قَالَ : فَيَقُولُونَ : ادْعُوا رَبَّكُمْ ، فَلَا أَحَدَ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَيَقُولُونَ :
 « رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ » قَالَ : فَيُجِيبُهُمْ «اخْسَئُوا فِيهَا
 وَلَا تُكَلِّمُونِ » (المؤمنون ١٠٨) قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْبُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ،
 وَعِنْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُونَ فِي الزَّفِيرِ وَالْحَسْرَةِ وَالْوَيْلِ ، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١) .
 وَزَادَ رِزِينَ : فَيُقَالُ لَهُمْ : « لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا
 كَثِيرًا » وَالْحَدِيثُ رَفَعَهُ قُطْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ شَمْرِ بْنِ عَطِيَّةَ
 عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ وَهُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ . وَالنَّاسُ يَوْقِفُونَهُ عَلَى
 أَبِي الدَّرْدَاءِ قَوْلَهُ .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «لَا وَهُمْ
 فِيهَا كَالْحَوْنِ» . قَالَ : تَشْوِيهِ النَّارِ فَتَقْلَصُ شَفْتَهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ
 رَأْسِهِ وَتَسْتَرِخِي شَفْتَهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ مُرَّتَهُ ، وَلَسْرَادِقُ النَّارِ أَرْبَعَةٌ
 جِدْرٌ كَثْفٌ كُلُّ جِدَارٍ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَاقِ
 يَهْرَاقِ فِي الدُّنْيَا لَأَتَتْ أَهْلَ الدُّنْيَا » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢) وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ
 حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ :

(١) التِّرْمِذِيُّ (٤ / ٧٠٧ - ٧٠٨) .

(٢) هُمَا حَدِيثَانِ : اسْنَادُ الْأَوَّلِ كَمَا قَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٤ / ٧٠٨) .
 وَفِي اسْنَادِ «لَسْرَادِقٍ» : رَشِيدِينَ .

كالمهل قال : « كعكر الزيت فاذا قربه اليه سقطت فروة وجهه فيه »
قال أبو عيسى : هذا حديث انما نعرفه من حديث رشدين بن سعد
ورشدين قد تكلم فيه من قبل حفظه (١) .

قال القرطبي (٢) : وقع في الحديث « فروة وجهه » وهو شاذ ، انما
يقال فروة رأسه أى جلده هذا هو المشهور عند أهل اللغة وكذا جاء
في حديث أبي أمامة .

وعن أبي حنيفة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قَالَ : « إِنَّ الْحَمِيمَ لِيُصَّبَ عَلَى رُؤْسِهِمْ فَيَنْفِذُ الْحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى
جَوْفِهِ فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ثُمَّ يَعَادُ
كَمَا كَانَ » قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح (٣) .

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :
« وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ » (ابراهيم ١٧) قال : يقرب الى فيه
فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع
أمعائه حتى تخرج من دبره يقول الله تعالى « وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ » (محمد ١٥) ويقول « وَإِنْ يَسْتَنْعِشُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ
يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا » (الكهف ٢٩) قال
حديث غريب (٤) .

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ »
(آل عمران ١٠٢) وَقَالَ: لَوْ أَنَّ قَطْرَةَ مِنَ الزَّقُومِ قَطُرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا

(١) الترمذى (٧٠٦ / ٤) - الزهد (٦ / ٩٠) .

(٢) التذكرة (٢٤٠) .

(٣) و (٤) الترمذى (٧٠٥ / ٤) .

لَأَفْسَدْتُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ» قَالَ أَبُو عَيْسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَخَرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ أَيْضًا (١) .

(بَابُ)

(مَا جَاءَ فِي بَكَاءِ أَهْلِ النَّارِ وَمِنْ أَدْنَاهُمْ عَذَابًا فِيهَا)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فْتَبَاكُوا فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَاوِلٌ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدَّمُوعُ فَتَسِيلَ الدَّمَاءُ فَتُقْرِحَ الْعُيُونَ فَلَوْ أَنَّ سَفُنًا أُجْرِيَتْ فِيهَا لَجَرَّتْ » أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَأَضْعَفَ مَنْ فِيهِ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ وَقَدْ وَثَّقَ عَلَى ضَعْفِهِ ، انْتَهَى (٢) .

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يُرْسَلُ الْبَكَاءُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ فَيَكُونُ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدَّمُوعُ ثُمَّ يَكُونُ الدَّمُ حَتَّى يَصِيرَ فِي وَجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الْأَخْدُودِ لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهَا السَّفِينُ لَجَرَّتْ » (٣) .

وَعَنِ النَّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ أَهْوَنَ أَهْلُ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِرَجُلٍ تَوَضَّعَ فِي إِخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٤) وَفِي رِوَايَةٍ : مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا » أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ (٥) وَالتِّرْمِذِيُّ .

(١) التِّرْمِذِيُّ (٤ / ٧٠٦) ابْنُ مَاجَةَ بِرَقْمِ (١٤٤٦) بِنَحْوِهِ .
 (٢) الزَّهْدُ (٦ / ٨٥) - التَّذَكُّرُ (٤٢١) - مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ (١٠ / ٣٩١)
 (٣) ابْنُ مَاجَةَ بِرَقْمِ (٤٣٢٤) .
 (٤) وَ (٥) مُسْلِمٌ (١ / ١٩٦) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَهْوَنُ
أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ «
رواه البخارى (١) .

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ
أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ ، أَكُنْتَ
تَهْتَدِي بِهِ ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي
صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَيَّتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي « متفق
عليه (٢) ، وروى عن أبي موسى الأشعري موقوفاً أنه قال : أن أهل النار
ليكون الدموع في النار حتى لو أجريت فيه السفن لجرت ثم أنهم
يكون الدم بعد الدموع ومثل ما هم فيه فلييك ، وفي التنزيل
(فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (التوبة ٨٢) .

وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم: وَاللَّهِ لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ
لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا (٣) رواه الترمذى ، فمن كثر بكاءه خوفاً
من الله تعالى وخشية منه ضحك كثيراً في الآخرة قال الله تعالى مخبراً
عن أهل الجنة (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) (الطور ٢٦) ووصف
أهل النار فقال (وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ) (المطففين ٣١)
وقال « وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ » (المؤمنون ١١٠) .

(١) مسلم (١ / ١٩٦) - والبخارى (٥ / ٦٦) بنحوه .

(٢) البخارى (٧ / ١٤٣) - مسلم (٢ / ٢١٦٠) .

(٣) الترمذى (٤ / ٥٥٦) .

(باب)

(لكل مسلم فداء من النار من الكفار)

عن أبي بردة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة ، أذن لأمة محمد صلى الله عليه وسلم في السجود فيسجدون له طويلا ثم يقال ارفعوا رؤوسكم ، قد جعلنا عدتكم فداءكم من النار » أخرجه ابن ماجه (١) ، وعنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان هذه الأمة مرحومة عذابها بأيديها ، فاذا كان يوم القيامة ، دفع الى كل رجل من المسلمين ، رجل من المشركين ، فيقال هذا فداؤك من النار » (٢) .

قال القرطبي : وهذان الحديثان وان كان اسنادهما ليس بالقوى قال الدارقطني جبارة بن المغلس متروك ، فان معناهما صحيح بدليل حديث مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ هَذَا فَيَكَاكُكَ مِنَ النَّارِ » (٣) ، وفي رواية أخرى (٤) : لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا » قال فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فحلف له (٥) .

(١) ابن ماجه برقم (٤٢٩١) .

(٢) ابن ماجه برقم (٤٢٩٢) .

(٣) مسلم (٢١١٩ / ٤) .

(٤) يعنى عن أبي بردة عن أبي موسى .

(٥) مسلم (٢١١٩ / ٤) .

فصل

قال علماءنا رحمهم الله في هذه الأحاديث: ظاهرها الاطلاق والعموم وليست كذلك وانما هي في ناس من المسلمين تفضل الله عليهم برحمته ومغفرته فأعطى كل انسان منهم فكاكا من النار من الكفار واستدلوا بحديث أبي بردة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى** « أخرجه مسلم (١) ومعنى يفرها لهم أى يسقط المؤاخذة عنهم بها حتى كأنهم لم يذنبوا ، ومعنى الوضع أى يضاعف عليهم العذاب بذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرائمهم وجرم مذنبى المسلمين لو أخذوا بذلك . لأنه تعالى لا يأخذ أحدا بذنب أحد . كما قال « **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** » (الإسراء ١٥) وله سبحانه أن يضاعف لمن شاء العذاب ويخفف عن من يشاء بحكم ارادته ومشئته اذ لا يُسألُ عما يفعلُ ، وفي الرواية الأخرى : **لَا يَبُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا** (٢) ، فمعنى ذلك أن المسلم المذنب لما كان استحق مكانا من النار بسبب ذنوبه وعفا الله عنه وبقي مكانه خاليا منه أضاف الله ذلك المكان الى يهودى أو نصرانى ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذى يستحقه بحسب كفره ، ويشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أنس: **يُقَالُ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي ثَبِتَ عِنْدَ السُّؤَالِ فِي الْقَبْرِ « أَظْطَرُّ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ »** (٣) .

قال القرطبي : قد جاءت أحاديث دالة على أن لكل مسلم مذنبا

(١) مسلم (٤) / ٢١٢٠ .

(٢) مسلم (٤) / ٢١١٩ .

(٣) مسلم (٤) / ٢٢٠٠ .

كان أو غير مذنب منزلين : منزلا في الجنة ومنزلا في النار ، وذلك هو معنى قوله تعالى « أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ » (المؤمنون ١٠) ، أى يرث المؤمنون منازل الكفار ويجعل الكفار في منازلهم في النار وهو مقتضى حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان العبد اذا وضع في قبره » الحديث الا أن هذه الوراثة تختلف فمنهم من يرث ولا حساب ولا مناقشة ومنهم من يرث بحساب ومناقشة وبعد الخروج من النار حسب ما تقدم من أحوال الناس والله أعلم .

وقد يحتمل أن يسمى الحصول على الجنة وراثة من حيث حصولها دون غيرهم وهو مقتضى قوله تعالى « وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُهُمُ الْخَيْرَ حَيْثُ نَشَاءُ » (الزمر ٧٤) والله أعلم (١) .

(١) هذا الفصل من التذكرة (٤٢٢) مع اختلاف يسير .

(باب)

(في قوله تعالى « وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ »)

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يَلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ : بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ . وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ » أخرجه مسلم (١) والبخاري والترمذي ، وفي رواية من حديث أبي هريرة « فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا رِجْلَهُ فَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ قَطُّ (٢) فَهَنَّاكَ تَمْتَلِي وَيُزَوِّي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلَا يَطْلُمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا » (٣) .

قال القرطبي (٤) : وللعلماء في قول النار « هَلْ مِنْ مَزِيدٍ » تأويلان .

(أحدهما) : وعدا ليملاها فقال : أوفيتك ، فقالت : وهل من مسلك أي قد امتلأت ، وهذا تفسير مجاهد وغيره وهو ظاهر الحديث .

الثاني : (زدني زدني) تقول ذلك غيظا على أهلها وحنقا عليهم كما قال « تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْعَيْظِ » (الملك ٨) ، أي تنشق ويبين بعضها من بعض ، وهي عبارة عن يتأخر دخوله في النار من أهلها وهم جماعات كثيرة لأن أهل النار يلقون فيها فوجا فوجا كما قال تعالى : « كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ » (الملك ٨) ،

(١) مسلم (٢١٨٨ / ٤) - والبخاري (١٦٨ / ٨) بنحوه .
 (٢) قط معناها : حسبي وهي باسكان الطاء أو بكسرها منوتا وغير منون نقله الآبي عن القاضي عياض (٢١٨ / ٧) .
 (٣) مسلم (٢١٨٦ / ٤) .
 (٤) التذكرة (٤٢٤) .

ويؤيده أيضا قوله في الحديث « لا يزال يلقي فيها » فالخزنة تنتظر أولئك المتأخرين إذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم كما روى عن ابن مسعود أنه قال: ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه ، وكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته . فإذا استوفى كل واحد ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قالت الخزنة : قط قط ، أي حسبنا حسبنا اكتفينا اكتفينا، وحينئذ تنزوي جهنم على من فيها ، وتنطبق ، إذ لم يبق أحد ينتظر ، فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم ، لأن الله تعالى ليس بجسم من الأجسام ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا .

والعرب تعبر عن جماعة الناس والجراد بالرجل ، فتقول : جاءنا رجل من جراد ، ورجل من الناس : أي جماعة منهم والجمع أرجل ، ويشهد لهذا التأويل قوله في نفس الحديث « وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا آخَرَ فَيَسْكِنُهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ » وفي الحديث تأويلات أتينا عليها في الأسماء والصفات أشبهها ما ذكرنا والله أعلم .

وفي التنزل « أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ » (يونس ٢) قال ابن عباس : المعنى منزل صدق ، وقال الطبري : عمل صالح ، وقيل هو السابقة الحسنة ، فدل على أن القدم ليس حقيقة في الجارحة والله الموفق . قال ابن فورك : وقال بعضهم القدم خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة ، فيسميه قدما ، ويضيفه إليه من طريق الفعل ، يضعه في النار فتمتلىء النار منه ، قال القرطبي ، وهذا نحو ما قلناه في الرجل : انتهى كلام القرطبي .

وأقول : كل ما ذكر القرطبي هنا من تأويل الرجل والقدم لا يشهد له دليل من كتاب ولا سنة ولا لغة ولا مذهب أحد من سلف الأمة وأئمتها ، ونقل ابن فورك ، « القدم خلق » الخ لا يقبل حتى يدل

عليه دليل من السنة، وآتى ذلك الدليل عند أهل التأويل، والتأويل هو صنيع المتكلمين ووظيفة المنتحلين لمذاهب الحكماء والفلسفة الطاغين، ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم منه وقال «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ»، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِبِينَ وَاتِّحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ» رواه البيهقي في كتاب المدخل عن ابراهيم العذري (١).

ولهذا كان السلف الصالحون يجرون آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل، ولم يكونوا يؤولون شيئا منها بشيء من عند أنفسهم حذرا من مضادة مراد الله ورسوله في تأويل تلك النصوص، وكانوا يقولون الله أعلم بمراده بذلك.

فمن أول شيئا من صفاته سبحانه فقد خالف الشريعة الحقة، وسلف الأمة واقتدى بمن نكب عن الصراط المستقيم، وقد اتدب جماعة من أهل العلم بالقرآن والحديث لرد أقوال المؤولين، وردوا عليهم أقوالهم حرفا حرفا، وأوضحوا خطأهم في إثار التأويل على التفويض لفظا لفظا، وألقوا في ذلك كتبا جمة مطولة ومختصرة قديما وحديثا وكثرت فيها الزلازل والقلاقل، حتى آل الأمر إلى المقاتلة والمجادلة والتكفير والتضليل في كل زمان ومكان، وابتلى بها المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا.

وكان ما كان وحاشا أهل الحديث والسنة والخبر والأثر وأصحاب الكتاب العزيز أن يعتقدوا فيه سبحانه وتعالى التجسيم والتكييف، أو يعطلوا صفاته العليا، أو يؤولوا أسماءه الحسنى، بل هم أشد

(١) سئل عنه الإمام أحمد، فقال: هو صحيح كما نقله العراقي في التقييد (١٣٩) وعزاه في قواعد التحديث (٤٩) إلى ابن عدي والدارقطني وأبي نعيم قال: وتعدد طرقه يقضى بحسنه كما جزم به العلاني اهـ.

الناس ردا على المجسمة المشبهة وأغضبهم في سبيل الله على الجهمية
 المعطلة ، وإنما ينسبهم الى التجسيم من هو جاهل سفيه لا يعرف
 صورهم ، ولا سيرهم ولا يعلم الكتاب ولا السنة ، ولا يحوم حولهما
 ولا يفهم معانيهما .

وقد زل قدم قوم من أهل المعرفة بالأخبار أيضا في هذا المقام حتى
 ذهبوا الى التأويل كاليهقي في الأسماء والصفات ، وكالقرطبي عفا
 الله عنا وعنهم بمنه وكرمه ، وأما مقلدة الأئمة الأربعة وأصحاب المذاهب
 الاعتبارية فلا تسئل عنهم فانهم بمعزل عن حلاوة الاتباع ، على مراحل
 شاسعة عن سعادة التمسك بالسنة ، رزقنا الله تعالى اقتداء سلف
 الأمة / وأئمتها ، وجنبنا عن تقليد الرجال ، وحفظنا عن اختيار الآراء
 في مقابلة نصوص من كتاب الله العزيز وأدلة سنة رسوله المختار والله
 سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتم وأحكم وهو المستعان .

(باب)

(في ذكر آخر من يخرج من النار)

(وأخر من يدخل الجنة وفي تعيينه وتعيين قبيلته واسمه)

عن عبد الله بن مسعود قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 « إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا
 الْجَنَّةَ : رَجُلٌ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ
 الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا فَيَخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى
 فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ : فَيَأْتِيهَا فَيَخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى ،
 فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ! وَجَدْتُهَا مَلَأَى فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ
 الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا ، وَأَوْ إِنْ لَكَ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا
 قَالَ فَيَقُولُ : أَتَسَخَّرُ بِي (أَوْ أَتَضْحَكُ بِي) وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، قَالَ :
 فَكَانَ يُقَالُ : ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ (١) .

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ
 الْجَنَّةَ رَجُلٌ فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً فَإِذَا
 مَا جَاوَزَهَا التفت إليها ، فقال : تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكَ ، لَقَدْ أَعْطَانِي
 اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، فَتَرَفُّعُ لَهُ شَجْرَةٌ فَيَقُولُ
 أَيُّ رَبِّ أَدْنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجْرَةِ فَلِأَسْتِظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا فَيَقُولُ
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلَى إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا فَيَقُولُ :
 لَا يَا رَبِّ وَيَعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبَرَ
 لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ثُمَّ تَرَفُّعُ لَهُ
 شَجْرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى فَيَقُولُ ، أَيُّ رَبِّ أَدْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبُ
 مِنْ مَائِهَا وَأَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا . فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ
 تَعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فَيَقُولُ : لَعَلَى إِنْ أَدْنَيْتَكَ مِنْهَا تَسْأَلَنِي

غَيْرَهَا فَيَعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا وَرَبَّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يُرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيَدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَنْظِلُ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ثُمَّ تَرْفَعُ لَهُ شَجْرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَدْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَنْظِلَ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يُرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا فَيَدْنِيهِ مِنْهَا فَإِذَا آدَاهَا مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَدْخَلْنِيهَا فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِيئِي مِنْكَ؟ أَيْرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِيءُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.»

فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضَحْكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِيءُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِيءُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١).

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة يقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين، ذكره أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي في كتاب الاختيار في الملح من الأخبار والآثار، ورواه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب من حديث عبد الملك بن الحكم (٢).

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة فيقول أهل الجنة عند جهينة الخبر اليقين سلوه هل بقي من الخلائق أحد، رواه الدارقطني في كتاب رواة مالك ذكره السهيلي، وقد قيل أن اسمه هناد (٣) والله أعلم.

(*) ما يصريني منك: معناه ما يقطع مسألتك مني.

(١) مسلم (١ / ١٧٤).

(٢) و (٣) قال ابن حجر: حديث باطل (٢ / ٩٣) لسان الميزان،

وكذا قال ابن عراقي (٢ / ٣٩١) تنزيه الشريعة.

(باب)

(في الشافعين لمن دخل النار وما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع رابع أربعة وذكر من يبقى في جهنم بعد ذلك)

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ابن ماجه^(١) وعن ابن مسعود قال : يشفع نيكم رابع أربعة : جبريل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ - الى قوله - فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ » (المدثر ٤٢ - ٤٨) .

قال ابن مسعود : فهؤلاء هم الذين يقون في جهنم . أخرجه ابن السماك أبو عمر وعثمان بن أحمد ، وقيل أن هذا هو المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وسلم كما أخرج أبو داود الطيالسي عن عبد الله أى ابن مسعود ولفظه قال : ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ، ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم موسى أو عيسى عليهما السلام ، ثم يقوم نيكم رابعا فيشفع لا يشفع لأحد من بعده في أكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذى قاله الله تعالى « عَنِّي أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا » (الاسراء ٧٩) .

وعن عبد الله بن أبي الجعداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ سِوَاكَ ، قَالَ : سِوَايَ » قلت : : أنت سمعته من رسول الله ؟ قال أنا سمعته . أخرجه ابن ماجه والترمذى (٢)

(١) برقم (٤٣١٣) وهو حديث موضوع لان في اسناده عنبيه بن عبد الرحمن قال ابن أبي حاتم : كان يضع الحديث (١٦١/٨) التهذيب .
(٢) ابن ماجه برقم (٤٣١٦) والترمذى (٦٢٦/٤) بنحوه . وخبره الحاكم بنحوه وصححه واقره الذهبى (٤٠٨/٣) .

وقال حديث حسن صحيح غريب ، ولا يعرف لابن أبي الجداء غير هذا الحديث الواحد ، وخرجه البيهقي في دلائل النبوة .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يَدْخُلُ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ مِثْلُ أَحَدِ الْحَيِّينِ رَيْبَعَةً وَمُضَرَ . قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رَيْبَعَةٌ مِنْ مُضَرَ ؟ قَالَ : إِنَّمَا أَقُولُ مَا أَقُولُ» قال : فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان (١) . أخرجه ابن السماك .

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفَتَامِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعُصْبَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ .» أخرجه الترمذي (٢) وقال حديث حسن وعن ثابت أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلرَّجُلَيْنِ وَاللثَلَاثَةِ» وَالرَّجُلَ لِلرَّجُلِ (٣) قال القاضي عياض في الشفاء : عن كعب : ان لكل رجل من الصحابة رضى الله عنهم شفاعه

قال القرطبي : ان قال قائل كيف تكون الشفاعه لمن دخل النار والله تعالى يقول : «إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ» (آل عمران ١٩٢) وقال : «لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى» (الأنبياء ٢٨) وقال : «وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى» (النجم ٢٦) ومن يرضاه الله لا يخزيه أبدا . قال الله تعالى «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ» (التحريم ٨) .

قلنا هذا مذهب أهل الوعيد الذين ضلوا عن الطريق وحادوا عن التحقيق . وأما مذهب أهل السنة الذين جمعوا بين الكتاب والسنة

(١) الترمذي (٤ / ٦٢٧) بنحوه (٢) الترمذي (٤ / ٦٢٧) .
(٣) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (٣١٥) ورجاله رجال الصحيح ؟ كما في كتاب الشفاعه لمقبل الوداعي (١٩٦/١٩٥) .

فإن الشفاعة تنفع العصاة من أهل الملة حتى لا يبقى منهم أحد الا دخل الجنة ، ثم أجاب عن الآيات بأنها خاصة جاءت في قوم لا يخرجون من النار .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله في الأحياء : إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين ، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه ، فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة للشفاعة ، وذلك بأن لا تستصغر معصية أصلا ، فإن الله تعالى خبا غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه .

وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة .

ثم ذكر آيات وأخبار ، منها حديث اختلاف الناس الى آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ثم الى محمد صلى الله عليه وسلم ، قال فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضا .

قلت : ولكن هذه الشفاعة تكون باذن من الله سبحانه ، كما نطق به الكتاب العزيز في مواضع ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أول شافع وأول مُشَفَّع يوم القيامة ، اللهم أرزقنا شفاعة يوم القيامة ، قال تعالى « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » (البقرة ٢٢٥) وقال تعالى : « مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ » (يونس ٣) وقال تعالى : « وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَتِهِ مُشْفِقُونَ » (الأنبياء ٢٨) وقال تعالى : « وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ » (سبأ ٢٣) .

وقال في المواهب اللدنية : وأما ما يفتري به الجهال من أنه لا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار فهو غرور

الشیطان لهم ولعبه بهم ، فانه یرضی بما یرضی به ربه تبارک وتعالی وهو سبحانه یدخل النار من یرضیها من الکفار والعصاة ثم یحد لرسول الله صلی الله علیه وسلم حدا یشفع فیهم ، ورسول الله أعرف به وبحقه من أن یقول لا أرضی أن یدخل أحدا من أمتی النار ویدعه فیها، بل ربه تبارک وتعالی یأذن له فی الشفاعة فیمن شاء الله أن یشفع فیهم ، ولا یشفع فی غیر من أذن له ورضیه •

وقال الخازن تحت الآیة الأولى : هذا استفهام انکار ، والمعنی لا یشفع عنده أحد الا بأمره وازادته ، وذلك ان المشرکین زعموا أن الأصنام یشفعون لهم ، فأخبر أنه لا شفاعة لأحد عنده الا ما استثناه بقوله « إِلَّا بِإِذْنِهِ » یرید بذلك شفاعة النبی صلی الله علیه وسلم وشفاعة الأنبياء والملائكة وشفاعة المؤمنین بعضهم لبعضهم • اه •

وفی الكبير : لا یقدر أحد علی الشفاعة الا بأذن الله تعالی ، فیکون الشفیع فی الحقيقة الذی یأذن الله له فی تلك الشفاعة •

وقال فی الخازن أيضا : قال تعالی « قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا » (الزمر ٤٤) أى لا یشفع أحد الا بأذنه • وفی الحدیث : « فاستأذن علی ربه فیأذن لی » ، وقال الشیخ زین الدین بن علی المقرئ فی مرشد الطلاب : .

أعلم انه صلی الله علیه وسلم لا یشفع لجميع عباد الله ، بل یشفع لمن أذن الله فی شفاعته ، انتهى •

وفی تفسیر الخدادی : لا یشفع أحد لأحد عند الله الا بأمره ورضاه ، كما یشفع المؤمنون بعضهم لبعض بالدعاء كما یشفع الأنبياء للمؤمنین • اه •

وفی الباب أخبار وآثار كثيرة ، وأقوال لأهل العلم غزيرة لا یتسع هذا المقام لبسطها •

(باب)

• (ما جاء في خروج الموحدين من النار وذكر الرجل
الذى ينادى يا حنان يا منان وفي أحوال أهل النار) .

عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي ،
يَدْخُلُونَ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ ، فَيَسْكُونُونَ فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُونُوا ، ثُمَّ
يُعِيرُهُمْ أَهْلُ الشَّرْكِ ، فَيَقُولُونَ : مَا نَرَى مَا كُنْتُمْ تَخَالِفُونَنَا فِيهِ مِنْ تَصَدِيقِكُمْ
وَإِيمَانِكُمْ فَتَعْمَكُمْ فَلَا يَبْقَى مُوَحَّدًا إِلَّا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ « رَبِّمَا بَوَّذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ » (الحجر : ٣) أَخْرَجَهُ
الطبراني (١) .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ عِبْدًا فِي جَهَنَّمَ
يُنَادِي أَلْفَ سَنَةٍ : يَا حَنَّانُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : لَجِبْرِيْلُ أَتَيْتَ عَبْدِي
فَلَا تَأْتِي فَيَنْطَلِقُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَرَى أَهْلَ النَّارِ مَنْكِبِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ
قَالَ : فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لِمَ أَرَاهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : لِأَنَّهُ فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا
قَالَ : فَيَأْتِيهِ فَيَجِيءُ بِهِ فَيَقُولُ لَهُ : يَا عَبْدِي كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ وَمَقِيلَكَ ؟
قَالَ : فَيَقُولُ : شَرِّ مَكَانٍ وَشَرِّ مَقِيلٍ ، قَالَ : فَيَقُولُ : رُدُّوا عَبْدِي قَالَ : فَيَقُولُ :
يَا رَبِّ مَا كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَرُدَّنِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى دَعُوا عَبْدِي »

(١) ساقه بإسناده القرطبي (٤٢٧) وتابعه مجهول ، فهو ضعيف وذكر نحوه
في مجمع الزوائد (٣٧٩/١٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله
رجال الصحيح غير بسام الصيرفي ، وهو ثقة .
وهو في الجامع الأزهر (١١٤٩/١)

رواه أبو ظلال هلال بن أبي مالك القسلي ، بعد في البصر بين^(١)

وعن سعيد بن جبير قال : « إن في النار لرجلا - أظنه في شعب من شعابها - ينادي مقدار ألف سنة يا حنان يا منان^(٢) فيقول رب العزة لجبريل : يا جبريل أخرج عبي من النار ، فيأتيها فيجدها مطبقة فيرجع فيقول يارب إنهم عليهم مؤسدة ، فيقول : يا جبريل ، ارجع فتكها فأخرج عبي من النار ، فيفكها فيخرج مثل الخيال فيطرحه على ساحل الجنة حتى ينبت ، الله له شعراً ولحماً ودماً » ذكره أبو نعيم^(٣) .

وروى إيث عن مجاهد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنا أشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمي ، الحديث وفيه : وأطولهم مسكناً من ينكث فيها مثل الدنيا ، منذ خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة^(٤) .

ثم إن الله تعالى إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل الأدبان ، فقالوا لهم : كنتم وإيانا جميعاً في الدنيا ، فأمنتم وكفرنا ، وصدقتكم وكذبنا ، وأفررتكم وجحدنا ، فما أغنى ذلك عنكم ، ونحن وأنتم اليوم فيها سواء تعذبون ، كما نعذب ، ونخلدون فيها كما نخلد ، فيغضب الله عند ذلك غضباً شديداً ، لم يغضب مثله من شيء فيم مضى ولا يغضب من شيء فيما بقي ، فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والنار والعراط ، يقال لها نهر الحياة

(١) هذا سياق القرطبي في التذكرة (٤٢٨) وساقه في مجمع الزوائد بنحوه (٣٨٤ / ١٠) ثم قال : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجاهما رجال الصحيح . غير أبي ظلال ، ضعفه الجمهور ، ووثقه ابن حبان . (٣) التذكرة (٤٢٨) .
(٢) الحنان الذي يقبل على من أعرض عنه ، والمنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال ، سبحانه ، وروى ذلك عن علي ذكره القرطبي (٤٣٢)

(٢) التذكرة (٤٢٨) .

(٤) عزاه العراقي للترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة ، وقال : إسناده ضعيف . أ. هـ . نقله الألباني في مشكاة المصابيح (٣٨١ / ٩) .

فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل^(١) فما بلى الظل
منها أخضر ، وما بلى الشمس منها أصفر ، ثم يدخلون الجنة ، فيكتب على
جباههم عطاء الله من النار ، إلا رجلا واحداً يمكث فيها ألف سنة . ثم ينادى
يا حنان يا منان ، فيبعث الله إليه ملكاً ، فيخوض في النار في طلبه سبعين
عاماً لا يقدر عليه ، ثم يرجع فيقول : إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلانا
من النار منذ سبعين عاماً ، فلم أقدر عليه ، فيقول الله تعالى : انطلق فهو في
وادي كذا تحت صخرة فأخرجه ، فيذهب فيخرجه منها فيدخله الجنة ، ثم إن
الجهنميين يطلبون من الله عز وجل أن يمحو عنهم ذلك الاسم ، فيبعث الله
ملكاً فيمحوه عن جباههم ثم إنه يقال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين
اطلعوا إلى أهل النار ، فيطلعون إليهم ، فيرى الرجل أباه ، ويرى جاره ،
ويرى العبد مولاه ، ثم إن الله يبعث إليهم الملائكة ، بأطباق من نار ،
وسامير من نار ، وهد من نار ، فيطبق عليهم بتلك الأطباق ، ويشد بتلك
السامير ، وهد بتلك الهد ، فلا يبقى فيها خلل عليهم منها روح ، ولا يخرج
منه غم وينسأم الرحمن على عرشه^(٢) ، ويتشاغل أهل الجنة بتعظيمهم ،
ولا يستغيثون بعدها أبداً ، وينقطع الكلام ، فيكون كلامهم زفيراً وشهيقاً .
فذلك قوله تعالى « إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمدَّدَةٍ »^(٣) (الهمزة ٩٠٨) .

- (١) الحبة بكسر الحاء بذور البقول ، وحميل السيل ما احتمله من طين وغطاء ،
فاذا اتفق أن يكون فيه حبة فانها تنبت في يوم وليلة ، وهي أسرع نابتة نباتاً ،
فتشبه النبي ﷺ سرعة نبات أجسامهم بسرعة نبات تلك الحبة قاله القرطبي (٤٣١)
(٢) قال القرطبي أي يتركهم في العذاب كما قال (فَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) أي تركوا
عبادته وتوحيده فتركهم لا يعابهم ولا يلتفت إليهم (التذكرة ٤٣٢) .
(٣) التذكرة (٤٢٨ - ٤٢٩) وعزاه للترمذي الحكيم في نوادر الاصول

وذكر أبو نعيم الحافظ عن زاذان قال سمعت كعب الأحمار يقول : « إذا
 كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فنزلت الملائكة ،
 فصاروا صفوفًا ، فيقول الله تعالى لجبريل : ائت بهم ، فيجيء بها جبريل ،
 تقاد بسبعين ألف زمام ، حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت
 زفرة طارت بها أئمة الخلائق ، ثم زفرت ثانية ، فلا يبقى ملك مقرب ،
 ولا نبي مرسل إلا جثا ركبنيه ، ثم تزفر الثالثة ، فتبلغ القلوب الحناجر ،
 وتذهل العقول ، فيفزع كل امرئ إلى عمله ، حتى إن إبراهيم الخليل يقول :
 بخنتي لا أسألك إلا نفسي ، ويقول موسى : بما جاتي لا أسألك إلا نفسي ،
 ويقول عيسى : بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي ، لا أسألك مريم التي ولدتنى .
 ومحمد ﷺ يقول : أمي أمي لا أسألك اليوم نفسي ، إنما أسألك
 أمي ، قال : فيجيبه الجليل جل جلاله : إن أوليائي من أمتك لا خوف عليهم
 ولا هم يحزنون ؛ فوعزتي وجلالي لأقرن عينك في أمتك ، ثم تقف الملائكة
 بين يدي الله تعالى ينتظرون . ما يؤمرون به ، فيقول لهم الله تعالى وتقدس :
 مباشر الزبانية انطلقوا بالمرين من أهل الكبار من أمة ﷺ إلى النار ،
 فقد اشتد غضبي عليهم ، بتماوتهم بأمرى في دار الدنيا ، واستخفافهم بحقي
 وانهاكهم حرمي ، يستخفون من الناس وبيارزوني ، مع كرامتي لهم ،
 وتفضيلي إياهم على الأمم ، ولم يعرفوا فضلي وعظيم نعمتي
 فعندها تأخذ الزبانية بالحقى الرجال وذوات النساء ، فينطلق بهم إلى
 النار ، وما من عبد يساق إلى النار غير هذه الأمة إلا مسوداً وجهه ، قد
 وضمت الأنكال في رجليه والأغلال في عنقه ، إلا من كان من هذه الأمة
 فإنهم يساقون بألوانهم ، فإذا وردوا على مالك قال لهم : معاشر الأشقياء من
 أي أمة أنتم ؟ فما ورد على أحسن وجوها منكم ، فيقولون : يا مالك نحن من

أمة القرآن ، فيقول لهم : يا معاشر الأشقياء أو ليس القرآن أنزل على محمد ﷺ قال : فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء ، فيقولون : : و الحمداه ا
 و الحمداه ا اشفع لمن أمر به إلى النار من أمتك .
 قال فينادى مالك بتمدد و انتهار بجيا مالك من أمرك بمعاقبة أهل الشقاء ،
 و محادثهم و التوقف عن إدخالهم العذاب ؟ يا مالك لا تسود وجوههم فقد
 كانوا يسجدون لي في دار الدنيا .

يا مالك لا تغلظهم بالأغلال ، فقد كانوا يغتسلون من الجنابة ، يا مالك
 لا تلبسهم اللقطران ، فقد خلعوا ثيابهم للاحرام ، يا مالك لا تعذبهم بالأنكال
 فقد طافوا بيتي الحرام ، يا مالك مر النار لا تحرق ألسنتهم ، فقد كانوا
 يقرأون القرآن ، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم . فالنار أعرف بهم
 و بمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها ، فمنهم من تأخذ النار إلى كعبه
 و منهم من تأخذ النار إلى ركبتيه و منهم من تأخذ النار إلى سرتة و منهم
 من تأخذ إلى صدره و منهم دون ذلك .

فاذا انتقم الله عز و جل منهم ، على قدر كبارهم و عتومهم و إصرارهم فتح
 بينهم و بين المشركين بابا ، فأروهم في الطبق الأعلى من النار لا يذوقون فيها
 برداً ولا شراباً ، يبكون ويقولون : يا محمداه ارحم من أمتك الأشقياء ،
 و اشفع لهم فقد أكلت النار لحومهم و دماهم و عظامهم .

ثم ينادون : يارباه و اسيداه ارحم من لم يشرك بك في دار الدنيا ، وإن كان
 قد أساء و أخطأ و تعدى ، فعندها يقول المشركون ما أغنى عنكم إيمانكم
 بالله و بمحمد شيئاً ، فيغضب الله تعالى لذلك ، فعندها يقول : يا جبريل اطلق
 فاخرج من في النار من أمة محمد ، فيخرجهم ضبائر ، قد امتحشوا ، فيلقبهم
 على نهر على باب الجنة ، يقال له نهر الحيوان فيمكثون حتى يعودوا أنضر

ما كانوا ، ثم يأمر بإدخالهم الجنة ، مكتوب على جباههم هؤلاء الجهنميون
عقباؤا الرحمن من أمة محمد ﷺ ، فيمرفون من بين أهل الجنة بذلك ،
فيقتضعون إلى الله أن يحو عنهم تلك السمة ، فيمحوها الله تعالى عنهم ،
فلا يمرفون بها بعد ذلك أبداً (١) .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبي عمران الجوني قال : باغنا أنه إذا كان
يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من يخاف الناس من
شره في الدنيا فيوتقون بالحديد ، ثم أمر بهم إلى النار ، ثم أوصدها عليهم ،
أى أطبقها ، فلا والله لا نستقر أقدامهم على قرارها أبداً ، ولا والله
ما ينظرون إلى أديم السماء أبداً ولا والله لا ياتق جفونهم على غمض نوم
أبداً ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً ، فقال : ثم يقال لأهل
الجنة : يا أهل الجنة افتحوا اليوم الأبواب فلا تخافوا شيطاناً ولا جباراً ،
وكلوا اليوم واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ، قال أبو عمران :
هى والله يا إخوتاه أيامكم هذه (٢) .

* * *

(باب)

(تفاروت أهل النار فى العذاب)

عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ أَمَّوْنَ أَهْلُ النَّارِ
عَذَابًا ، رَجُلٌ مُنْتَمِلٌ بِنَعَائِنِ مِنْ نَارٍ ، يَفِي مِنْهَا دِمَاغُهُ ، مَعَ أَجْزَاءِ
العَذَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فِي النَّارِ إِلَى صَدْرِهِ ، مَعَ أَجْزَاءِ العَذَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فِي

(١) التذكرة (٤٣٠ — ٤٣١)

(٢) التذكرة (٤٣١)

النَّارِ إِلَى تَرْقُوتِهِ مَعَ أَجْزَاءِ الْعَذَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدِ انْتَمَسَ فِيهَا « رواه
البزار ورجاله رجال الصحيح ^(١) .

وعن جابر قال : سئل رسول الله ﷺ وقيل له : هل ذنمت أبا طالب
بشيء ؟ قال : أَخْرَجْتُهُ مِنَ النَّارِ إِنْ ضَحَضَاحَ مِنْهَا « رواه البزار وفيه من لم
أعرفه ^(٢) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « أَذْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا الَّذِي لَهُ كَمَلَانِ
مِنْ نَارٍ ، يَفْغِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال
الصحيح ، غير يزيد بن خالد بن موهب ، وهو ثقة ^(٣) .

وعن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ
بشيء في الدنيا عذب به في الآخرة » رواه البزار وفيه إسحاق بن إدريس ،
وهو متروك ^(٤) ، وعن ابن عمر بن نفيس ^(٥) أنه قال : « وَاللَّهِ لَا يَخْرُجُ مِنَ
النَّارِ أَحَدٌ حَتَّى يَمُكَّثَ فِيهَا أَحْقَابًا ، قَالَ : وَالْحَقُّ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، كُلُّ
سَنَةٍ ثَلَاثُونَ وَسِتُّونَ يَوْمًا مِمَّا تَمْدُونَ » رواه البزار وفيه سليمان بن مسلم
الخشاب وهو ضعيف جداً ، كذا في مجمع الزوائد ^(٥) .

(بَاب)

(في الاستمزاز بأهل النار وبيان قوله تعالى)

« فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَكْذَابِ بَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ
تُؤَبِّبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » (المدثرين ٣٤ - ٣٦) .

(١) (٣٠٢ ، ١) مجمع الزوائد (٣٩٥ / ١٠) (٤) الجامع الأزهر (٢٨ / ٣ ب) .

(٥) مجمع الزوائد (٣٩٥ / ١٠) .

عن أبي صالح في قوله تعالى: «اللَّهُ يَسْتَهْزِي بِهِمْ» (البقرة: ١٥) قال: يقال لأهل النار وهم في النار: اخرجوا، ففتحت لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فتحت أبوابها أقبلوا إليها يريدون الخروج، وللمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم فذلك قوله عز وجل: «اللَّهُ يَسْتَهْزِي بِهِمْ» ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم، فذلك قوله تعالى (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا) إلخ ذكره ابن المبارك (١).

وعن قتادة في قوله تعالى للذكور، قال: ذكر لنا أن كعبا كان يقول: إن بين الجنة والنار كوى (٢)، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له، كان في الدنيا اطلع من بعض الكوى، قال تعالى في آية أخرى: «فَاطْلَعْ قَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ» (الصافات: ٥٥) قال: ذكر لنا أنه يعطلع فيرى جاحم القوم تنلى، رواه ابن المبارك (٣) قال: وأخبرنا معمر عن قتادة قال: قال بعض العلماء: لولا أن الله عز وجل عرفه أياه ما عرفه، لقد تغير خبره وسببه فعند ذلك يقول: «تَأْتُهُ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (الصافات: ٥٦ - ٥٧) في النار (٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن للمستهزئين بعباد الله في الدنيا تفتح لهم أبواب الجنة يوم القيامة، فيقال لهم ادخلوا الجنة، فإذا جاءوا أغلق الباب دونهم، ويفتح الثانية فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فإذا جاءوا أغلق الباب دونهم وتفتح لهم الثالثة، فيُدْعَوْنَ

(١) التذكرة (٤٣٢).

(٢) جمع كوة بضم الكاف وهي الشباك بلغة المصر.

(٣) التذكرة (٤٣٣).

(٤) التذكرة (٤٣٤) والحبر والسبر: اللون والهيئة.

فلا يجيبون ، قال : فيقول لهم الرب : أنتم المستهزئون بعبادي ؟ أنتم آخسر الناس حسابا فيقومون حتى يفرقوا في عرفهم فينادون يا ربنا إما صرفتنا إلى جهنم وإما إلى رضوانك « أخرجه أبو هدية وأورده القرطبي في التذكرة (١) .

(باب)

(ما جاء في استنشاق رائحة الجنة والحرف منها إلى النار)

قال رسول الله ﷺ : « يؤمر يوم القيامة بأناس إلى الجنة ، حتى إذا دنوا منها ، واستنشقوا رائحتها ، ونظروا إلى قصورها ، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، فودوا أن اصرفهم عنها ، لانصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون : يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تربنا ما أرىتنا من ثوابك ، وما أعددت فيها لأولائك كان أهون علينا .
قال : ذلك أردت بسكم ، كنتم إذا خلوتكم بي بارزتموني بالمعظائم ، وإذا لقيتم الناس لقيتمهم مغبتين ثم تراون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم ، هبتم الناس ولم تهابوني ، وأجلتم الناس ولم تجلوني ، وتركتم للناس ولم تتركوا لي ، فالיום أذيتكم العذاب الأليم ، مع ما حرمتكم من الثواب » ذكره أبو حامد الغزالي وأورده القرطبي (٢) ولينظر في سنده (٣) .

(باب)

• (ما جاء في مبرات أهل الجنة منازل أهل النار) •

جاء في الخبر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَسْكَنًا فِي الْجَنَّةِ ، وَمَسْكَنًا فِي النَّارِ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيَأْخُذُونَ

(١) التذكرة (٤٣٤) وهو حديث باطل . (٢) التذكرة (٤٣٤ - ٤٣٥)

(٣) وهو حديث باطل ، لأن في أسناده إبراهيم بن هديه : قال العراقي : هالك (٥١٨/٤) أحياء علوم الدين .

مَنَازِلَهُمْ وَبَرِثُونَ مَنَازِلَ الْكُفَّارِ، وَتُجْمَلُ الْكُفَّارُ فِي مَنَازِلِهِمْ مِنَ النَّارِ « خَرَجَهُ
ابن ماجه ^(١) بِمَعْنَاهُ .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْكُمْ
مَنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنَزَلَانِ مَنَزَلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنَزَلٌ فِي النَّارِ ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ
وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَزِلَهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) وَإِسْنَادُهُ
صَحِيحٌ . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَهَذَا بَيْنَ أَنْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَنَزَلًا فِي النَّارِ وَمَنَزَلًا
فِي الْجَنَّةِ .

* * *

(بَاب)

* (مَا جَاءَ فِي خُلُودِ أَهْلِ الدَّارَيْنِ وَذَبْحِ
الْمَوْتِ عَلَى الصَّرَاطِ وَمَنْ يَذْبَحُهُ) *

عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ : إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَأَهْلُ
النَّارِ إِلَى النَّارِ جَاءَ بِالمَوْتِ ، حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ نَهْمٌ يَذْبَحُ ؛ ثُمَّ يَفَادِي
مُنَادِي يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ ، فَيَزِدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ
فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ ، وَيَزِدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ « أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ^(٢)
وعن أبي سعيد الخدري قال : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُجَاءُ بِالمَوْتِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبُشٌّ أَمَّاحٌ ^(٣) ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ

(١) ابن ماجه برقم (٤٣٤١) قال البوصيري : إسناده صحيح على شرط

الشيخين - التذكرة (٤٣٥)

(٢) البخاري (١٤٢/٨)

(٣) الذي يكون فيه يبيض وسواد واليباض أكثر .

هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْتَرِبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ . قَالَ
 وَيُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ : فَيَشْتَرِبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ :
 نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، قَالَ : فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ ، قَالَ : ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ! خُلُودٌ
 فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ . ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
 « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ، إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، وَأَشَارَ
 بِيَسَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ^(١) وَخَرَجَهُ أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ
 أَبِي سَمْعَانَ يَرْفَعُهُ قَالَ : « إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُتِيَ بِالْمَوْتِ كَالْكَبْشِ الْأَمْلَحِ ،
 فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيَذْبَحُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا مَاتَ فَرِحًا
 لَمَاتَ أَهْلُ الْجَنَّةِ . وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا مَاتَ حُرًّا لَمَاتَ أَهْلُ النَّارِ » وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ
 حَسَنٌ صَحِيحٌ ^(٢) .

وَذَكَرَ ابْنُ مَاجَةَ ^(٣) فِي حَدِيثٍ فِيهِ طَوْلٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ ، يُقَالُ :
 يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ وَجَائِبِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ ،
 ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ
 الَّذِي هُمْ فِيهِ ، فَيُقَالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا : نَعَمْ . هَذَا الْمَوْتُ ، قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ
 فَيَذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كِلَاهُمَا خُلُودٌ فِيمَا يَجِدُونَ لَا مَوْتَ فِيهَا
 أَبَدًا » وَخَرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِمَعْنَاهُ مَطُولًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا وَفِيهِ فَإِذَا أَدْخَلَ
 اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، أُتِيَ بِالْمَوْتِ مُتَابًا فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ
 الَّذِي بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ . ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ ، ثُمَّ

(١) مسلم (٢١٨٨/٤)

(٢) الترمذى (٦٩٣/٤)

(٣) برقم ٤٣٢٧ ؛ ولإسناده صحيح رجاله ثقات أفاده البوصيرى .

يُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَطْلَمُونَ مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ ، فَيُقَالُ لِأَهْلِ
الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ هُوَ لَأَبِي وَهُوَ لَأَبِي : قَدْ
عَرَفْنَا هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي وَكَّلَ بِنَا فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ ذَبْحًا عَلَى السُّورِ الَّتِي بَيْنَ
الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودًا فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودًا
فَلَا مَوْتَ ، قَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ^(١) .

وعن أنس قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمَّاحٌ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ،
فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا ، قَالَ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ رَبَّنَا هَذَا الْمَوْتُ ،
فَيُذْبَحُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ فَيَأْمَنُ هُوَ لَأَبِي وَيَنْقَطِعُ رَجَاءُ هُوَ لَأَبِي » رواه أبو يعلى ،
والطبراني في الأوسط بنحوه ، والبزار ورجالهم رجال الصحيح غير نافع بن خالد
الطاحي وهو ثقة ^(٢) والطاحي نسبة إلى الطاحية ، بطن من الأزدي ، ومحلة لهم
بالبصرة .

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ بعثه إلى اليمن فلما قدم عليهم قال :
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكُمْ ، يُخْبِرُكُمْ أَنَّ الْمَرَدَّ إِلَى اللَّهِ
وإلى جنة أو نار ، خلود بلا موت وإقامة بلا ظن » رواه الطبراني في الكبير
والأوسط بنحوه وزاد فيه : في أجساد لا تموت ، وإسناد الكبير جيد إلا أن
ابن سابط لم يدرك معاذ ، قلت ^(٣) : الذي سقط بينهما عمر بن ميمون
الأودي ، كما رواه الحاكم في المستدرک في أواخر كتاب الإيمان ، وفي طريقه

(١) الترمذی (٤ / ٦٨ - ٦٩٢) ملياً : لبيه تلبيا جمع ثياه غند نجره في

الخصومة ثم جره ، نقله في التحفة عن القاموس (٧ / ٢٧٧) .

(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٢٩٥ - ٢٩٦)

(٣) الفائل الهيثمي (١٠ / ٢٩٦)

مسلم بن خالد الزنجي وقال عقبه : هذا حديث ضعيف الإسناد رواية مكنون
عن مسلم بن خالد الزنجي إمام أهل مكة ومفتيهم إلا أن الشيخين قد نسباه
إلى أن الحديث ليس من صنعة والله سبحانه وتعالى أعلم .

وعن عبد الله - يعني ابن مسعود - قال : قال رسول الله ﷺ : « لو قيل
لأهل النار : إنكم ما كثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها ،
ولو قيل لأهل الجنة : إنكم ما كثون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم
الأبد » رواه الطبراني ^(١) وفيه الحكم بن ظهير وهو مجمع على ضعفه .

وعن عبد الله بن عمرو قال : « أهل النار يدعون مالكا ، ولا يجيبهم
أربعين عاما ، ثم يقول إنكم ما كثون ثم يدعون ربهم فيقولون : ربنا
أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ، فلا يجيبهم مثل الدنيا ثم يقول اخشوا
فيها ولا تكلمون ، ثم يئأس القوم فاهر إلا الزفير والشهيق ، تشبه أصواتهم
أصوات الحبير ، أولها شهيق وآخرها زفير » رواه الطبراني ورجاله رجال
الصحيح ، كذا في مجمع الزوائد ^(٢) .

قال القرطبي ^(٣) : هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار
فيها ، لا إلى غاية ولا أمد ، مقيمين على الدوام والسرمد ، من غير موت
ولا حياة ، ولا راحة ولا نجاة ، بل كما قال في كتابه الكريم ، وأوضح فيه
من عذاب الكافرين : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ، لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ ،
فِيهَا وَتَوَاتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ، وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ
فِيهَا - إلى قوله - مِنْ نَصِيرٍ » (فاطر ٣٧) وقال : « كَلَّمَا نَضِجَتْ
جَاوِدُهُمْ بَدَلْنَاكُمْ جَاوِدًا غَيْرَهَا » (النساء ٥٦) .

(١) ، (٢) مجمع الزوائد (٣٠٦ / ١٠)

(٣) التذكرة (٤٣٦ - ٤٣٨)

وقال: (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُعَسَّبُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ
 الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ، وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ
 يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ قَمٍّ أَعِيدُوا فِيهَا) الخ، وقد تقدمت هذه اللماني كلها فن
 قال: لأنهم يخرجون منها وإن النار تبقى خالية بحملتها خاوية على عروشها
 وإنما تبقى وتزول، فهو خارج عن متقاضى المقول، ومخالف لما جاء به الرسول
 ﷺ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة المدول « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ
 بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ
 وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (النساء: ١١٥) وإنما تحلى جهنم وهي الطبقة العليا التي فيها
 العصاة من أهل التوحيد، وهي التي بنيت على شفيرها فيما يقال الجرجير^(١).
 قال فضل بن صالح المغافري: كنا عند مالك بن أنس ذات يوم فقال
 لنا: انصرفوا فلما كان المشية رجعتنا إليه فقال: إنما قلت لكم انصرفوا لأنه
 جاءني رجل يستأذن على زعم أنه قدم من الشام في مسألة، فقال: يا أبا عبد الله
 ما تقول في أكل الجرجير؟ فإنه يتحدث عنه أنه بنبت على شفير جهنم؟
 فقلت له: إنه لا بأس به، فقال: استودعك الله وأقرأ عليك السلام « ذكره
 الخطيب أبو بكر أحمد.

وذكر أبو بكر البزار، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو بن
 العاص قال: « يأتي على النار زمان تخفق الرياح أبوابها، ليس فيها أحد،
 يعني من الموحدين » هكذا رواه موقوفاً من قول عبد الله بن عمرو
 وليس فيه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم « ومثله لا يقال من جهة الرأي،
 فهو مرفوع والله أعلم.

قال القرطبي: قد تقدم أن الموت معنى؛ والكلام في ذلك وفي الأعمال

(١) واضح أن هذا القول لا دليل عليه.

وأنها لا تنقلب جوهرًا ، بل يخلق الله أشخاصًا من ثوب الأعمال وكذلك الموت يخلق الله كبشًا يديه الموت ، ويلقى في قلوب الفريسيين أن هذا هو الموت ويكون ذبحه دليلًا على الخلود في الدارين .

قال الترمذى : والمذهب في هذه عند أهل العلم من الأئمة رضى الله عنهم مثل سفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وابن المبارك ، وابن عيينة ، ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ، وقالوا : ونروى هذه الأحاديث ولا يتال كيف ؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا تفسر ولا تنوم ، ولا يقال كيف ، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه .

قال القرطبي : وإنما يؤتى بالموت كالكبش والله أعلم لما جاء أن ملك الموت أتى آدم ، آية السلام في صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح ، وفي التفسير من صورة الملك عن ابن عباس ومقاتل والسكبي في قوله تعالى (أَنْذَى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) أن الموت والحياة جسمان ، فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجدر يجه إلا مات ، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلفاء ، وهي التي كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها ، خطوها مد البصر ، فوق الحمار ودون البغل ، ولا تمر بشيء أو يجدر يجهما إلا حي ، ولا تغطأ على شيء إلا حي ، وهي التي أخذ السامري من أثرها فألقاها على البجل فحي . حكاية النملبي والقشيري ، عن ابن عباس ، والماوردي عن مقاتل والسكبي .

* باب *

(فيمن يستحق النار)

عن أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » (١) كذا في صحاح المصابيح . قال في مجالس الأبرار : المراد بها أمة الدعوة ؛ فعلى هذا يدخل فيه جميع أهل الملل الباطلة ، وتخصيص اليهود والنصارى بالذكر لأنهما مع كونهما أهلي كتاب وصاحبي شريعة إذا كانا من أهل النار بترك الإيمان بما جاء به النبي ﷺ ففسيرهما ممن لم يكن له كتاب ولا شريعة أولى بذلك . فكأنه ﷺ قال ألسم بالله الذي نفسي بقدرته أن كل من يسمع بنبوتي ولا يؤمن بما جئت به من عند الله تعالى حتى يموت يكون من أهل النار . انتهى .

وعن معاوية رضى الله عنه قال : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « أَلَا إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ » أخرجه أبو داود في كتاب السنن له ، وهذا الحديث ، رواه أبو داود من طريقين (أحدهما) من طريق أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى الذهلي (والثاني) من طريق عمر بن عثمان عن بقره عن صفوان ، تفرد به صفوان عن أزهر .

قال الشوكاني في فتاواه : أما أحمد بن حنبل فهو الإمام الجليل الحافظ

(١) رواه مسلم (١٣٤/١) .

الذى انفق المؤلف والمخالف على توثيقه وروى عنه أهل الصحيحين وغيرهما وهو أجل قدرا من أن يحتاج إلى تعديل ، وأرفع محلا من أن يتكلم فيه متكلم ، بل هو إمام الجرح والتعديل وإمام الحفظ والإتقان .

وأما محمد بن يحيى فهو الإمام الجليل الثقة الثابت الحافظ ، وأما عمر بن عثمان فهو القرشي مولاهم الحمصي الثقة المشهور ، وفي (التقريب) (١) صدوق وأما بقرية فهو أحد الأعلام ، قال النسائي : إذا قال حدثنا وأخبرنا فهو ثقة ، وقال ابن عدى : إذا حدث عن أهل الشام فهو ثبت ، وقال الجوزجاني : إذا حدث عن الثقات فلا بأس به ، وهو ها هنا قد صرح بالتحديث وحدث عن شاذي وهو صفوان ، وروى عن ثقة وهو أيضاً صفوان ، لحصل الشرط الذى ذكره هؤلاء الأئمة الثلاثة ، وقد أخرج له مسلم ، وأما صفوان : فقال أبو حاتم : ثقة وقد أخرج له مسلم أيضاً ، وأما أزهر فقال فى التقريب (٢) : صدوق تكلموا فيه للنصب وقال فى الخلاصة : صدوق .

وإذا عرفت هذا ، فرجال إسناده الحديث كلهم ثقات أئمة ، إلا بقية وأزهر ، وبقية لم ينفرد ، وأزهر تفرد وهو ضعيف ، لأن قولهم صدوق من صيغ التليين فهكون هذا الحديث فى الطريق الثانية ضعيفاً . انتهى كلام الشوكانى .

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قَالَ : « تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » الحديث أخرجه أبو داود والترمذى (٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وفى رواية عن أبى داود « وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » الحديث وأخرجه الترمذى عن ابن

(١) تقريب التهذيب (٦٠/٢) .

(٢) التقريب (٥٢/١) وسماه ازهر بن عبد الله بن جميع الحرزى .

(٣) الترمذى (٢٥/٥) وأبو داود (٥٠٣/٢) .

همرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَيَّ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ مَلَّةً وَتَفَرَّقَتْ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مَلَّةً ، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، قَالُوا : مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » أخرجه الترمذى وقال غريب (١) .

وأخرج ابن ماجه (٢) مثل ذلك عن عوف بن مالك وأنس .
والحديث دليل على أن اليهود والنصارى وفئة كثيرة من هذه الأمة على اختلاف فرقهم وملتهم ، في النار إلا أصحاب الحديث وأتباع الأصحاب .
والحديث استشكل من جهتين : (الأولى) ما فيه من الحكم على الأكثر بالهلاك ، والسكون في النار ، وذلك يناق الأحدث الواردة في الأمة ، بأنها مرحومة ، وبأنها أكثر الأمم في الجنة ، منها : حديث عنه ﷺ « أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ مَغْفُورٌ لَهَا مَتَابٌ عَلَيْهَا » (٣) وغيره مما ملئت به كتب السنة من الأحاديث الهداة على سعة رحمة الله ، ولو سردناها لطلال الكلام .

ولما كان حديث الافتراق مثكلا كما ترى ، أجاب بعضهم بأن المراد بالأمة في هذا الحديث ، أمة الدعوة لا أمة الإجابة ، يعنى الأمة التى دعاها رسول الله ﷺ إلى الإيمان والاقرار بوحدانيته هى المفترقة إلى تلك الفرق ، وإن أمة الإجابة هى الفرقة الناجية ، يريد بها من آمن بما جاء به النبي ﷺ وحينئذ فلا إشكال .

قال السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير النجوى (رح) : وهذا جواب حسن لولا أنه يبطل بوجوه : (الأول) أن لفظ أمتى حيث جاء فى كلامه

(١) فى الترمذى : حسن غريب ، قال فى التحفة : فى سننه عبد الرحمن بن زياد الأفريقى وهو ضعيف ، فتحسين الترمذى له لاعتضاده بأحدث الباب (٧/٤٠٠)

(٢) برقم ٣٩٩٢ ، ٣٩٩٣ سنن ابن ماجه وفى اسناد الأول مقال واسناد الحديث

الثانى صحيح كما فى الزوائد . (٣) أبو داود بنحوه (٢/٤٢١) .

ﷺ لا يراد به إلا أمة الإجابة غالباً ، كحديث : أمتي مرحومة ليس لها عذاب في الآخرة وحديث : إذا وضع السيف في أمتي وحديث : ليكون في أمتي قوم يستحلون الحرير ^(١) وغير ذلك مما لا يحصى .

فالأمة في كلامه ﷺ حيث أطلقت لا تحمل إلا على ما تعورف منها ، ومهد بلفظها ، ولا تحمل على خلافه وإن جاء نادراً .

(والثاني) قوله : ستفرق بالسيف الدالة على أن ذلك أمر مستقبل .

(والثالث) قوله (ليأتين على أمتي) فإنه إخبار بما سيكون ويحدث ، ولو جعلناه إخباراً بافتراق المشركين في المستقبل ، لما كان فائدة ، إذ لم على هلاك اجتماعهم أو افترقوا .

(الرابع) قرانهم بطائفتين اليهود والنصارى فإن للفرقين منهما هم طائفة الإجابة لظاهر قوله تعالى « وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ » (البينة ٤) وقوله تعالى « وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ » (البقرة ٢١٣) وقوله تعالى « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ » (آل عمران ١٠٥) .

(الخامس) ما أخرجه الترمذى ^(٢) عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة خيبر مرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « سُبْحَانَ اللَّهِ ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ : « لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » وهذا خطاب لمن خاطبه من أمة الإجابة قطعاً .

فالذي يظهر لي في ذلك أجوبة :

(أحدها) أنه يجوز أن هذه للفرق المحكوم عليها بالهلاك قليلة العدد ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه وغيره . (٢) الترمذى (٤ / ٤٧٥) وقال :

هذا حديث حسن صحيح والتمت به (٦ / ٤٠٧) .

ولا يكون مجموعها أكثر من الفرقة الناجية ، فلا يتم أكثرية الهلاك ولا يرد الإشكال .

فإن قيل : يمنع عن هذا أنه خلاف الظاهر من ذكر كثرة عدد فرق الهلاك فإن الظاهر أنهم أعظم قدراً ، قلت : ليس ذكر العدد في الحديث لبيان كثرة المهالكين وإنما هو لبيان اتساع طرق الضلال وسعتها ووحدة طريق الحق ، نظير ذلك ما ذكره أئمة التفسير في قوله تعالى : « وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » (الأنعام ١٥٣) أنه جمع السبل للنهي عن اتباعها لبيان تشعب طرق الضلال وكثرتها وسعتها وأفراد سبيل الهدى والحق لوحدته وعدم تعدده .
(ثانيها) أن الحكم على تلك الفرق بالهلاك والسكون في النار حكم عليها باعتبار ظاهر أعمالها وتفريطها ، كأنه قيل كلها هالكة باعتبار أعمالها محكوم عليها بالهلاك وكونها في النار ، ولا ينافي ذلك كونها مرحومة باعتبار آخر ، من رحمة الله لها ، وشفاعة صالحها لظالمها ، والفرقة الناجية إن كانت مفترقة إلى رحمة الله تعالى لكنها باعتبار ظاهر أعمالها يحكم لها بالنجاة لإيمانها بما أمرت به وانتهائها عما نهيت عنه .

(ثالثها) أن ذلك الحكم مشروط بعدم عقابها في الدنيا ، وقد دل على عقابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا . أخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي موسى الأشعري ، فيكون حديث الإفراق مقيداً بهذا الحديث في قوله هالكة مالم تعاقب في الدنيا لكنها تعاقب في الدنيا فأجست بهالكة .

(رابعها) أن الإشكال في حديث الإفراق إنما نشأ من جعل القضية الحاكمة به وبالهلاك دائمة ، بمعنى أن الإفراق في الأمة ، وهلاك من يهلك منها ، دائم مستمر من زمن تسكاته ﷺ بهذه الجملة إلى قيام الساعة ، وبذلك يتحقق أكثرية المهالكين وأقلية الناجين فهم الإشكال ، والحق أن القضية حينية بمعنى أن

ثبوت الافتراق للامة والهلاك لمن يهلك ، ثابت في حين من الأحيان ، وزمن من الأزمان ؛ ويدل على أن المراد ذلك وجوه :

الأول : « ستفترق » الهدالة على الاستقبال لتحاية المضارع بالسین .

الثانى : قوله ليأتين فإنه إخبار بأمر مستقبل .

الثالث : قوله « ما أنا عليه وأصحابي » فإن أصحابه من مسمى أمته بلا خلاف ، وقد حكم عليهم بأنهم أمة واحدة وأنهم الفاجون ؛ وأن من كان على ما هم عليه هم الناجون ؛ فلو جعلنا القضية دائماً حين التكلم للزم أن تكون تلك الفرق كائنة في أصحابه عليه السلام ورضى عنهم وهم لم جراً ، وقد صرح الحديث نفسه بخلاف ذلك .

فإذا ظهر لك أن الحكم الإفتراق والهلاك ؛ إنما هو في حين من الأحيان وزمن من الأزمان ، لم يلزم أكثرية المهالكين وأقلية الناجين ، وهذا الجواب بحمد الله تعالى والذي قبله جيد ولا غبار عليه .

فإن قلت: يجوز أن يكون زمن الافتراق أطول من زمن خلافه فيكون أهله أكثر فيكون المهالكون أكثر من الناجين، قلت: أحاديث سعة الرحمة وأكثرية الداخلين من هذه الأمة إلى الجنة قد دلت على أن المهالكين أقل وذلك لقصر حياتهم المتفرع عليه ، فلا بد من الجمع بين ما يورهم التناقض وقد تم الجمع بهذا الوجه وما قبله فتعین المصير إليهما .

هذا ولا يبعد أن ذلك الحين والزمان هو آخر الدهر الذي وردت الأحاديث بفساده ، وفسو الباطل وخفاء الحق ، وأن القابض على دينه كالتقابض على الحجر ، وأنه الزمان الذي يصبح الرجل فيه مؤمناً ويمسى كافراً ، وأنه زمان غربة الدين ، فتملك الأحاديث الواردة فيه التي شعنت بها كتب السنة قرأنا دالة على أنه زمان

كثرة الهالكين وزمان تفرق وتدابير ، ويحتمل أيضاً أن الافتراق كائن من القرون المشهود لها بالخيرية ، وأن في كل قرن منها فرقاً من الهالكين وأكثرها في آخر الزمان ، وهذا جواب مستقل عن الأشكال .

الجهة الثانية من جهتي الأشكال في تعيين الفرقة الناجية :

قد تكلم الناس فيها ، كل فرقة تزعم أنها هي الفرقة الناجية ، ثم قد يقيم بعض الفرق على دعواها برهاناً أو من بيت العنكبوت ، ومنهم من يشتغل بتعداد الفرق المخالفة لما هو عليه ، ويعمد إلى ما شذت به من الأقوال ، ليبين بذلك أنها هالكة لاعتمادها على تلك الأقوال ، وأنه ناج بخلوها عنها ، ولو فتش ما أنطوى عليه لوجد عنده من المقالات ، ما هو أشنع من مقالات من خالفه لكن عين المرء كائلة عن عيب نفسه وبالجملة :

فكل يدعى وصلاً لليلي وليلى لا تُقر لهم بذا كما

وكان الأحسن بالناظر في الحديث أن يكتفي بالفسير النبوي لتلك الفرقة فقد كفاه معلم الشرائع الهادي إلى كل خير المثونة وعين الفرقة الناجية بأنها من كان على ما هو عليه ﷺ وأصحابه وقد عرف بمحمد الله من له أدنى همة في الدين ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ونقل إلينا أقوالهم وأفعالهم حتى أكلهم وشربهم ونومهم وبقظتهم حتى كأننا رأيناهم رأى العين .

وبعد ذلك فن رزقه الله إنصافاً من نفسه وجمله من أولى الأبواب لا يخفاه حال نفسه أولاً هل هو متبع لما كان عليه النبي ﷺ أو غير متبع ثم لا يخفى حال غيره من كل طائفة هل هي متبعة أو مبتدعة ، ومن ادعى أنه متبع لسنة النبوية متقيد بها ، تصدق دعواه أفعاله وأقواله وتكذيبها فإن ما كان عليه النبي ﷺ قد ظهر لكل إنسان ؛ فلا يمكن التباس المبتدع بالمتبع .

وعندي على تقدير ذلك الجواب أن زمن الافتراق والمهلاك هو آخر
 للزمان أنه لا بعد في أن الفرقة الناجية هم الغرباء المشار إليهم في الأحاديث
 كحديث: **بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَبَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ قَبِيلٍ وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ
 اللَّهِ قَالَ: الَّذِينَ يَصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ** (١) وفي رواية الَّذِينَ يَفْرُونَ بِدِينِهِمْ مِنَ
 الْفِتَنِ وفي رواية الَّذِينَ يَصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي (٢).

وفي حديث عبد الله بن عمرو قلنا: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: قوم
 صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي أَنْاسٍ سُوِّ كَثِيرٍ مَنْ يَمُصُّهُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ (٣) ، وهم
 المرادون بحديث « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ
 خَالَفَهُمْ أَوْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ » وهم المرادون بما أخرجه الطبراني وغيره،
 عن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: إن لكل شيء إقبالا
 وإدبارا وإن لهذا الدين إقبالا وإدبارا وإن من إدبار الدين ما كنتم
 عليه من العمى والجهالة وإن من إقبال الدين أن تفقه القبيلة بأسرها حتى
 لا توجد فيها إلا الفاسق والفاستقن فهما مقهوران ذليلان إن تكلمتا قهرا
 وقمعا واضطهدا وإن من إدبار الدين أن تجفوا القبيلة بأسرها حتى لا يكون فيها
 إلا الفقيه والفقيمان وهما مقهوران ذليلان إن تكلمتا فأمرأ بالمعروف ونهيأ عن
 المنكر قمعا وقهرا واضطهدا فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك أعوانا
 ولا أنصارا (٤).

فهذه الأحاديث وما في معناها في وصف آخر الزمان وأهله قد دلت على أنه

(١) عزاه الهيثمي للطبراني في الثلاثة من رواية ابن سعد بلفظ: « الَّذِينَ
 يَصْلِحُونَ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ » وقال: « وَرَجَالَهُ رَجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرِ بَكْرِ بْنِ
 سَلِيمٍ وَهُوَ ثِقَةٌ (٢٧٨/٧) » .

(٢) عزاه ابن رجب للترمذي (٦) .

(٣) عزاه الهيثمي نحوه — إلى أحمد والطبراني في الأوسط، قال: وفيه ابن
 ليحة، وفيه ضعف (٧٨/٧) .

(٤) أورده الهيثمي نحوه ثم قال: وفيه علي بن يزيد وهو متروك (٢٦١/٧)

زمان كثرة المهالكين وقلة الناجين ، وأحاديث الغرباء قد دلت على أوصافهم بأنهم الفرقة الناجية في ذلك الزمان وليسوا بفرقة مشار إليها كالأشعريين والممثلة بل هم النزاع من القبائل كما في الحديث وهم متبعو الرسول ﷺ اتباعاً قولياً وفعلياً من أي فرقة كانت ، وقد ذكر في الفرقة الناجية أنهم صالحو كل فرقة وذكر أنهم أهل البيت النبوي عليهم السلام وهم اتبعمهم إلا أن ذلك مبنى على أن القضية دائمة ثم هو لا يدفع الأشكال .

نعم وهذا كله توفيق بين الأحاديث مبنى على صحة قوله « كلها هالكة إلا فرقة ولا شك أنه قد ثبت في كتب السنة كما سمعته ، ولكنه قد نقل السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله في بعض رسائله ، عن أبي محمد بن حزم الأندلسي رحمه الله ما لفظه قال ابن حزم : إن الزيادة يعني قوله : كلها هالكة إلا فرقة « موضوعة وإنما الحديث المعروف « إنما تفرق إلى نيف وسبعين فرقة » لا زيادة على هذا في نقل الثقات .

والحديث المشهور كان عند المحدثين معلاً ، وما زاده غير صحيح وإن كان الراوى ثقة غير أن مخالفة الثقات فيما شاركوه في الحديث يعوى الظن على أنه وهم فيما زاده أو أدرج في الحديث كلام بعض الرواة وحسبه من كلام رسول الله فيملون الحديث بهذا وإن لم يكن مقدوحاً فيه ، على أن أصل الحديث الذي حكوا بصحته ليس مما انفقوا على صحته ، وقد ترك إخراج البخاري ومسلم مع شهرته لعدم اجتماع شرائطهما فيه ، انتهى كلامه حرره السيد العلامة الأمير رحمه الله في سنة ١١٢٣ الهجرية .

وفي الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني بمسند ذكر حديث أبي هريرة المتقدم والكلام عليه جرحاً وتعديلاً ما نصه : فنقرر بهذا أن رجال حديث أبي هريرة رجال الصحيح فيكون أصل الحديث أعني افتراق الأمة إلى تلك الفرق صحيحاً ثابتاً .

وأما الزيادة التي في الحديث الأول فضميمة فلا تقوم بها حجة

في حكم شرعي ولو على بعض المكافين ، فكيف في مثل هذا الأمر العظيم الذي هو حكم بالهلاك على هذه الأمة المرحومة شرفها واختصاصها بخصائص لم يشاركها فيها أمة من الأمم السابقة ، وزادها شرفاً وتعظيماً وتجليلاً بأن جعلها شهداء على الناس ، وأى خير في أمة تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة وتهلك جميعاً فلا ينجو منها إلا فرقة واحدة ؟

ولقد أحسن بعض الحفاظ حين يقول : وأما زيادة « كلها هالكة إلا واحدة » فزيادة غير صحيحة القاعدة وأظنها من دسيس الملاحدة وكذلك أنكر ثبوتها الحافظ ابن حزم .

ولقد جاد ظن من ظن أنها من دسيس الملاحدة والزنادقة فإن فيها من التنفير عن الإسلام والتخويف من الدخول فيه مالا يقادر قدره فتحصل لواضعها ما يطلبه من الطامن على هذه الأمة المرحومة والتنفير عنها كما هو شأن كثير من المخذولين الواضعين للطامن المناقبة للشريعة للسمحة السهلة كما قال الصادق عليه السلام : « بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ » ^(١) وقال الله عز وجل : « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » (الحج ٧٨) وقال عليه السلام : « بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا ، بَشِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا » ^(٢).

وها أنا أضرب لك مثلاً وهو أنك لو رأيت جماعة من الناس قد اجتمعوا في مكان من الأرض عددهم اثنان وسبعون رجلاً وقال لك قائل : ادخل مع هؤلاء فإن واحداً منهم سيملك ما طامت عليه الشمس وسيضرب أعناق الباقين أجمعين وربما تفوز أنت من بينهم بالسلامة فتعطى تلك الملكة ، فهل ترضى أن تكون واحداً منهم داخلاً بينهم والحال هكذا ولا يدري من هذا الواحد منهم يدعى لنفسه أنه الفائز بالسلامة الظافر بالفنيمة بمجرد الأمنية والدهوي الماطلة عن البرهان .

(١) قال المراقبي : رواه أحمد من حديث أبي امامة بسند ضعيف

دون قوله « السهلة » ، نقله الزبيدي (١٨٤/٩) .

(٢) صحيح مسلم (١٣٥٨/٣) .

فان قلت : إن قوله في هذا الحديث في الفرقة الناجية : هي الجماعة وقوله في حديث آخر وهي ما أنا عليه وأصحابي ، قلت هذا التعمين وإن قلل شيئاً من ذلك التخويف والتنفير لكن قد تعاورت هذه الفرقة للامينة الدعاوى وتناوبتها الأماني ، فكل طائفة من الطوائف تدعى لنفسها أنها الجماعة وأنها الظاهرة بما كان عليه النبي ﷺ وأنهم الذين لا يزالون على الحق ظاهرين .

فإن قلت أن معرفة الجماعة ومعرفة المتصفين بموافقة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ممكنة ومن ادعى من البقعة إثبات ذلك الوصف لنفسه فدعواه مردودة عليه مضروب بها في وجهه ، قلت نعم والسكن ليس ها هنا حجة شرعية توجب علينا المصير إلى هذا التعمين وتلجئنا إلى تكلف تعيين الفرق الهالكة وتعدادها فرقة فرقة كما فعله كثير من المتكافين للكلام على هذا الحديث .

وأما أنه هل يدل هذا الحديث على الافتراق قديماً وحديثاً أم على زمان مخصوص فالجواب عنه أن الافتراق لما كان منسوباً إلى الأمة حيث قال ﷺ تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ مَعَاوِيَةَ الْمَذْكُورِ وَإِنْ هَذِهِ الْمَلَّةُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ، كَانَ ذَلِكَ صَادِقًا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَسْرَاهَا وَعَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْلَاهَا وَآخِرَاهَا مِنْ دُونِ تَخْصِيصِ بَعْضِ مِنْهَا دُونَ بَعْضٍ وَلَا بِمَصْرُودٍ عَصْرٍ ، فَأَنَادَ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْاِفْتِرَاقَ الْمُنْتَهَى إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كَائِنٌ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرَاهَا ، وَمَنْ زَعَمَ اخْتِصَاصَ ذَلِكَ بِأَهْلِ عَصْرٍ مِنَ الْعَصُورِ أَوْ بِطَائِفَةٍ مِنَ الطَّوَائِفِ فَقَدْ خَالَفَ الظَّاهِرَ بِالسَّبَبِ بِمَقْتَضَى ذَلِكَ .

وأما أنها قد ثبتت نجاسة الصحابة ، فهل يدل على أنهم لم يختلفوا في

الأصول أصلاً: فالجواب عنه أنه لا ملازمة بين نجاة جميع الصعابة وبين عدم اختلافهم في الأصول بل يجوز الحكم بنجاتهم جميعاً مع الحكم باختلافهم في الأصول.

وبيان ذلك أن الأحكام الشرعية عندى متساوية الأقدام منتسبة إلى الشرع نسبة واحدة وكون بعضها راجعاً إلى العمل لا يستلزم تعاونها على وجه يكون الاختلاف في بعضها موجباً لعدم نجاة بعض المختلفين وفي بعضها لا يوجب ذلك فاعرف هذا وأفهمه.

واعلم أن ما صح عنه عليه السلام من أن المصيب في اجتهاده له أجران والمخطيء له أجر لا يختص بمسائل للعمل ولا يخرج عنه مسائل الاعتقاد فما يقوله كثير من الناس من الفرق بين المسائل الأصولية والفروعية وتصويب المجتهدين في الفروع دون الأصول ليس على ما ينبغي بل الشريعة واحدة وأحكامها متحدة وإن تفاوتت باعتبار قطعية بعضها وظنية الآخر.

فالحق عند الله عز وجل متمين يستحق موافقة أجرين ، ويقال له مصيب من الصواب دون الإصابة ويقال لمخالفه إنه مخطيء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما ثبت عنه في الصحيحين^(١) وغيرهما من حديث عمرو بن العاص: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ، ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الْخَارِجَةِ عَنِ الصَّحِيحِ مِنْ غَيْرِ حَدِيثِهِ أَنَّهُ إِنْ أَصَابَ فَلَهُ عَشْرَةَ أَجُورٍ وَهَذِهِ زِيَادَةٌ خَارِجَةٌ مِنْ مَخْرَجِ حَسَنِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ .

فالنبي صلى الله عليه وسلم قد سمي من خالف الحق مخطئاً ، فن قال إنه

مصيب في الظنيات الفروعيات إن أراد أنه مصيب من الإصابة فقد أخطأ
 وخالف النص وإن أراد أنه مصيب من الصواب الذي يصح إطلاقه باعتبار
 استحقاق الأجر لا باعتبار إصابة الحق فلذلك وجهه ، فاعرف هذا وافهمه
 حتى يتبين لك اختلاف الناس في أن كل مجتهد مصيب أم لا .

وأعلم أنه لا فرق عند التحقيق بين ما تسميه الناس فروعاً وبين
 ما يسمونه أصولاً ، هذا إن كان مطلوب السائل ما هو عند المجهوب ، وإن
 كان مطلوبه ما قاله الناس فكلامهم معروف في مؤلفاتهم . انقضى كلام
 الشوكاني رحمه الله .

* * *

(باب)

• (في سوء الخاتمة وبيان الخوف والرجاء) •

قال في مجالس الأبرار : وله أسباب يجب على المؤمن أن يحترز عنها :
 منها : الفساد في الاعتقاد وإن كان مع كمال الزهد والصلاح ، فإن كان له فساد
 في اعتقاده مع كونه قاطعاً به ، متيقناً له ، غير ظان أنه أخطأ فيه ، قد
 ينكشف له في حال سكرات الموت ، بطلان ما اعتقده من الاعتقادات الحقّة
 مثل هذا الاعتقاد باطل ، لا أصل له ، إن لم يكن عنده فرق اعتقاد
 واعتقاد ، فيكون انكشاف بطلان بعض اعتقاداته ، سبباً لزوال بقية اعتقاداته ،
 فإن خروج روحه في هذه الحالة قبل أن يتدارك ويعود إلى أصل الإيمان
 ينجم له بالسوء ويخرج من الدنيا بغير إيمان ، فيكون من الذين قال الله
 تعالى فيهم « وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ » (الزمر ٤٧) وقال
 في آية أخرى « قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَمْعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » (الكهف : ١٠٣ - ١٠٤) .

فإن كل من اعتقد شيئاً على خلاف ما هو عليه إما نظراً برأيه وعقله أو
 أخذاً بمن هذا حاله فهو واقع في هذا الخطار ، ولا يدفعه الزهد والصلاح ، وإنما
 يدفعه الاعتقاد الصحيح المطابق لكتاب الله وسنة رسوله ، لأن العقائد الدينية
 لا يعتد بها إلا ما أخذت منها .

ومنها الإصرار على المعاصي ، فإن من له إصرار عليها يحصل في قلبه إلفها ،
 وجميع ما ألقه الإنسان في عمره يعود ذكره عند موته ، فإن كان ميله إلى
 الطاعات أكثر ، يكون أكثر ما يحضره عند الموت ذكر الطاعات ، وإن كان ميله
 إلى المعاصي أكثر يكون أكثر ما يحضره عند الموت ذكر المعاصي ، وربما يغلب

عليه حين نزول الموت به قبل التوبة شهوة ومصيبة من المعاصي فيتميد قلبه بها
وتصير حجاباً بينه وبين ربه، وسبباً لشقاوته في آخر حياته لقوله **﴿عَنْ**
المعاصي يريد الكفر (١)﴾.

والذي لم يرتكب ذنباً أصلاً أو ارتكب وتاب فهو بعيد عن هذا الخطر،
وأما الذي ارتكب ذنباً كثيرة حتى كانت أكثر من طاعاته ولم يقب عنها، بل
كان مصراً عليها. فهذا الخطر في حقه عظيم جداً إذ قد يكون غلبة الإلف
بها سبباً لأن يتمثل في قلبه صورتها، ويقع منه ميل إليها وتقبض روحه عليها
فيكون سبباً لسوء خاتمته.

ويعرف ذلك بمثال، وهو أن الإنسان لا شك أنه يرى في منامه من
الأحوال التي ألفها طول عمره، حتى إن الذي قضى عمره في العلم يرى من الأحوال
المتعلقة بالعلم والعلماء والذي قضى عمره في الخياطة يرى من الأحوال المتعلقة
بالخياطة والخياط، إذ لا يحضر في حال النوم إلا ما حصل له مناسبة مع قلبه
لطول الإلف. والموت وإن كان فوق النوم لكن سكراته وما يتقدمه من النفس
قريب من النوم، فطول الألف بالمعاصي يقتضي تذكرها عند الموت وعودها في
القلب وتمثلها فيه وميل النفس إليها، وإن قبض روحه في تلك الحالة يتم له بالسوء
ومنها العدول على الاستقامة، فإن من كان مستقيماً في ابتدائه ثم تغير عن حاله
وخرج مما كان عليه في ابتدائه يكون سبباً لسوء خاتمته، كما بليس الذي كان في
ابتدائه رئيس الملائكة ومعلمهم وأشدم اجتهاداً في العبادة، ثم لما أمر بالسجود
لآدم أبي واستكبر وكان من الكافرين، وكبلام بن باعور (٢) الذي آتاه الله
آياته فانسخ مخلوده إلى الدنيا وانبع هواه وكان من الفاوين، وكبر صيصالعابد

(١) يعني نجر إليه، قال ابن حجر الهيتمي: أظنه من قول السلف (٢٩٦/١) كشف الخفاء.

(٢) رئاسه الجيس للملائكة كلام لا أصل له.

الذي قال له الشيطان : ا كفر فلما كفر قال : إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فإن الشيطان أغراه على الكفر فلما كفر تبرأ منه مخافة أن يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك ، كما قال تعالى : « فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ » (الحشر ١٧) .

ومنها ضعف الإيمان : فإن كان في إيمانه ضعف يُضِيفُ حُبَّ الله تعالى فيه ويقوى حب الدنيا في قلبه ويستولى عليه بحيث لا يبقى فيه موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس بحيث لا يظهر له أثره في مخالفة النفس ، ولا يؤثر في الكف عن المعاصي ولا في الحث على الطاعات ، فونهك في الشهوات وارتكاب السيئات ، فتتراكم ظلمات الذنوب على القلب فلا تزال تطفئ ما فيه من نور الإيمان مع ضعفه ، فإذا جاءت سكرات الموت يزداد حب الله ضعفاً في قلبه لما يرى أنه يفارق الدنيا وهي محبوبة له وحبها غالب عليه لا يريد تركها ويعالم من فراقها ، ويرى ذلك من الله تعالى فيخشى أن يحصل في باطنه بنفضه تعالى بدل الحب وينقلب ذلك الحب الضعيف بنفضاً ، فإن خرج روحه في اللحظة التي خاطرت فيها هذه الخطرة يختم له بالسوء ويهلك هلاكاً مؤبداً .

والسبب المفضى إلى هذه الخاتمة حب الدنيا والركون إليها والفرح بها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى ، وهو الهاء العضال الذي قد عم أكثر الخلق فإن من يغلب على قلبه عند الموت أمر من أمور الدنيا يتمثل ذلك الأمر في قلبه ويستفرقه حتى لا يبقى لغيره متسع ، فإن خرج روحه في تلك الحالة يكون رأس قلبه متكوساً إلى الدنيا ووجهه مصروفاً إليها ، ويحصل بينه وبين ربه حجاب .

حكى أن سليمان بن عبد الملك لما دخل المدينة حاجاً قال : هل بها رجل أدرك هدة من الصعابة ؟ قالوا : نعم ، أبو حازم ، فأرسل إليه ، فلما أتاه قال : يا أبا حازم

مالنا فسكره الموت؟ قال: إنكم عمرتم الدنيا، وخرتم الآخرة، فتسكرون الخروج من العمران إلى الخراب، قال: صدقت، ثم قال: ليت شعري مالنا عند الله تعالى؟ قال: أعرض عمك على كتاب الله، قال: فأين أجده؟ قال: في قوله تعالى: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نِعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» (الانفطار ١٣ - ١٤) قال: فأين رحمة الله؟ قال: (رَحْمَةُ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ).

قال: ليت شعري كيف العرض على الله تعالى غداً؟ قال: أما الحسن فكالمغائب الذي يقدم على أهله، وأما المسيء فكالملاقى يقدم على مولاه، فكفى سليمان حتى علا صوته واشتد بكاؤه ثم قال أوصني:، قال: إياك أن يراك الله تعالى حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك» انتهى.

قال الغزالي في الأحياء^(١): إن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف، لأن أقرب العباد إلى الله أحبهم له، والحب يغلب بالرجاء، قال: وإن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين.

ثم ذكر دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب ثم ذكر الآيات والأخبار والآثار الدالة على ذلك، ثم أتبعه ببيان حقيقة الخوف وبيان دواء الخوف، وبيان معنى سوء الخاتمة، وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء والمصالحين، وبيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف، وبيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما، وبيان الدواء الذي يُسْتَجَلَبُ به حال الخوف والإيمان بالله تعالى واليوم الآخر يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة، والخوف يتوكل على الصبر، وإن الجنة قد حفت بالمسكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء، والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف. ولذلك قال على عليه

(١) إحياء علوم الدين (١٤١/٢).

السلام : « من أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات » .

قال العموي في رياض الصالحين^(١) : إن المختار لله بدق حال المصحة أن يكون خائفاً راجياً ، ويكون خوفه ورجاؤه سواء ، وفي حال المرض يتمحض الرجاء ، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك مظهرة على ذلك ، قال تعالى « فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » (الأعراف ٩٩) وقال تعالى « إِنَّهُ لَا يَأْمَنُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ » (يوسف ٨٧) وقال تعالى « يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ » (آل عمران ١٠٦) .

وقال تعالى « إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » (الأعراف ١٦٧) والآيات في هذا المعنى كثيرة ، فهجتم المطوف والرجاء في آيتين مقترنتين أو آيات أو آية ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ » رواه مسلم^(٢) .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ » رواه البخاري^(٣) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّابَنُ فِي الضَّرْعِ » رواه الترمذي^(٤) وحسنه وصححه .

وعنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « سَبْعَةٌ يُظْلَمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ

(١) رياض الصالحين (١٧٥) .

(٢) مسلم (٢١٠٩/٤) .

(٣) البخاري (١٢٧/٨) .

(٤) الترمذي بشرح التحفة (٦٠٠/٦) وعبارته : هذا حديث صحيح .

إِلَّا ظَلُّهُ: إِمَامٌ مَادِلٌ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مَعْلُوقٌ بِالسَّجْدِ،
 وَرَجُلَانِ تَحَابَّ فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتَ مَنْصِبٍ
 وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ
 مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ « متفق عليه (١) » .

وعن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي رضى الله عنه عن النبي ﷺ
 قال: « كَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثْرَيْنِ: قَطْرَةٌ دُمُوعٍ مِنْ
 خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةٌ دَمٍ مُهْرَاقٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثْرَانِ فَأَثْرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَأَثْرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى » رواه الترمذى (٢) وقال حديث حسن
 وفي الباب أحاديث كثيرة اهـ .

قلت وفي الأحياء (٣): وسوء الخاتمة على رتبتين - إحداهما أعظم من
 الأخرى - فأما الرتبة العظيمة الهائلة: فهي أن يغلِبَ على القلب عند
 سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك وإما الجحود فتقبض الروح على
 تلك الحالة فتكون حجاباً بينه وبين الله تعالى أبداً، وذلك يقتضى البعد
 الدائم والعذاب الخلد .

(والثانية) وهي دونها أن يغلِبَ على قلبه عند اللوت حب أمر من أمور
 الدنيا أو شهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغفره حتى لا يبقى في
 تلك الحالة متسع لغيره، فهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر
 مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه، وعند ذلك تمضم الحسرة إلا أن

(١) الترمذى (٥٩٨/٤) مسلم (٧١٥/٢) اللؤلؤ والمرجان برقم ٦١٠

(٢) الترمذى بشرح التحفة (٣١١/٦)

(٣) الأحياء (١٧٠/٤)

أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة يحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت ، فإن كان إيمانه في القوة إلى حد متقالٍ أخرجته من النار في زمان أقرب ، وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولكن لو لم يكن إلا متقال حبة فلا بد وأن يخرج من النار ولو بعد آلاف سنين وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئاً على خلاف ما هو به إما تقليداً وأما نظراً بالرأى والمعقول فهو في هذا الخطر ، والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينبغي منه إلا الاعتقاد الحق وفق الكتاب العزيز والسنة للطهارة ، والبسطة بعزل عن هذا الخطر .

ولكن الآن قد استرخى العنان ، وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على وفق طبعه بظن أو حساب ، وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان ، وأنه صفو الإيمان ، وبظن أن ما قنع به من حدس وتخمين : علم اليقين وعين اليقين وليعلمن نبأه بعد حين ، وينبهي أن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخفّ سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الاليالى فاغتررت بها وعند صفو الاليالى يحدث الكدر

وأما الخاتمة الثانية التي هي دون الأولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها أيضاً سببان :

أحدهما : كثرة المعاصي وإن قوى الإيمان ، والآخر : ضعف الإيمان وإن قلت المعاصي ، وليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكال المعرفة وإلا فليس أمننا لقلّة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا

شقتنا وصدتنا من ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا ، فلا قرب الرحيل يفيها ،
ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين نخوفنا ، ولا خطر
الخطية يزعجنا ، فتسأل الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصالحنا
إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا .

فما قسا قلبى وضائق مذاهبي جعلت رجائى نحو عفوك صلما
بما ظمى ذنبى فلما قرنته بعفوك ربى كان عفوك أهظما
فأزلت ذا عفوعن الذنب لم تنزل تجود وتعفو منة وتكرما

وبالجملة فالخطية خطيرة لا يدري حقيقتها ، وقد قال صله بن أشيم على قبر
أخ له :

فإن تنج منها تنج من ذى عظمة وإلا فانى لا أخالك ناجيا

ويوم القيامة يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منقطة قلوبهم
لا يكلمون ، ولا ينظرون في أمورهم ؛ ولا يأكلون فيه ، ولا يشربون ، ولا يجدون
فيه روح نسيم ، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشا ، واحترقت أجوافهم جوعاً
انصرف بهم إلى النار ، فسقوا من عين آنية ، قد آن حرها واشتد لقمها ،
فأمل في طول هذا اليوم ، وشدة الانتظار فيه ، حتى يحف عليك انتظار الصبر
عن المعاصى في عمرك المختصر .

ثم تفكر بعد هذه الأحوال ، فيما يتوجه عليك من السؤال ، شفاها من غير
ترجمان ، فتسأل عن القليل والكثير ، والنقيير والقطمير ، والجليل والحقير ،
ويؤتى بالميزان ، ويطار بالسكتب ، إلى الشماثل والأيمان ، وتكثر الخصماء ،
ويساقون إلى الصراط ، ويفض الرب غضبا لم يفض قبله مثله ، ولا يفض

جمده مثله ، وقد أخبرت بأن النار مورد للجميع ، فأنت من الورود على يقين ، ومن النجاة في شك ، فاستشعر في قلبك ذلك المورد فمساك تستمد للنجاة منه . فهذه أهوال يوم القيامة ، وأصناف عذاب جهنم ، على الجملة ، وتفصيل غمومها وأحزانها ، ومحها وحسراتها ، لانهاية له ، وقد تصدى لذكرها القرطبي في التذكرة وأعظم الأمور عليهم ، مع ما يلاقونه من شدة العذاب ، حسرة فوت نعيم الجنة ، وفوت لقاء الله تعالى ، وفوت رضاه ، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك ، بثمان بخرام معدودة ، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا ، أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منفضة .

فيا لحسرة هؤلاء ، وقد فاتهم ما فاتهم ، وبلوا بما بلوا به ، ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ، قال أحمد بن حنبل : أحدنا يؤثر الظل على الشمس ، ثم لا يؤثر الجنة على النار ، وقال عيسى عليه السلام : كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح ، غدا بين أطباق النار يصيح ، فانظر في هذه الأحوال .

واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها ، وخلق لها أهلا ، لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه ، قال تعالى : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » (مريم ٣٩) ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة ، ولكن ما قضى الأمر يوم ، بل في أزل الآزال ، ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك .

فإن قلت : فليت شعري ماذا موردى ؟ ، وإلى ماذا مآلى ومرجى ؟ وما الذي سبق به القضاء في حتى ؟ ، فلك علامة نستأنس بها وتصديق رجائك

بسيها ، وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فإن كلا يسر لما خلق له ، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعثد عن النار ، وإن كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بك العوائق فودعه ولا تقصد شراً إلا ويتيسر لك أسبابه ، فاعلم أنك مقضى عليك فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار ، فقد قال تعالى : « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ » (الانفطار : ١٣ - ١٤) فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين .

(باب)

« حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره »

وذكر حمل أهل النار وأهل الجنة)

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » أخرجه مسلم وخرجه أيضاً البخاري ، وقال الترمذي ^(١) حديث حسن صحيح غريب ، ويعنى بالمكاره : المشقة مثل التكاليف الشرعية أمراً ونهيماً ، وبالشهوات مرارات النفس ومستلذاتها وأهويتها ، وتقدم في أول الكتاب ^(٢) حديث إرسال الله جبريل عليه السلام إلى الجنة والنار وهو عند الترمذي وأصحاب السنن عن أبي هريرة وقال فيه أبو عيسى حسن صحيح .

قال الفرطبي ^(٣) « المكاره كل ما يشق على النفس فعله ، وبصعب عليها عمله كالطهارة في السبرات وغيرها من أعمال الطاعات والصبر على المصائب

(١) الترمذي (٢٨٠/٧) بشرح التحفة مسلم (٢١٧٤/٤) الزلّو والمرجان

(٢) التذكرة (٣٥٩) .

برقم ١٧٩٧ .

(*) تقدم صفحة (١٥-١٦)

والمصيبات، وجميع المكروهات، والشهوات كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو إليه ويوافقها وأضل الحفاف: الدائر بالشئ المحيطة به القدي لا يتوصل إليه إلا بعد أن يتخطى، فمثل النبي ﷺ المكاره والشهوات بذلك فالجنة لا تنال إلا بتقطع مفاوز المكاره والصبر عليها، والنار لا ينجى منها إلا بتترك الشهوات وفضام النفس عنها.

واقدروى عن النبي ﷺ أنه مثل طريق الجنة وطريق النار بتمثيل آخر فقال: «طريق الجنة حزن برَبْوَةٍ، وطريق النار سهل بِسَهْوَةٍ» ذكره صاحب الشهاب، والحزن هو الطريق الوعر المسلك والربوة هو المكان المرتفع وأراد به ما يكون من الروابي، والسهوة بالسين المهملة هو الموضع السهل الذي لا غلظ فيه ولا وعورة.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين له في الحديث: أى جمعت على حافاتها وهى جوانبها، ويوم الناس أنه ضرب فيها المثل فجعلها فى جوانبها من الخارج. ولو كان ذلك ما كان مثلاً صحيحاً وإنما هى من داخل وهذه صورتها.

النار	الجنة
المال	الصبر
الشهوات	المكارة
١٢٦٠	١٣٣٤

وعن هذا عبر ابن مسعود بقوله حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

فن أطلع الحجاب فقد واقع ما وراهه وكل من تصورهما من خارج فقدضل عن معنى الحديث وعن حقيقة الحال ، وفي الصحيحين « حجبت » بدل حفت في الموضعين .

قال القرطبي فإن قيل : قد قال حجبت النار بالشهوات قلنا المعنى واحد لأن الأعمى عن التقوى الذي قد أخذت سمعه وبصره الشهوات يراها ولا يرى النار التي هي فيها وإن كانت باستيلاء الجهالة وورين الغفلة على قلبه كالطائر يرى الحبة في داخل الفخ وهي محجوبة عنه لأنه لا يرى الفخ لغلبة شهوة الحبة على قلبه ، وتعلق باله بها ، وجهله بما جعلت فيه وحجبت . انتهى .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما رأيت مثل النار فام هاربها ، ولا مثل الجنة فام طالبها » أخرجه الترمذى (١) وقال هذا حديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد الله ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ، تكلم فيه شعبة .

وقد سئل شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله : ما عمل أهل النار وما عمل أهل الجنة ؟ فأجاب : عمل أهل النار الإشراف بالله تعالى والتكذيب للرسول والسكر والحسد والكذب والخيانة والظلم والقواحش والغدر وقطيعة الرحم والجبن عن الجهاد والبخل واختلاف السر والملاينة واليأس من روح الله والأمن من مكر الله والجزع عند المصائب والفتخر والبطر عند النعم وترك فرائض الله واعتداء حدوده وانتهاك حرمانه وخوف المخلوق دون الخالق ، والعمل رياء وسمعة ومخالفة الكتاب والسنة ، أي اعتقاداً وعملاً ، وطاعة المخلوق في معصية الخالق والتعصب للباطل واستهزاء بآيات الله وجحد الحق والسكمان

لما يجب إظهاره من علم وشهادة، والسحر وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

وأما عمل أهل الجنة فالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالتقدير خيره وشره والشهادتان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

ومن أعمال أهل الجنة صدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهود وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم ومن أعمالهم الإخلاص لله والتوكل عليه والمحبة لله ورسوله وخشية الله ورجاء رحمته والإجابة إليه والصبر على حكمه والشكر لنعمته وقراءة القرآن وذكر الله ودعاؤه ومستئلته والرغبة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله مع الكفار والمنافقين .

ومن أعمالهم أن يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عن ظلمه، فإن الله أعد الجنة للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الفتيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين، ومن أعمالهم العدل في جميع الأمور، وعلى جميع الخلق حتى الكفار، وأمثال هذه الأعمال، والتجاني عن دار الفرور، والإجابة إلى دار الخلود، فعمل أهل الجنة : الإيمان والطاعة، وعمل أهل النار : الكفر الفسوق والعصيان .

وتفصيل الجنتين لا يمكن لكن أعمال أهل الجنة كلها تدخل في طاعة الله ورسوله وأعمال أهل النار كلها تدخل في معصية الله ورسوله فن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك هو الفوز

المعظم ، ومن يعص الله ورسوله يدخله فاراً خالداً فيها وله عذاب مهين ، .
انتهى كلام شيخ الاسلام . وهو كالشرح لحديث الباب « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَسْكَارِهِ
وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » وكتاب شعب الايمان للبيهقي يشتمل على أشياء هي
من أعمال أهل الجنة وهو ست مجلدات في سبعة وسبعين باباً اختصره أبو
حفص عمر بن علي القزويني الإمام مجامع الخليفة ببنداد في نحو كراستين .

وأصل الكتاب حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:
« الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلَاهَا أَوْ فَارْفَعَهَا أَوْ
فَأَنْضَلَهَا عَلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ
الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ (١) » فالإيمان وشعبه هذه كلها من أعمال أهل
الجنة وهذا بيانها بحذف الأدلة على سبيل التعميد :

فالأول منها الإيمان بالله عز وجل ثم الايمان برسل الله ثم بالملائكة
ثم بالقرآن ثم بالقدر خيره وشره وأنه من الله عز وجل ثم باليوم الآخر ثم
بالبعث بعد الموت ثم بمحشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم إلى الموقف ثم
بأن دار المؤمنين وماآبهم الجنة ودار الكافرين وماآبهم النار ثم بوجوب محبة
الله تعالى ثم بوجوب الخوف منه عز وجل ثم بوجوب الرجاء منه
سبحانه وتعالى .

ثم بوجوب التوكل عليه تعالى وتبارك ثم بوجوب حب النبي ﷺ ثم بوجوب
تعظيمه ﷺ وتبجيله وتوقيره ثم شع المرء بدينه حتى يسكون القذف في النار
أحب إليه من الكفر ثم طلب العلم وهو معرفة البارئ تعالى وصفاته وما جاء
من عند الله وعلم النبوة وما تميز به النبي عن المقنبي وعلم أحكام الله تعالى
وأفضيته ومعرفة ما تطلب الأحكام منه كالكتاب والسنة ، والقرآن والحديث
مشحونان بنضائل العلم والعلماء وفيه كتاب مفتاح دار السعادة للمعافظ ابن

(١) مسلم (٦٣/١) التلؤذ والمرجان برقم ٢١ .

القيم رحمه الله وهو كتاب لا يوجد نظيره في الإسلام ثم نشر العلم ثم تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه ، وحفظ حدوده وأحكامه وعلم حلاله وحرامه ، وتكريم أهله وحفاظه واستشعار ما يهيج للبسكاء من مواعظ الله ووعيده ثم الطهارة ثم الصلوات الخمس ثم الزكاة ثم الاعتكاف ثم الحج ثم الجهاد وفي ذلك كتاب (المبرة مما جاء في الفزوة والشهادة والهجرة) لهذا العبد عفا الله عنه وهو نفيس جداً في هذا الباب مفن عن كثير من المكتتب ثم المرابطة في سبيل الله تعالى ثم الثبات للمدو وترك الفرار من الزحف ثم أداء الخمس من المنعم إلى الإمام أو عامله على الغنائم وكل ذلك مذكور في كتابي المسطور ثم العتق وفك الرقبة ثم الكفارات الواجبات بالجنايات وهي في الكتاب والسنة أربع .

كفارة القتل وكفارة الظهار وكفارة اليمين وكفارة المسيس في صوم رمضان ومما يقرب منها ما يجب باسم الفدية لأنها إما عن ذنب سبق أو يراد به التقرب إلى الله تعالى بشيء يعنى أثر أمر قد وقع ذنبها كان أو غير ذنب ثم الإيفاء بالمقود ثم تعدد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها ثم حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه ، ويدخل فيه الكذب والغيبة والنميمة والفتش ثم أداء الأمانات إلى أهلها ثم تحريم قتل النفوس والجنايات عليها ثم تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف ثم قبض اليد عن الأموال المحرمة . ويدخل فيه تحريم السرقة وقطع الطريق وأكل الرشا وكل مالا يستحقه شرعاً ثم وجوب التورع عن المطاعم والمشارب والاجتناب عما لا يحل منها .

وهي أنواع كثيرة مبسوطه في كتب السنة والكتاب ثم تحريم الملابس والزي والأواني وما يكره منها ثم تحريم اللهاب والملاهي المخالفة للشريعة ثم الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل ثم ترك الغل والحسد ونحوهما

من التخلص للذمومة على لسان الشرع ثم تحريم أعراض الناس وما يجب من ترك الوقعة فيها ثم إخلاص العمل لله عز وجل وترك الرياء والسمة ثم السرور بالحسنة والافتخار بالسيئة ثم معالجة كل ذنب بالتوبة ثم القرابين وجلتها الهدى والأضعية والعقوبة ثم طاعة أولى الأمر إلا في معصية الخالق ثم التمسك بما عليه جماعة أهل السنة والكتاب ثم الحكم بين الناس بالعدل ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم التعاون على البر والتقوى ثم الحياء ثم بر الوالدين ثم صلة الأرحام ثم حسن الخلق وبدخل فيه كظم الفيظ ولين الجانب والتواضع ثم الإحسان إلى المالك ثم حق السادة على المالك وهو لزوم العبد سيده وإقامته حيث يراه له ويأمر به وطاعته فيما بطيقه .

ثم حقوق الأولاد والأهلين وهي قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه أيام من أمور دينهم ما يحتاجون إليه ثم مقاربة أهل الدين وموادتهم وإفشاء السلام بينهم والمصافحة لهم ونحو ذلك ، ثم رد السلام ثم عيادة المريض ثم صلاة الجنائز ثم تشييت العاطس ثم مباحة الكفار والفسدين والغلظة عليهم .
ثم إكرام الجار ثم إكرام الضيف ثم الستر على أصحاب القروف أى الذنوب ثم الصبر على المصائب وعما تنزع النفس إليه من لذة وشهوة .

ثم الزهد وقصر الأمل ، ثم الفيرة وترك المراء ، ثم الأعراض عن الغفوة ، ثم الجود والسخاء ثم رحمة الصغير وتوقير الكبير . ثم إصلاح ذات البين ، ثم أن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه . وبدخل فيه إمطة الأذى عن الطريق والنصح لكل مسلم ، وفي حديث أنس في صحيح^(١) البخارى «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَقًّا حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» .

فهذه سبع وسبعون شعبة من شعب الإيمان دلت عليه أدلة الكتاب والسنة
ذكرها البيهقي في شعب الإيمان ، وزاد القزويني عليها في بعض الشعب آية
أو آيات أو حديثا أو كلمات أو حكاية أو حكايات أو بيتا أو أبياتا لم
يذكرها البيهقي .

وإذا أحطت بما ذكرنا علما عرفت أن ذلك كله من المكاره التي حفت
بها الجنة وأن خلاف ذلك كله من الشهوات التي حفت بها النار ، وهذا
باب واسع جداً لا يتسع لبسطه هذا المقام وفقنا الله سبحانه وتعالى لاحتمال
المكاره المنجيات وجنبنا عن الشهوات الموبقات .

هذا وأقول : « رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا
إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا
وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » (البقرة ٢٨٦) .

* * *

(باب)

* (من دخل النار من الموحدين ومات واحترق

ثم يخرجون بالشفاعة)

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « يَمْدَبُ نَاسٌ مِّنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَسْكُونُوا فِيهَا حُمًا ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ فَيَخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ قَالَ فَتَرَشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَاءَ فَيَهْبِتُونَ كَمَا يَهْبِتُ الْغَنَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ » أخرجه (١) الترمذى وقال هذا حديث صحيح قد روى من غير وجه عن جابر .

وعن أبي سعيد الخدرى أن النبي ﷺ قال : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ » قال أبو سعيد : فن شك فليقرأ : (إِنْ أَلَّفَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) أخرجه الترمذى (٢) وحسنه وصححه .

ومنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَأَيُّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ قَالَ بِمُخْطَايَاهُمْ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا نَعْمًا أُذِنَ لَهُمْ بِالشَّفَاعَةِ فَبَعِيَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرِ فَبَثُوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ قِيلَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَهْبِتُونَ نَبَاتِ الْحَبَّةِ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ » فقال رجلٌ من القومِ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ (٣)

قال القرطبي (٤) هذه الموتة للمصاة موتة حقيقية، لأنه أكدها بالمصدر، وذلك تكريماً لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب بعد الإحتراق ، بخلاف الحى الذى هو من أهلها ومخلد فيها « كَمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ »

(١) الترمذى (٧١٣/٤) (٢) الترمذى (٧١٤/٤)

(٣) مسلم (١٧٢/١) وضبائر ، قال أهل اللغة : جماعات فى تفرقة مفردتها

ضبارة بكسر الضاد وفتحها ومعنى فبثوا : فرقوا .

(٤) التذكرة (٣٤٠ - ٣٤١) .

وقيل : يجوز أن تكون إمامتهم ، عبارة عن تعيينه إمام عن الأمام بالنوم ، ولا يكون ذلك موتاً حقيقة فإن النوم قد يغيب عن كثير من الأمام والملاذ ، وقد سماه الله وفاة فقال : « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا » (الزمر ٤٢) فهو وفاة وليس بموت على الحقيقة الذي هو خروج الروح عن البدن وكذلك الصدقة قد عبر الله بها عن الموت في قوله تعالى « فَصُفِّقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ لِأَمْرِ شَاءَ اللَّهُ » (الزمر ٦٨) وأخبر عن موسى عليه السلام أنه خرد صعباً ولم يكن ذلك موتاً على الحقيقة غير أنه لما غيب عن أحوال للشهادة من الملاذ والأمام جاز أن يسمى موتاً ، وكذلك يجوز أن يكون إمامتهم غيبتهم عن الأمام ، وهم أحياء بلطفية يحدثها الله فيهم ، كما غيب النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، بشاهد ظهر لهن فغيب به عن الأمامن .

والتأويل الأول أصح لما ذكرناه من تأكيده بالمصدر ، ولقوله في نفس الحديث حتى إذا كانوا فحماً ، فهم أموات على الحقيقة ، كما أن أهلها أحياء على الحقيقة وليسوا بأموات .

فإن قيل : ما معنى إدخالهم النار وهم غير عالين ؟ قيل : يجوز أن يدخلهم تأديباً لهم ، وإن لم يعذبهم فيها ؛ ويكون صرف نعم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم ، كالحبوسين في السجن ، فإن الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن معه غل ولا قيد والله أعلم .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « بَخْرَجُ أَوْ أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ، أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةَ أُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذُرَّةً » أخرجه الترمذي ^(١) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « يَقُولُ اللَّهُ : أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا ، أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ » أخرجه الترمذي ^(٢) وقال : حديث حسن غريب .

(١) الترمذي (٧١١/٤ - ٧١٢) وبشرح التحفة (٣١٩/٧)

(٢) الترمذي (٧١٢/٤) وبشرح التحفة (٣٢٠/٧)

(باب)

• (في الشفعاء وذكر الجهنميين) •

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الصَّيَّامَ وَالْقُرْآنَ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ بِقَوْلِ الصَّيَّامِ: رَبِّ مَنْعَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَعْنِي فِيهِ وَبِقَوْلِ الْقُرْآنِ: مَنْعَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَعْنِي فِيهِ فَيُشَفَعَانِ» أخرجه ابن المبارك (١).

وذكر مسلم (٢) من حديث أبي سعيد الخدري وفيه بمد قوله في نار جهنم:

« حَتَّى إِذَا خَاصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مَنَاشِدَةً لِلَّهِ تَعَالَى فِي اسْتِغَاةِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا بِصُومِنَا مَعَنَا وَبِصَلَاتِنَا وَبِحُجُوتِنَا ، فَيَمَالُ لَهُمْ أَخْرَجُوا مِنْ عَرْقَتُمْ فَتَحَرَّمْ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ مَاقِيهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ ، فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ أَرْجِعُوا فَنَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَنْذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ، ثُمَّ يَقُولُ: أَرْجِعُوا فَنَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَنْذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا ، ثُمَّ يَقُولُ: أَرْجِعُوا فَنَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَنْذَرْ فِيهَا خَيْرًا » وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تَصَدَّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَأَقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها وَيؤتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا » (النساء ٤٠) فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . وفي البخاري (٣) بدله « وَبَقِيَّتْ شَفَاعَتِي » فَيَقْبَضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ

(١) التذكرة (٣٤٥) - والترغيب (١٢٦/٢) وقال: رواه أحمد والطبراني

في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح . (٢) مسلم (١٦٩/١ - ١٧١)

(٣) البخاري (٦٦٠/٩)

فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حسنا فيلقينهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس أصيفر وأخضر ، وما يكون منها الى الظل يكون أبيض . فقالوا : يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية ، قال : فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفونهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين ، فيقول : لكم عندي أفضل من هذا ، فيقولون : ربنا أى شيء أفضل من هذا ؟ فيقول : رضى فلا أسخط عليكم بعده أبدا « أخرجه ابن ماجه (١) . وفي الباب أحاديث وروايات بطرق وألفاظ .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا فرغ الله من القضاء بين خلقه أخرج كتابا من تحت العرش : ان رحمتى سبقت غضبى ، وأنا أرحم الراحمين . قال : فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو قال مثلى أهل الجنة ، قال : وأكثر ظنى أنه قال : مثلى أهل الجنة مكتوب بين أعينهم : عتقاء الله (٢) » .

وفي هذه الأحاديث فوائد كثيرة منها : أن الايمان يزيد وينقص ، ومنها أن الأعمال الصالحة من شرائع الايمان ، ومنه قوله تعالى : « وما كان الله ليضيع ايمانكم » (البقرة : ١٤٣) أى صلاتكم ، وقيل المراد فى هذا الحديث أعمال القلوب كأنه يقول : أخرجوا من عمل عملا بنية من قلبه لقوله : « الأعمال بالنيات » ويجوز أن يكون المراد به رحمة على مسلم ، رقة على يتيم خوفا من الله تعالى ، رجاء له توكلأ عليه ، ثقة به : مما هى أفعال القلب دون الجوارح ، وسماها ايمانا لكونها فى محل الايمان ، وهذا الذى قواه القرطبي وأيده فى التذكرة (٣) .

(١) ابن ماجه .

(٢) عزاه القرطبي (٣٤٦) الى كتاب الديباج لابي القاسم اسحق

ابن ابراهيم .

م ١٥ - بقظة اولى الاعتبار

(٣) التذكرة (٣٤٧) .

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج قوم من النار ، بعد ما مسهم منها سقع فيدخلون الجنة ، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين » أخرجه البخارى (١) .

وعن عمران ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليخرجن قوم من أمتى بشفاعتى يسمون جهنميون » رواه الترمذى (٣) وقال .
حديث حسن صحيح ، أخرجه البخارى وأبو داود أيضا .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » زاد الطيالسى قال : فقال : جابر : من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة (٢) وذكره أبو داود ، والدارقطنى عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم أنا لشرار أمتى ، قالوا : فكيف أنت لخيارها ؟ ، قل أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتى (٤) .

وعن أبى موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمتقين ؟ لا ولكنها للمذنبين الخطأين المتلوثين » رواه ابن ماجه (٥) وفى الباب أحاديث بألفاظ وطرق .

وعنده من حديث عوف بن مالك الأشجعى نحوه وفى آخره : « قلنا : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها ، قال : هى لكل مسلم » (٦) .
قال القرطبى (٧) : شفاعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والملائكة والنبیین والمؤمنين لمن كان له عمل زائد على مجرد التصديق ، ومن يكن معه من الايمان خير كان من الذين يتفضل الله عليهم فيخرجهم من النار فضلا وكرماً وعدا منه حقا وكلمته صدقاً « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (النساء ١١٦) فسبحان الرؤف الوفى بعهده .
انتهى .

(١) البخارى (١٦٤ / ٩) بنحوه . (٢) الترمذى (٧١٥ / ٤) .
(٣) ورواه الترمذى (٦٢٥ / ٤) وقال حديث حسن غريب - الطيالسى (٢٢٨ / ٢) .
(٤) التذكرة (٣٤٨) .
(٥) برقم ٤٣١١ ، قال البوصيرى ؛ اسناده صحيح ورجاله ثقات .
(٦) برقم ٤٣١٨ .
(٧) التذكرة (٣٥٠) .

خاتمة

(فيما يرجى من رحمة الله تعالى ومغفرته وشفوه يوم القيامة)

قال تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »
(النساء ٤٨) وقال تعالى : « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم »
(الزمر ٥٣) وقال تعالى : « ومن يعمل سوءاً او يظلم نفسه ثم يستغفر
الله يجد الله غفوراً رحيماً » (النساء ١١٠) وقال تعالى : « وان ربك لذو
مغفرة للناس على ظلمهم » (الرعد ٦) وقال تعالى : « ولسوف يعطيك
ربك فترضى » (الضحى ٥) وقال تعالى « اولئك يدعون الى النار والله
يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه » (البقرة ٢٢١) .

وقال تعالى : « فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة
منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً » (النساء ١٧٥) وقال تعالى
« وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم » (المائدة
٩) وقال تعالى « وربك الغنى ذو الرحمة » (الأنعام ١٢٣) وقال « عذابي
أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسا كتبها للذين يتقون ويؤتون
الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » (الأعراف ١٥٦) وقال تعالى « هو
أرحم الراحمين » (يوسف ٦٤) وهذه الآية فى مواضع من القرآن الكريم .
وقال تعالى : « ولا تياسوا من روح الله انه لا يياس من روح الله الا
القوم الكافرون » (يوسف ٨٧) وقال تعالى : « نبىء عبادى انى انا الغفور
الرحيم » (الحجر ٤٩) وقال تعالى : « وربك الغفور ذو الرحمة » (الكهف ٥٨)
وقال تعالى عن حملة العرش أنهم يقولون : (ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً
فاغفر للذين تابوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن
التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز
الحكيم وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو
الفوز العظيم » . (غافر : ٧ - ٩) وقال تعالى : « ويعف عن كثير »

(الشورى : ٣٤) وقال تعالى : « ان ربك واسع المغفرة » (النجم ٣٢)
وقال تعالى : « ويعفو عن كثير » (الشورى ٣٠) وهذه غير الأولى .

ومن أسمائه الحسنى الرحمن الرحيم ، وهما مشتقان من الرحمة على طريق المبالغة ، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم ، وفي كلام ابن جرير ما يفهم حكاية الاتفاق على هذا ، ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيم الدنيا ، فقد تقرر أن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى .

قال القرطبي : وصف نفسه الكريمة بهما لأنه لما كان باتصاف رب العالمين ، ترهيب قربه بالرحمن الرحيم لما تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة اليه فيكون أعون على طاعته وأمنع ، وقيل : فائدة تكريره هنا بعد الذكر في البسمة أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور وأن الحاجة إليها أكثر ، فبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها ، وأنه هو المتفضل بها على خلقه . ذكره الشوكاني (رح) في تفسيره فتح القدير .

قال البيهقي في الأسماء والصفات قال الحلبي (١) : في معنى الرحمن أنه المزيج للعلل ، وفي معنى الرحيم أنه المشيب على العمل ، فلا يضيع لعامل عملا ، ولا يهدر لساع سعيًا ، وينيله بفضل رحمته من الثواب أضعاف عمله .

وقال الخطابي : ذهب بعضهم الى أن الرحمن غير مشتق من الرحمة لأنه لو كان مشتقا منها لا تصل بذكر المرحوم ولا تنكره العرب حين سمعوه وزعم بعضهم أنه اسم عبراني ، وذهب الجمهور من الناس الى أنه مشتق من الرحمة ينبيء عن المبالغة ، ومعناه ذو الرحمة ، لا نظير له فيها ، ولذلك لا يثنى ولا يجمع ، فالرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معاشهم ومصالحهم ، وعمت المؤمن والكافر والصالح والطالح .

وأما الرحيم : فخاص للمؤمنين كقوله : « وكان بالمؤمنين رحيما »

(١) الأسماء والصفات (٤٠)

والرحيم بمعنى راحم ، وبناء فعيل أيضا للمبالغة ، وقال ابن عباس :
« الرحمن هو الرفيق ، والرحيم هو العاطف على خلقه بالرزق ، وهما
اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر » وقال عبد الرحمن بن يحيى :
الرحمن خاص في التسمية عام في الفعل ، والرحيم عام في التسمية خاص
في الفعل .

قال ابن عباس في قوله تعالى : « هل تعلم له سميا » (مريم ٦٥) لم
يسم أحد الرحمن غيره ، انتهى كلام البيهقي ، قال تعالى : « الرحمن علم
القرآن » (الرحمن ١ - ٢) وقال تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا
الرحمن أي ما تدعوا فله الأسماء الحسنى » (الاسراء ١١٠) وقال :
« وكان بالمؤمنين رحيما » (الأحزاب ٤٣) وقال في فواتح السور غير
التوبة: بسم الله الرحمن الرحيم ، وقال في فاتحة الكتاب « الرحمن الرحيم »
وقال : « تنزيل من الرحمن الرحيم » (فصلت ٢) .

وبالجملة فالرحمة صفة عظيمة من صفات الرحمن الرحيم يظهر أثرها
على وجه الكمال ان شاء الله تعالى يوم الدين ، وتعم الصالحين والطالحين
من المؤمنين حين يغفر الله سبحانه وتعالى ذنوب المذنبين ويعفو عن الخطايا
والجرائم للخطائين .

ومن نعم الله سبحانه على عباده أن وصف نفسه الكريمة بالرحمة
العامة والمغفرة الشاملة ، ووصف رسوله محمد خاتم النبيين وسيد
المرسلين وشفيع المذنبين بقوله في كتابه الكريم : « وما أرسلناك الا
رحمة للعالمين » (الأنبياء ١٠٧) فوعدت أمته المرحومة بين رحيمين
كريمين ، والرحيم اذا قدر رحم ، والكريم اذا غلب غفر ، فالرحمة والمغفرة
للعصاة من الموحدين المتبعين للسنة والكتاب والمقرين على أنفسهم
بالقصور عن بلوغ ذروة كمال الامثال باتيان صوالح الأعمال ثابتتان
بأدلة القرآن ونصوص السنة ، لا سيما أنه سبحانه يتوب على التائبين
ويغفر للمستغفرين ، ويفرح بتوبة عباده المؤمنين ويجزي المحسنين ، ويجب
المتطهرين التوايين ، وقد سبقت رحمته على غضبه ، ورضاه على سخطه
وعفوه على اتقائه وهو أحق بذلك وأولى ، وقد وردت في ذلك أخبار

كثيرة صحيحة لا يتسع المقام لبسطها لما أنه يستدعى مؤلفا مستقلا ،
ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله فلنذكر من ذلك شيئا ندرا رجاء العفو
والغفران من الرحيم الرحمن فانه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : ان
رحمتى تغلب غضبى » أخرجه الشيخان والترمذى (١) وعند البخارى
رحمه الله فى رواية أخرى أن رحمتى غلبت أو قال سبقت غضبى (٢) ،
وعند الشيخين فى أخرى ، سبقت غضبى ، وعنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « جعل الله الرحمة مائة جزءاً فأمسك عنده تسعة
وتسعين وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق
حتى ترفع الدابة حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه » (٣) أخرجه
الشيخان والترمذى .

وعن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان
لله تعالى مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق بينهم وتسعة وتسعون
ليوم القيامة » أخرجه مسلم (٤) وله فى أخرى أن الله تعالى خلق يوم
خلق السموات والأرض مائة رحمة ، كل رحمة طباق ما بين السماء
والأرض فجعل منها فى الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها
والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه
الرحمة (٥) .

وأخرج ابن ماجه (٦) من حديث أبى سعيد الخدرى ، وفى بعض

(١) مسلم (٢١٠٧/٤) والترمذى (٥٤٩/٥) ابن ماجه برقم ٤٢٩٥

(٢) البخارى (١٥٣/٩) ، (١٩٦/٩) .

(٣) مسلم (٢١٠٨/٤) والترمذى (٥٤٩/٥) .

(٤) مسلم (٥٤٤) مسلم (٢١٠٨ - ٢١٠٩) .

(٦) ابن ماجه برقم (٤٢٩٤) ولفظه : اكملها الله بهذه الرحمة ، قال فى

الزوائد صحيح ، ورجاله ثقات .

طرق أبي هريرة فاذا كان يوم القيامة رد هذه على تلك التسعة والتسعين فأكملها مائة رحمة فرحم بها عباده يوم القيامة » .

وفي رواية أخرى : فاذا كان يوم القيامة جمعت الواحدة الى التسعة والتسعين فكملمن مائة رحمة ، حتى ان ابليس ليتناول اليها رجاء أن ينال منها شيئا « (١) » .

وقال ابن مسعود : « لن تزال الرحمة بالناس ، حتى ان ابليس ليهتز صدره يوم القيامة مما يرى من رحمة الله وشفاعة الشافعين » ، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبى ، فاذا امرأة من السبى تسعى قد تحلب ثديها اذا وجدت صبيا فى السبى فأخذته فألقته ببطنها فأرضعته فقال صلى الله عليه وسلم : « أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار ؟ قلنا : لا والله وهى تقدر على أنه لا تطرحه ، قال : فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها » أخرجه الشيخان « (٢) » .

وعن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » (٣) متفق عليه ، وعن أبي هريرة قال : سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تنزع الرحمة الا من شقى » رواه أحمد والترمذى « (٤) » .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » رواه أبو داود والترمذى « (٥) » .

قال الحسن : يقول الله تعالى يوم القيامة : جوزوا الصراط بعفوى وادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم وقال صلى الله عليه وسلم :

(١) مسلم (٤ / ٢١٠٩) بنحوه .

(٢) مسلم (٤ / ١٨٠٩) بنحوه .

(٣) الترمذى (٤ / ٣٢٣) البخارى (٨ / ١٢) ومسلم (٤ / ١٨٠٩)

بنحوه .

(٤) الترمذى (٤ / ٣٢٣) وقال : هذا حديث حسن .

(٥) الترمذى (٤ / ٣٢٤) وقال : حديث حسن صحيح .

ينادى مناد من تحت العرش يا أمة محمد ، أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم ، وبقيت التبعات فتواهبوها فيما بينكم وادخلوا الجنة برحمتى .

ويروى أن أعرابيا سمع ابن عباس يقرأ « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » (آل عمران ١٠٣) فقال الأعرابي أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها ؟ فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه ، وقال الصابجى : دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى الموت فبكيت ، فقال : مهلا لم تبكى ؟ فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك ، ولئن شفعت لأشفعن لك ، ولئن استطعت لأتفعنك ثم قال : والله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثكموه الا حديثا واحدا ، وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار » أخرجه مسلم (١) ، والأخبار بهذا المعنى كثيرة خرجها البخارى ومسلم وغيرهما من الأئمة .

وقال الأصمعى (٢) : كان رجل يحدث بأهوال يوم القيامة وأعرابى جالس يسمع ، فقال : يا هذا من يلى هذا من العباد ؟ قال : الله تعالى ، فقال الأعرابى : ان الكريم اذا قدر عفا وغفر . وعن جابر رضى الله عنه قال : جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار « رواه مسلم (٣) .

وعن عتبان بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان قد حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله » أخرجه الشيخان (٤) ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله

(١) مسلم (٥٧ / ١ - ٥٨) .

(٢) التذكرة (٣٥٦) .

(٣) مسلم (١ / ٩٤) .

(٤) مسلم بنحوه (١ / ٦١) ولم يذكره فؤاد عبد الباقي فى المتفق عليه

صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لو لم تذبوا لذنب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم » رواه مسلم (١) .

وعن أبى أيوب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لولا أنكم تذبون لخلق الله خلقا يذنبون يغفر لهم » أخرجه مسلم (٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعمهم الله فيه » رواه مسلم (٣) .

وعن أبى موسى الأشعري عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم » رواه مسلم (٤) .

وعن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه ، فيقول أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : رب أعرف ، قال : فاني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته » أخرجه الشيخان (٥) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه مسلم (٦) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : « أنا عند ظن عبدي بى وأنا معه حيث يذكرنى ، والله الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب الى

(١) مسلم (٤ / ٢١٠٦) .
 (٢) مسلم (٤ / ٢١٠٥) .
 (٣) مسلم (٢ / ٦٥٥) .
 (٤) مسلم (٤ / ٢١٢٠) .
 (٥) مسلم (٤ / ٢١٢٠) بنحوه وكنفه : ستره وعفوه .
 (٦) مسلم (٤ / ٢١١٣) .

شبرا تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، واذا أقبل الى يمشى أقبلت اليه أهروا « متفق عليه (١) .

وعن جابر رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » رواه مسلم (٢) .
وعن أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله : يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم انك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذى (٣) وقال حديث حسن .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ أو تلا هذه الآية : « هو أهل التقوى وأهل المغفرة » (المذثر ٥٦) فقال : قال الله تعالى : « أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معى اله آخر ، فمن اتقى أن يجعل معى الها آخر فأنا أهل أن أغفر له » أخرجه ابن ماجه وخرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه وقال هذا حديث حسن غريب (٤) ، وروى عن عبد الله بن أبى أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده لله أرحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها .

وقال أبو غالب : كنت اختلف الى أبى أمامة بالشام ، فدخلت يوما على فتى مريض من جيران أبى أمامة ، رضى الله عنه وعنده عم له وهو يقول له : يا عدو الله ألم أمرك ؟ ألم أنكه ؟ فقال الفتى : يا عماه لو أن أن الله تعالى دفعنى الى والدتى كيف كانت صانعة بى ؟ قال : كانت تدخلك الجنة ، قال ان ربي الله أشفق وأرحم بى من والدتى وقبض الفتى فدخلت القبر مع عمه ، فلما أن سواه صاح وفزع فقلت له : مالك ؟ فقال : فسح له فى قبره وملىء نورا (٥) .

(١) مسلم (٢١٠٢) بنصه .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٠٦) .

(٣) التحفة (٥٢٥ / ٩) .

(٤) ابن ماجه برقم ٤٢٩٩ والترمذى (٥ / ٤٣٠) .

(٥) التذكرة بنحوه (٣٥٧) .

وقال هلال بن سعيد : يؤمر باخراج رجلين من النار ، فيقول الله تعالى كيف وجدتما مقيلكما ؟ فيقولان : شر مقيل ، فيقول الله تعالى : ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد : ويؤمر بصرفهما الى النار ، فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما ، فيقول الذى عدا : قد خبرت من وبال المعصية ما لم أكن لأعرض لسخطك ثانية : ويقول الذى تلكأ : حسن ظنى بك أن لا تردنى إليها بعد ما أخرجتنى منها ، فيأمر بهما الى الجنة •

قال القرطبي : هذا الخبر رفعه الترمذى أبو عيسى بمعناه : عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما ، فقال الرب تبارك وتعالى : أخرجوهما ، فلما أخرجا قال لهما : لأى شىء اشتد صياحكما ؟ قالا : فعلنا ذلك لترحمنا ، قال : ان رحمتى لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار ، فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها عليه بردا وسلاما ويقوم الآخر فلا يلقى نفسه ، فيقول له الرب عز وجل : ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول : يا رب انى لأرجو أن لا تعيدنى فيها بعدما أخرجتنى منها ، فيقول له الرب عز وجل لك رجاؤك ، فيدخلان جميعا الجنة برحمة الله تعالى : قال أبو عيسى (١) ، اسناد هذا الحديث ضعيف لأنه عن رشدين بن سعد ، ورشدين ضعيف عن ابن أنعم وهو الافريقى والافريقى ضعيف عند أهل الحديث •

وذكر أبو نعيم الحافظ عن اسحاق بن سويد قال : صحبت مسلم بن يسار عاما الى مكة فلم أسمعه يتكلم بكلمة حتى بلغنا ذات عرق ، قال ثم حدثنا قال بلغنى أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول : انظروا فى حسناته فلا يوجد له حسنة ، فيقول : انظروا فى سيئاته فيوجد له سيئات كثيرة فيؤمر به الى النار فيذهب وهو يلتفت ، فيقول (أى الرب تعالى) : ردوة الى ، لم تلتفت ؟ فيقول : أى رب لم

(١) الترمذى (٤ / ٧١٤) •

يكن هذا ظني أو رجائي فيك - شك ابراهيم - فيقول : صدقت فيؤمر به الى الجنة .

قال القرطبي : هذا الحديث رفعه ابن المبارك فقال : أخبرنا رشدين ابن سعد قال : حدثني أبو هانيء الخولاني عن عمرو بن مالك الجهني أن فضالة بن عبيد وعبادة بن الصامت رضی الله عنهما حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا كان يوم القيامة وفرغ الله من القضاء بين الخلائق فيبقى رجلان فيؤمر بهما في النار : فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تبارك اسمه وتعالى جده : ردوه فيردوه فيقال له : لم التفت ؟ فيقول : كنت أرجو أن تدخلني الجنة فيؤمر به الى الجنة قال : فيقول : لقد أعطاني ربي حتى لو أني أطعمت أهل الجنة ما نقص ذلك مما عندي شيئاً . قالوا أي فضالة وعبادة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا ذكره يرى السرور في وجهه .

قال القرطبي : وفي هذا المعنى خبر الرجل الذي يرفع له شجرة بعد أخرى حين يخرج من النار الى أن يدخل الجنة ، أخرجه مسلم في الصحيح . انتهى ، وقد تقدم فيما سبق .

وعن معاذ بن جبل رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان شئتم أنبأتكم بأول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة وبأول ما يقولون : قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : ان الله يقول للمؤمنين : هل أحببتهم لقائي ؟ فيقولون : نعم يا ربنا ، قال وما حملكم على ذلك ؟ فيقولون عفوك ورحمتك ورضوانك فيقول : أوجبت لكم رحمتي .

وعن زيد بن أسلم أن رجلاً كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة ويشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله ، ثم مات فقال : أي رب مالي عندك : قال : النار ، قال : يا رب فأين عبادتي واجتهادي ، فقيل له انك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا وأنا أقنطك اليوم من رحمتي .

وقال مقاتل : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الفقيه من لم يؤيس الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ذكر ذلك كله القرطبي (١) في التذكرة له وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر .

ثم يقول : أتتكر من هذا شيئا : أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فيقول : أحضر وزنك فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال انك لا تظلم ، قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء » رواه الترمذي وابن ماجه (٢) .

كذا في مشكاة المصابيح ، والسجل : الكتاب الكبير ، والبطاقة على وزن الكتابة : الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب يكتب فيها وزن ما تجعل هي فيه ان كان عينا فوزنه أو عدده وان كان متاعا فثمنه ، قيل سميت به لأنها تشد بطاقة هذب الثوب . كذا في القاموس قال الطيبي فيكون حينئذ الباء زائدة . اه . قال في اللغات : وكأنه أبقيت الباء الجارة التي هي صلة الفعل ، وهي لغة أهل مصر وليس مادته بطق انتهى ، وهذا الحديث يسمى حديث البطاقة .

وما أحسن ما قال السيد العلامة محمد بن اسماعيل الأمير اليماني أطاب الله ثراه وجعل الجنة مشواه :

مهما تفكرت في ذنوبي خفت على قلبي احتراقه
لكنه ينظفني لهيبي بذكر ما جاء في البطاقة

(١) التذكرة (٣٤٧ - ٣٤٩) .

(٢) الترمذي (٢٤ / ٥ - ٢٥) وحسنه وابن ماجه برقم (٤٣٠٠) -
وخرجه الامام أحمد (١١ / ١٧٥) وصححه الشيخ شاکر - والترغيب
(٢ / ٧٠١) .

ولشيخنا وبركتنا القاضى محمد بن على الشوكانى رحمه الله كتاب سماه الدرر الفاخرة الشاملة على سعادة الدنيا والآخرة ، وهو كتاب نافع جدا ، ينبغى لأهل العلم والدين الاشتغال به ، ليسعدوا بكل سعادة ويتجافوا عن كل موجب للشقاوة .

هذا ونحن نستغفر الله تعالى من كل ذنب ، زلت به القدم ، أو طغى به القلم فى كتابنا هذا ، وفى سائر كتبنا ، ونستغفره من أقوالنا التى لا توافقها أعمالنا ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ، ثم خالطه غيره ، ومن كل نعمة أنعم بها علينا ، فاستعملناها فى معصية ، ومن كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص ، وتقصير مقصر كنا منصفين به ، ومن كل خطرة دعتنا الى تصنع ، وتكلف تزينا للناس فى كتاب سطرناه ، أو علم أفدناه أو استفدناه .

ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ، أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا وأولا وآخرا ، فإن الكرم عظيم والرحمة واسعة ، والجود على أصناف الخلائق فائض ، ونحن خلق من خلق الله عز وجل ولا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه .

وقد قال جابر بن عبد الله : من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة وذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيامة فذلك الذى يحاسب حسابا يسيرا ، ومن زادت سيئاته على حسناته يوم القيامة فذلك الذى لا يدخل الجنة ، وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره بعد ما يأذن الله سبحانه وتعالى له فى حق من شاء .

ونرجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو أهله بمنه وسعة جوده ورحمته انه قريب مجيب الدعوات .
وقد قال تعالى : « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا » (النساء ١١٠) ، وقال تعالى : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » (الأتفال ٣٣) ، وقال تعالى : « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم . ومن يغفر

الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا » (آل عمران ١٣٥) الآية
والآيات في الباب كثيرة معلومة .

عن وائلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله
تبارك وتعالى : « أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء » أخرجه
الدارمي (١) .

وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قاربوا وسددوا ،
واعلموا أن أحدا منكم لن ينجيه عمله ، قالوا : يا رسول الله ولا أنت ؟
قال : ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » رواه الدارمي (٢)
وعنده عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل بني
آدم خطاء وخير الخطائين التوابون (٣) » .

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » الحديث
رواه الدارمي (٤) وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه
النار » رواه مسلم (٥) .

وعن عثمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من مات وهو يعلم أنه لا اله الا الله دخل الجنة » أخرجه مسلم (٦) .

(١) الدارمي (٢ / ٢١٤) وقال الهيثمي : رواه احمد والطبراني في
الأوسط ورجال احمد ثقات (٢ / ٣١٨) .
(٢) الدارمي (٢ / ٢١٥) .
(٣) الدارمي (٢ / ٢١٣) ابن ماجه برقم ٤٢٥١ - الترمذى
(٤ / ٦٥٩) واستغفره .
(٤) البخارى (٨ / ١٣٢) مسلم (٤ / ٢٠٦٥) - النسائي (٤ / ٨)
- الدارمي (٢ / ٢٢٠) - الترمذى (٤ / ٥٥٤) .
(٥) مسلم (١ / ٥٨) .
(٦) مسلم (١ / ٥٥) .

اللهم انك تعلم انى أعلم أنه لا اله الا الله وانى أشهد بأن محمدا
رسولك ، وأن الجنة حق وأن النار حق ، وقد قال رسولك في حديث
عبادة بن الصامت : من شهد بذلك أدخله الله الجنة على ما كان من
العمل •

هذا الحديث منفق عليه ، وانى أستغفرك وأتوب اليك ، وأرجو
رحمتك التى سبقت على غضبك ، فتب على يا تواب وأغفر لى يا غافر
الذنب ، وأجرنى من النار وأختم لى بالحسنى وزيادة وأرحمنى رحمة فى
عبادك الصالحين ، فانك كما قلت فى مواضع من كتابك أرحم الراحمين ،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

« تم والحمد لله »

مراجع التحقيق

- ١- النذكرة للإمام القرطبي بتحقيق الشيخ أحمد مجد مرسي مطابع مذكور وأولاده طبعه دار الشعب
- ٢- صحيح البخاري
- ٣- صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي » عيسى الحلبي
- ٤- سنن الترمذي » مصطفى الباني الحلبي
- ٥- » أبي داود » » »
- ٦- » ابن ماجه بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي » عيسى الحلبي
- ٧- موطا الإمام مالك للإمام مالك بن أنس » دار الشعب
- ٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني
- ٩- فتح البيان تأليف صديق حسن خان » مصطفى الباني الحلبي مطبعة العاصمة
- ١٠- مسند الإمام أحمد بتحقيق الشيخ شاكر » دار المعارف
- ١١- سنن النسائي » مصطفى الباني الحلبي
- ١٢- حادي الأرواح تأليف ابن القيم » دار التأليف
- ١٣- لوامع الأنوار البهية الأسفاريني الحنبلي
- ١٤- ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني
- ١٥- الترغيب والترهيب للمنذرى بتحقيق خليل هراس » الجمهورية العربية
- ١٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمي » مكتبة القدسي
- ١٧- تفسير ابن كثير » دار الشعب
- ١٨- منحة العبود ترتيب بنن الطيالسي أبي داود- شرح عبد الرحمن البنا
- ١٩- الزهد والرقائق لابن المبارك بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي
- ٢٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ط عيسى الحلبي بتحقيق علي محمد البجاوي
- ٢١- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني
- ٢٢- تحفة الأجوذي شرح سنن الترمذي للمبار كفوري ط السلطية ، لمدينة المنورة
- ٢٣- كشف الكربة ببيان حال أهل الغربة لابن رجب الحنبلي
- ٢٤- كشف الخفاء ودرر الإلباس للمجلوني ط دار التراث الاسلامي حلب
- ٢٥- إحياء علوم الدين للغزالي » عيسى الحلبي
- ٢٦- رياض الصالحين للنووي » عيسى الباني الحلبي
- ٢٧- خلاصة تذهب الكمال في أسماء الرجال للخزرجي المطبعة الخيرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس الكتاب

صفحة	مقدمة التحقيق
١	مراجعة التحقيق
	مقدمة المؤلف
	مقدمة في بيان أن الشرائع متفقة على إثبات الدار الآخرة التي فيها الجنة والنار
٦	
١٣	باب في بيان وجود النار الآن
١٧	« أن النار لا تقى ولا يفتى ما فيها
	« ذكر مكان النار وأين هي ؟ على مقتضى الآثار ، وكذا مكان الجنة
٢٣	
٢٨	« آيات من الكتاب العزيز وردت في جهنم
٤٧	« كريمة وردت في صفة النار وأهلها
٩٠	« ماجاء في أن النار لما خلقت فزعت منها الملائكة حتى طارت أو دبتما
٩٣	« البكاء عند ذكر النار والخوف منها
٩٤	« فيمن استجار من النار وسأل الله الجنة
٩٦	« احتجاج الجنة والنار وصفة أهلها
٩٧	« في صفة النار وفي شرار الناس من هم
٩٩	« أهل النار
١٠١	« أول من يكسى من حلل النار
١٠١	« ما جاء في أكثر أهل النار
١٠٥	« أول ثلاثة يدخلون النار
١٠٥	« بعث النار وأول من يدعى يوم القيامة
١٠٨	باب ماجاء في أول من تسعر بهم جهنم
١٠٩	« جهنم وأنها أدراك ولمن هي ؟
١١١	« أن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة
١١٢	« ان جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم
١١٣	« في بعد أبواب جهنم بعضها من بعض

- باب ما جاء في عظم جهنم وأزمتها ١١٥
- » في كلام جهنم وذكر أزواجها وإنه لا يجوزها إلا من عنده جواز ١١٧
- » ما جاء أن التسعة عشر خزنة جهنم ١١٨
- » » في سعة جهنم وعظم سرادقها ١١٨
- » » في أن الشمس والقمر يقذفان في النار ١١٩
- » » في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها أجازنا الله منها ١٢٠
- » » في شكوي النار وكلامها وبعد قعرها وأهوالها وفي قدر الحجر الذي يرمى به فيها أجازنا الله منها ومن أهوالها ١٢٣
- » ما جاء في أن النار لها عينان وعنق وأذن ولسان ١٢٧
- » » » مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم ١٢٩
- » » » كيفية دخول أهل النار وتلقى النار أهلها ١٣١
- باب في رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة ١٣٢
- باب في نفس أهل النار ١٣٣
- باب ما جاء في أن جهنم جبلا وخنادق وأودية وبحاراً وصهاريج وحياضاً وأباراً وجباباً وتنانير وسجوناً وبوتاً وجسوراً وقصوراً وأرجاء ونواعير وعقارب وحيات أجازنا الله منها بفضلها وكرمها ١٣٣
- باب في بيان قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) وفي ساحل جهنم ووعيد من يؤذي المؤمنين ١٤١
- باب ما جاء في قوله تعالى «وقودها الناس والحجارة» ١٤٣
- » » في تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف كفره وتوزيع العذاب على العاصي المؤمن بحسب أعمال الأعضاء ١٤٤
- باب ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي وإذابة أهل النار بذلك ١٤٨
- » في عذاب من عذب الناس في الدنيا ١٥٠
- » » شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأت به ونهى عن المنكر وأتاه وذكر الخطباء وفيمن خالف قوله فعله وفي أن أعوان الظلمة كلاب النار ١٥١
- باب ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم ١٥٥
- » أن أهل النار يجوعون ويعطشون وفي دعاتهم وإجابتهم ١٥٦

صفحة

- ١٦٢ باب ما جاء في بكاء اهل النار ومن أدناهم عذابا فيها
- ١٦٤ » لكل مسلم فداء من أهل النار من الكفار
- ١٦٦ » في قوله تعالى (وتقول هل من مزيد)
- » في ذكر آخر من يخرج من النار - وآخر من يدخل الجنة وفي تعيينه وتعين قبيلته وإسمه
- ١٧٠ باب في الشافعين لمن دخل النار ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع رابع أربعة وذكر من يبقى في جهنم بعد ذلك
- ١٧٢ باب ما جاء في خروج الموحدين من النار وذكر الرجل الذي ينادى يا حنان يا منان وفي أحوال أهل النار
- ١٧٧ باب تفاوت أهل النار في العذاب
- ١٨٢ » في الاستهزاء بأهل النار وبيان قوله تعالى « فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون » الخ
- ١٨٣ باب ما جاء في استنشاق رائحة الجنة والصرف منها إلى النار
- ١٨٥ » » » ميراث أهل الجنة منازل أهل النار
- ١٨٥ » » » خلود أهل الدارين وذيخ الموت على الصراط ومن يذبحه
- ١٨٦ باب فيمن يستحق النار ، وكلام نفيس في حديث افتراق الأمة
- ١٩٢ » في سوء الخاتمة وبيان الخوف والرجاء
- ٢٠٥ » حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره وذكر عمل أهل النار وأهل الجنة
- ٢١٤ باب من دخل النار من الموحدين ومات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة
- ٢٢٢ » في الشفاعة وذكر الجهنميين
- ٢٢٤ خاتمة فيما يرجي من رحمة الله تعالى ومغفرته وبعثه يوم القيامة
- ٢٢٧

سلسلة

مَا لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ
الْوَاعِظُ وَالْعَابِدُ

٣

يَقْظَرُ إِلَى الْإِعْتِبَارِ

مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار

للإمام / صديق حسن خان

(١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ)

حقيقه وعلق عليه

الدكتور / الأستاذ محمد عبد العظيم حمزة

الناشر

دار الفيتح

الطبعة الثانية
مزيدة التحقيق
حقوق الطبع محفوظة
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين
وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله ..

اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل
بيته كما صليت على آل ابراهيم انك حسيب مجيد .
أما بعد ..

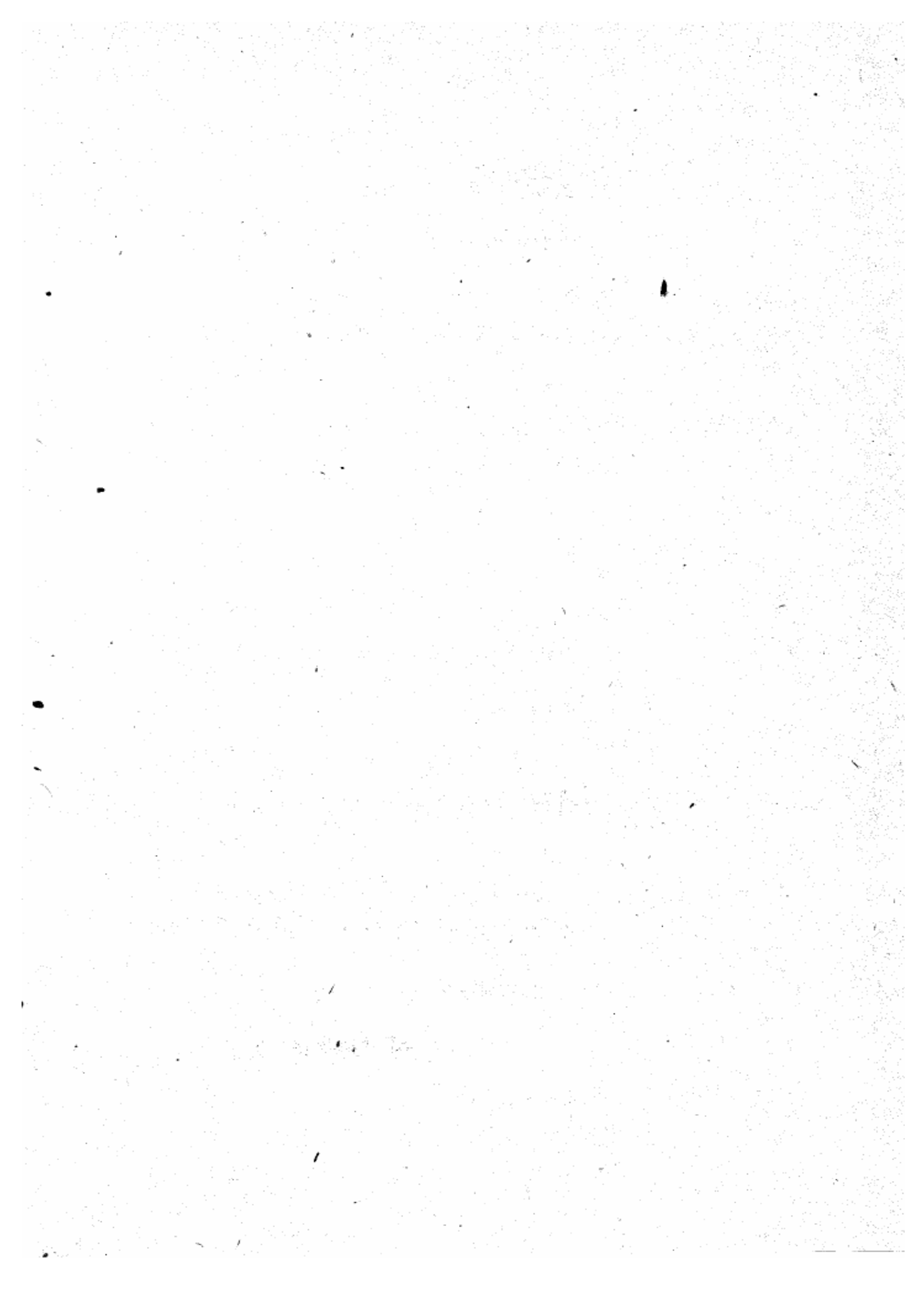
فيذه هي الطبعة الثانية من هذا الكتاب النافع وقد أمتازت عن
سابقها بالأمور الآتية :

- * ضبط الآيات القرآنية بالشكل الكامل .
- * ضبط الأحاديث النبوية الشريفة بالشكل الكامل .
- * شرح غريب الألفاظ مع ضبطها .
- * مزيد تحقيق لحواشي الكتاب اشتملت على زيادة واصلاح
ما يقرب من خمسين موضعاً .
- * تصويب الاخطاء الواردة في صلب الكتاب سواء كانت في
الآيات القرآنية أو الأحاديث الشريفة ، أو غير ذلك .

والحمد لله رب العالمين

٤ من ذي الحجة الحرام ١٤٠٤

الشيخ اسامة محمد عبد العظيم حمزة
دكتوراه في الشريعة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ،
اللهم صل على محمد النبي وازواجه أمهات المؤمنين وفريته وأهل بيته
كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ »
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا » .

أما بعد فلما كان كتاب « يقظة أولى الاعتبار ما ورد في ذكر النار
وأصحاب النار » من أنفع الكتب المفيدة للمتعبد والواعظ . وكانت الطبقات
الموجودة غير خلية من التحريف والتصحيف ، كان غرض إخراجه إخراجاً
علمياً ما يقصد به التقرب إلى وجه الله الكريم ، ومما ينبغي أن يدخر إلى
« يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » .

١ - التعريف بالمؤلف :

هو الإمام العلامة الأصولي المحدث ، بقية أهل الاجتهاد بلا خلاف
الشريف : أبو الطيب صديق بن حسن بن علي البخاري القنوجي رحمه الله .

مولده : في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ ببلدة بريلي .

مصنفاته : منها فتح البيان في مقاصد القرآن مطبوع بمطبعة العاصمة

الروضة الندية شرح الدرر للبيهية ط الشيخ منير الدمشقي ، حسن الأسوة فيما

ثبت عن الله ورسوله في النسوة ، نيل المرام في تفسير آيات الأحكام .

حصول المأمول في علم الأصول اختصار إرشاد الفحول للشوكاني .

وتوفي رحمه الله في أوائل هذا القرن الهجري سنة ١٣٠٧ هـ .

٢ - التعريف بالمنهج :

لما كان المرجع الذي صرح المؤلف بالأخذ عنه، ورتب أبواب كتابه عليه ،

هو كتاب « التذكرة في أحوال الآخرة » للإمام شمس الدين أبي عبد الله